المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

مكة المكرمة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الدراسات العليا التاريخية والحضارية

نظم الحكومة الإسلامية في الأندلس

في عهد بني أمية

خـــلال الفتـــرة

من ١٣٨ - ٣٦٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٧٦ م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الحضارة والنظم الإسلامية



إعداد الطالب

محمد أبو محمد إمام

إشراف الأستاذ الدكتور

ضيف الله يحيى الزهراني

١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

تناولت الرسالة نظم الحكومة الإسلامية في الأندلس في عهد بني أمية خلال الفترة ١٣٨-٣٦٦هـ. وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

وقد تتبعت الدراسة نظام الأمارة في الأندلس خلال الفترة ١٣٨-٣١٦هـ ، وأوضحت أنها كانت أمارة تَغَلُّب . كما تناولت الدراسة موضوع الخلافة منذ اعلانها سنة ٣١٦ هـ حتى سنة ٣٦٦هـ، وأوضحت أن إعلان الخلافة في الأندلس كان نتيجة لضعف الخلافة العباسية بالمشرق ، وإعلان الخلافة من قبل العبيديين بالمغرب . كذلك تعرضت الدراسة لمدى التزام الحكم الأموي في الأندلس بالشريعة الإسلامية .

كما أوضح البحث أن حكومة الأمويين بالأندلس ، قد أوجدت جهازاً إدارياً منظماً ، تمثل في المؤسسات الإدارية التي اصطلح على تسميتها بخطط ، وهي تقابل مسمى الدواوين في المشرق ، ومن أهمها : الوزارة والحجابة ، والكتابة ، والبريد ، والشرطة والمدينة ، والمقابلة . كما تناولت الدراسة الإدارة الإقليمية التي طورها الأمويون في الأندلس ، وأحدثوا فيها الجديد .

كذلك تناولت الرسالة النظام القضائي في الأندلس ، وأوضحت أن خطة القضاء كانت من أهم وأقوى خطط الدولة . وقد اهتم الأمويون بهذه الخطة وملحقاتها اهتماماً كبيراً .

وتناولت الرسالة النظام المالي خلال هذه الفترة ، وأوضحت أن موارد ومصارف بيت المال لم تكن تختلف عن المشرق ، لأن كلاً منهما مستمد من الشريعة الإسلامية .

كما تناولت الرسالة النظام العسكري خلال فترة البحث . وأبانت الاهتمام البالغ الذي أولاه الأمويون للتنظيمات العسكرية البرية والبحرية .

ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث : أن الأمويين قد تمكنوا بفضل الله من تحويل جزيرة الأندلس ، التي كانت خالية من المظاهر السلطانية عند مجيئهم إليها . إلى دولة ذات سيادة، وقوة ، ومنعة ، واستقلال في مؤسساتها الادارية ، والقضائية ، والمالية ، والعسكرية ، ملتزمة في ذلك بالشريعة الاسلامية .

الطالب	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
محمد أبو محمد امام	د . ضيف الله يحي الزهراني	د . عابد السفياني

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبيه المصطفى المبعوث رحمة للعالمين .

قال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » . فالشكر أولاً لله العلي القدير الذي وفقني لانجاز هذا البحث ، ثم للقائمين على جامعة أم القرى وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة ، وسعادة / عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، وسعادة / رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، لإتاحتهم لنا فرصة الدراسة في هذا البلد الأمين .

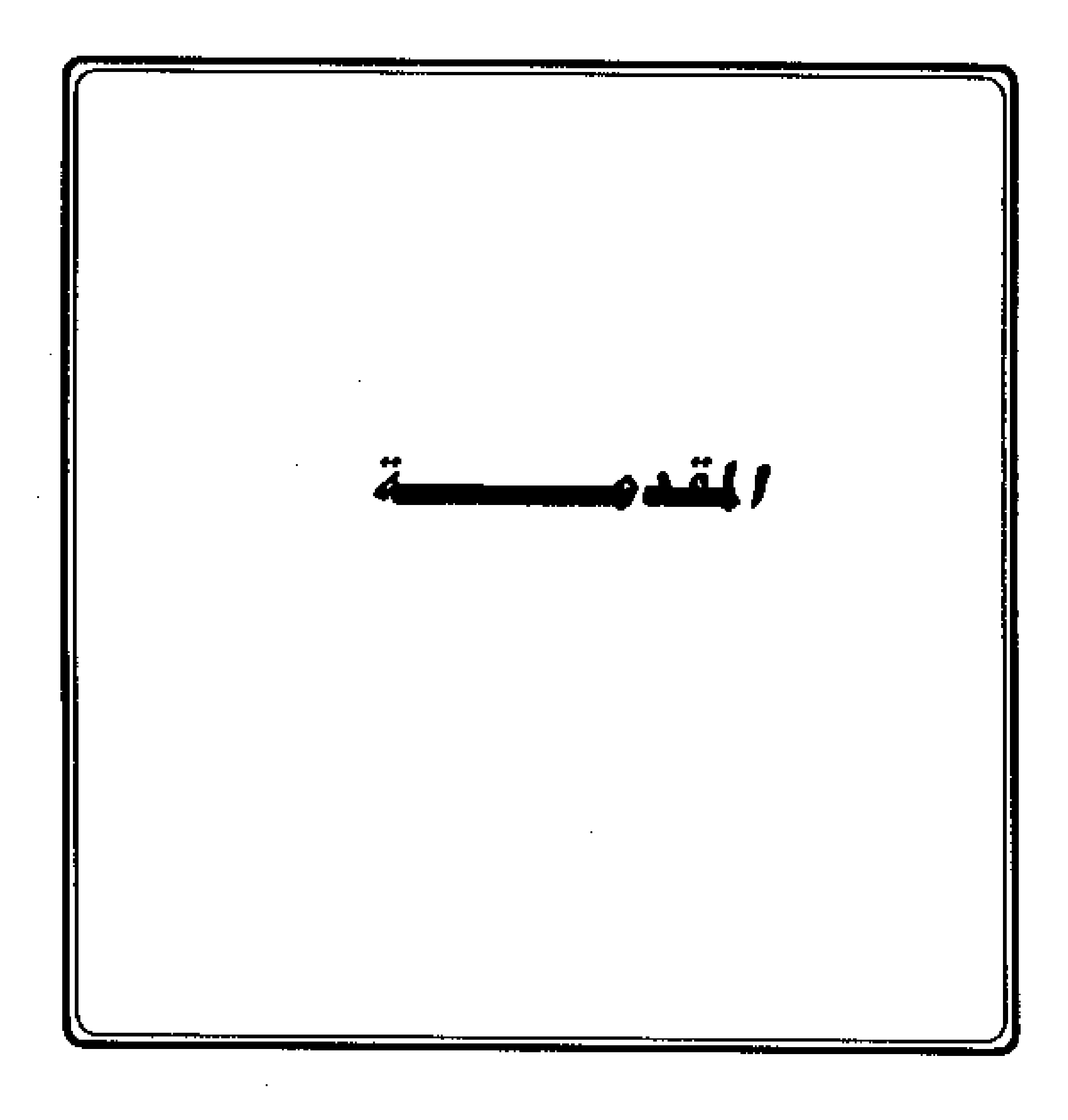
كما أتقدم بالشكر والتقدير لسعادة الأستاذ الدكتور / ابراهيم نجيب عوض المشرف السابق على هذه الرسالة . لقد منحني الكثير من وقته وعلمه ونصحه ، نسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء .

وأتقدم كذلك بوافر الشكر والعرفان والتقدير لسعادة الأستاذ الدكتور/ ضيف يحي الزهراني ، الذي تفضل مشكوراً بقبول الاشراف على بعد سفر مشرفي السابق ، وأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء .

وأتقدم بالشكر والتقدير أيضاً إلى جميع أساتذتي الكرام ، بقسمي الحضارة والنظم الاسلامية ، والتاريخ الإسلامي ، لما لهم من أياد بيضاء .

والشكر موصول لكل الإخوة الزملاء الذين أفدت من مكتباتهم وآرائهم التي ذللت علي كثيراً من الصعاب .

والله الهادي إلى سواء السبيل .



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ..

فقد بدأ المسلمون فتح بلاد الأندلس سنة ٩٢هـ/٧١١م ، وأتموا فتحها سنة ٩٥هـ ، وصارت الأندلس ولاية من ولايات الدولة الاسلامية .

وقد سعى المسلمون بعد فتح بلاد الأندلس إلى بسط نظم وتعاليم الإسلام في شتى مجالات الحياة، فتلك رسالتهم الأساسية لأن الإسلام نظام شامل للحياة كلها . وقد أدوا دورهم المنوط بهم خير أداء، وفي فترة قصيرة تحولت وجهة الأندلس النصرانية إلى وجهة إسلامية خالصة ، وانفتحت قلوب أهل الأندلس – الذين كانوا يعانون من الظلم والإضطهاد من قبل القوط – على الإسلام ، وأقبلوا عليه برغبة صادقة . أما الذين لم يدخلوا في الإسلام ، فقد تركهم المسلمون ، ولم يكرهوهم على الدخول فيه .

ولكن أعداء الإسلام المتربصين به من النصارى ، لم يعجبهم هذا التحول السريع الذي جرى لأهل الأندلس ، فاستغلوا فترات الضعف التي اعترت المسلمين في الأندلس ، وعملوا على تجميع قواهم ، وسعوا سعياً حثيثاً لاستردادها منهم . وقد تم لهم ذلك في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، حيث سقطت غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس .

ومنذ أن سقطت الأندلس في أيدي النصارى ، كان المسلمون ، ولايزالون يذكرونها والأسى أو الألم يتملكهم لفقدانها ، وكلما ذكر اسم الأندلس ، أثار في النفوس شجوناً وحنيناً إلى الماضي . كيف لا ، وقد كانت دولة الأندلس نمطاً فريداً بين دول الإسلام ، وقامت بدور ريادي في الحضارة الإسلامية ، وأمدت الأمة الإسلامية بكثير من المؤلفات في الفقه والتفسير واللغة والأدب والتاريخ والإجتماع والطب وغير ذلك .

ومن ثم ، رأيت أن تكون دراستي في مرحلة الدكتوراة ، متصلة بتاريخ الأندلس . ولهذه الدراسة أهميتها التي ترجع إلى أسباب كثيرة منها مايأتي :

تركز اهتمام الباحثين في العالم العربي والإسلامي ، من المهتمين بدراسة التاريخ الإسلامي والحضارة والنظم الاسلامية ، على المشرق الإسلامي بشكل كبير ، ولم تعط الأندلس تلك العناية الكبيرة التي أعطيت إلى الدراسات التاريخية والحضارية في المشرق ، إلا مؤخراً . وربما رجع ذلك إلى ضياع كثير من المصادر الأندلسية ، خاصة وأن محاكم التفتيش الأسبانية ، قد أحرقت معظم مصادر التراث الاسلامي الأندلسي ، ولم يفلت منها إلا القليل .

وبعد اكتشاف العديد من المخطوطات الأندلسية ، التي حققت ، وأبرزت إلى حيز الوجود ، نشطت الدراسات الأندلسية ، من قبل الباحثين العرب والمسلمين والمستشرقين ، حيث قدمت العديد من الأطروحات في الدراسات الأندلسية (ماجستير – دكتوراة) .

ومن هذه الدراسات :

* الحياة العلمية في الاندلس في عصر الخلافة ، رسالة ماجستير ـ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـ جامعة ام القرى ١٤٠٢هـ ، د. سعد عبد الله البشرى .

* عبد الرحمن الاوسط في الاندلس . ماجستير ـ كلية الشريعة ـ جامعة ام القرى ١٤٠٠هـ . فاطمة محمد زاهر .

* الخليفة الأموى الحكم المستنصر بالله ـ وفاء عبد الله المزروع ـ ماجستير ، جامعة ام القرى ١٤٠٣هـ .

* بنو عباد في اشبيلية ٤١٤ ـ ٤٨٤هـ ـ دراسة سياسية وحضارية ـ د. يوسف بن أحمد حواله ـ ماجستير ـ جامعة ام القرى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* الاندلس في عهد الحكم بن هشام ـ أسماء عثمان الضبى ـ ماجستير ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٤٠٤هـ .

* نظم الحكم في الاندلس في عصر الخلافة ـ هشام سليم ابو رميلة ـ رسالة ماجستير ـ جامعة القاهرة ١٩٧٥م .

* عبد الرحمن الداخل وسياسته الخارجية والداخلية ـ ابراهيم ياسر خضير الدورى ـ رسالة ماجستير (مطبوعة) جامعة الازهر .

* الحياة الاقتصادية في الاندلس الاسلامي خلال القرن الرابع الهجرى ـ عبد الحميد محمود الشرقاوى ـ دكتوراه ـ الآداب ـ القاهرة ١٩٥٠م .

* العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني امية وملوك الطوائف . د. رجب محمد عبد الحليم ـ رسالة دكتوراه (مطبوعة) القاهرة .

* الملاحة البحرية في الاندلس في القرنين الثالث والرابع الهجرى ـ عبد الحميد محمود الشرقاوى ـ ماجستير ـ آداب القاهرة ١٩٤٥م .

* خطة القضاء في الأندلس في العصر الأموي - نزيه شحاتة بيروت .

* الثغر الأعلى الأندلسي (دراسة في أحواله السياسية) ٩٥ - ٣١٦هـ . خليل ابراهيم السامرائي - ماجستير (مطبوعة) بغداد ١٩٧٥م .

* تاريخ التعليم في الأندلس - د. محمد عبد الحميد عيسى - دكتوراه (مطبوعة) مدريد ١٩٨٠م .

ورغبة مني في الاسهام في مجال الدراسات الأندلسية واثراء مكتبتها آثرت أن أتقدم بهذا الجهد عسى أن أضيف لبنة جديدة الى جهود من سبقوني في هذا المجال ، خاصة وان مجال النظم الاسلامية في الأندلس لم يجد قدرا كبيرا من الاهتمام والدراسة .

ولذلك وقع اختياري على موضوع في النظم الاسلامية هو : "الحكومة الاسلامية في الأندلس في عهد بني أمية في الفترة من ١٣٨ - ٣٦٦هـ الموافق ٧٥٥ - ٩٧٦م" وهي فترة من أخصب فترات التاريخ الأندلسي ، ليكون موضوع بحثي للدكتوراه . وقد تكونت في هذه الفترة أكثر نظم ومؤسسات الحكم في الأندلس ان لم تكن كلها .

وقد تخوفت كثيرا من الخوض في هذا المضمار ، وذلك لندرة المصادر الأندلسية في مجال النظم الاسلامية ولقلة معلوماتي عن الأندلس وتاريخه ، الا أن تشجيع أستاذي المشرف جزاه الله خيرا ، وعونه وحثه لي على القراءة في هذا المجال ، بدد ذلك الخوف وحفزني على البحث في هذا الموضوع .

ونظرا لعدم توفر كثير من مصادر البحث فقد قمت برحلة علمية الى كل من أسبانيا ومصر ، لاستكمال مصادر البحث ، ففي أسبانيا قمت بزيارة المعهد المصري للدراسات الاسلامية

بمدريد ، ومكتبة المعهد الاسباني العربي بمدريد ، والمكتبة الوطنية بمدريد ، وقد وجدت كل عون من القائمين على أمر هذه المكتبات .

وفي مصر زرت مكتبات جامعة القاهرة ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة جامعة الازهر ، وغيرها من المكتبات العامة .

وفي المملكة العربية السعودية قمت بزيارات عديدة لمكتبات جامعة الملك سعود ، والامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وبحمد الله فقد حصلت على معظم المصادر والمراجع التي يتطلبها البحث .

خطة البحث :

جاءت خطة البحث مشتملة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

اما المقدمة فقد اشتملت على اهمية الموضوع وسبب اختياره .

وجاء التمهيد مشتملا على نبذة عن الفتح الاسلامي للاندلس ثم دخول عبد الرحمن بن معاوية اليها ، وقيام الحكومة الاموية الاندلسية ، ومعنى الحكومة الاسلامية .

جاء الفصل الاول بعنوان : الحكام الامويون في الاندلس الاسلامية ١٣٨ ـ ٣٦٦هـ/٧٥٥ ـ ٩٧٦م ـ مشتملا على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول بعنوان : الامارة منذ تاسيسها حتى سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م ، وقد تحدثت فيه عن تاسيس الامارة الاموية بالاندلس سنة ١٣٨هـ ، واعلان استقلالها عن الخلافة في المشرق ومن الامراء الامويين الذين تعاقبوا على الامارة في خلال هذه

الفترة ، وعن سياسة الامراء ، وولاية العهد ونظام الحكم والرسوم التى كانت متبعة .

وفى المبحث الثانى تحدثت عن الخلافة منذ اعلانها سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م حتى نهاية خلافة الحكم المستنصر ٣٦٦هـ/٩٧٦م ، وتناولت فى هذا المبحث اعلان الامير عبد الرحمن بن محمد الخلافة سنة ٣١٦هـ ، وتسميه بالناصر لدين الله ، وتناولت أيضا اخماده للفتن الداخلية والظروف التى دفعته الى اعلان الخلافة ، ورد فعل العالم الاسلامى ازاء اعلانه الخلافة . كما تحدثت عن الرسوم والنظم والعلاقات الدبلوماسية فى عصر الخلافة حتى نهاية عهد الخليفة الحكم المستنصر .

وفى المبحث الثالث تحدثت عن مدى التزام الحكم الاموى فى الاندلس بالشريعة الاسلامية .

اما الفصل الثانى وعنوانه : النظام الادارى للدولة الاموية فى الاندلس ١٣٨ - ٣٦٦هـ/٧٥٥ - ٩٧٦م ، فقد جاء مشتملا على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول عن الوزارة والحجابة : تحدثت فيه عن نشأة الوزارة فى الاندلس وتطورها ، كما تحدثت عن مفهوم الحجابة فى الاندلس ، واختلاف مدلولها هناك عن مدلولها فى المشرق ، ومدى التداخل بين خطتى الوزارة والحجابة .

وفى المبحث الثانى تحدثت عن الدواوين والخطط ، ونظرا لعدم وجود الدواوين بالاندلس وفق ماكان معمولا به فى المشرق فقد انصب الحديث على الخطط حيث تحدثت اولا عن خطة الكتابة ثم خطة البريد والشرطة والمدينة والمقابلة ، كما تحدثت فى هذا المبحث أيضا عن نظام التعليم ، ووظيفة القمامسة . وتركت بقية الخطط للحديث عنها فى مباحثها الخاصة بها .

وتحدثت عن الادارة الاقليمية ، وتنظيماتها في المبحث الثالث ، وذكرت تقسيمات الاندلس الادارية ، وما اضافه الامويون من اقسام ادارية جديدة وعن ادارة الامويين للاقاليم .

اما الفصل الثالث فعنوانه : النظام القضائي في الاندلس ، وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول عن خطة القضاء في الاندلس خلال فترة البحث عرضت فيه لمسمى قاضي الجماعة ، ومتى ظهر هذا المسمى بالاندلس ، وماحدود صلاحيات قاضي الجماعة ، وما الفرق بينه وبين قاضي القضاة . كما تحدثت في هذا المبحث عن القضاة في هذا العصر ، وعن اختيارهم واختصاصاتهم وعزلهم ومدى احترام امراء وخلفاء بني امية لقضاتهم . وذكرت نماذج لبعض القضايا ، كما تحدثت عن التنظيمات القضائية ، وقضاة الكور والاقاليم ، وقضاء اهل الذمة وارزاق القضاة ، واثر الفقه المالكي في القضاء .

اما المبحث الثاني فقد كان عن خطتي الرد والمظالم في الاندلس ، حيث تحدثت في هذا المبحث عن نشأة خطة الرد في الأندلس ، واوضحت أن هذه الخطة خاصة بالاندلس ، اذ لم يعرف النظام القضائي في المشرق هذه الخطة ، كما تحدثت عن خطة المظالم ومتى نشأت بالاندلس وماهي مهام صاحبها .

وتحدثت في المبحث الثالث عن خطة الحسبة في الاندلس ، حيث تناولت فيه مفهوم الحسبة في الأندلس ، كما تحدثت عن خصائص الحسبة في الاندلس ، ودور المحتسب في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

اما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان : النظام المالي في الاندلس . واشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : موارد بيت المال في الاندلس . وهي الجزية ، والخراج ، والفيء ، والغنيمة ، والاعشار ، والصدقات ، ودخل دار السكة ، ومبراث من لاوارث له ، والرسوم على بيوع الاسواق ، وبعض الضرائب الاخرى التي ترى الدولة فرضها عند الضرورة .

كما تحدثت في هذا المبحث عن الادارة المالية المركزية والاقليمية ، وعن مقادير الجباية السنوية .

والمبحث الثاني : عن مصارف بيت المال في الاندلس ، وتناولت فيه اوجه نفقات الدولة مثل النفقات على الجوانب العسكرية ، والخدمات المدنية كبناء المساجد والمدن ، وشق القنوات وبناء الجسور ، وارزاق عمال الدولة وغيرها من نفقات .

اما الفصل الخامس ، فعنوانه : النظام العسكري في الاندلس ١٣٨ – ٣٦٦هـ . وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين .

المبحث الاول عن الجيش وتنظيماته في الاندلس حيث تحدثت فيه عن الجيش الاندلسي انواعه وتنظيماته ، واهم الخطط العسكرية الاندلسية .

وتحدثت في المبحث الثاني عن البحرية الاسلامية في الاندلس : نشاتها ، اثر غزوات النورمانيين على البحرية الاندلسية – قيادة الاسطول وجنوده – اسلحة القتال البحرية – الرقابة والثغور البحرية – اهم مراكز صناعة قطع الاسطول الاندلسي – اهم انواع السفن الاندلسية .

ثم جاءت الخاتمة مشتملة على اهم النتائج التي خلص اليها البحث .

اهم مصادر البحث :

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع من اهمها :

(١) ابن حيان القرطبي : ابو مروان حيان بن خلف بن حسين ابن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الامير عبد الرحمن بن معاوية (المتوفى ٤٦٩هـ)

المقتبس من انباء اهل الاندلس .

ويعد ابن حيان من اشهر مؤرخي الاندلس كما أجمع الكثيرون على ذلك(١). ويتكون المقتبس من عشرة أسفار فقدت معظمها ، كما فقد الكثير من مؤلفاته مثل المتين واخبار الدولة العامرية والبطشة الكبرى .

ولابن حيان اهتمام كبير بنظم الدولة وادارتها الى جانب الاحداث السياسية . وقد افدت منه افادة كبيرة في جميع مراحل البحث .

ويوجد بين ايدينا الآن خمس قطع من المقتبس :

* قطعة تتعلق بجزء من عصر عبد الرحمن الأوسط من سنة ٢٣٢ - ٢٣٨هـ . تحقيق د. محمود علي مكي . نشرت بالقاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

* قطعة تتعلق بعصر الامير عبد الرحمن الاوسط ٢٣٢-٢٣٨هـ اضافة الى جزء كبير من امارة الامير محمد بن عبد الرحمن منذ توليه حتى سنة ٢٦٣هـ . نشرت ببيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

---

(١) انظر مقدمة المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، طبعة بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص ٧ . وانظر آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الاسبانية د. حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٢٠٩ .

وحقيقة فان تحقيق د. محمود على مكى لهاتين القطعتين كان تحقيقا رائعا . وقد افدت من تعليقاته وحواشيه ايما افادة .

* قطعة تتعلق بعصر الامير عبد الله . وقد نشرها الراهب الاسبانى ملشور انطونية فى باريس سنة ١٩٣٧م . وارى انه بحاجة الى تحقيق .

* قطعة تتعلق بعصر عبد الرحمن الناصر . وتتناول ثلاثين سنة من عمره من سنة ٣٠٠هـ الى ٣٣٠هـ . وقد اعتنى بنشره بدرو شالميتا وآخرون . المعهد الاسبانى العربى للثقافة وكلية الآداب بالرباط - مدريد ١٩٧٩م .

وقد اشتمل هذا الجزء على معلومات قيمة تتعلق بحروب عبد الرحمن الناصر الداخلية والخارجية ، واعلانه الخلافة ، ومعلومات عن الاسطول الاندلسي فى عمر الناصر ، وخطة المظالم والوزراء ، وغير ذلك من النظم الادارية .

* قطعة تتعلق بخمس سنوات من عصر الحكم المستنصر . تحقيق د. عبد الرحمن على الحجى .

وقد احتوت هذه القطعة على كثير من التنظيمات الادارية والعسكرية ونظم الاحتفالات فى الاعياد واستقبال السفراء . وقد بذل د. عبد الرحمن على الحجى جهدا كبيرا فى تحقيق هذا الجزء ، وعلق عليه تعليقات ضافية افادتنى كثيرا فى بحثى .

(٢) ابن الابار : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر القضاعى (٥٩٥ - ٦٥٨هـ)

الحلة السيراء (جزءان) .

حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م .

والحلة السيراء معناه الثوب المخطط . والكتاب عبارة عن تراجم لبعض الشخصيات الاندلسية والمغربية . وقد اضفى تحقيق د. حسين مؤنس لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة . وقد افدت كثيرا من الكتاب وحواشيه .

(٣) ابن عذاري المراكشي : ابو العباس أحمد بن محمد بن عذاري (ت ٦٩٥هـ)

البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب .

تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وليفى بروفنسال - دار الثقافة - بيروت - لبنان . ويشتمل الكتاب على اربعة اجزاء .

والجزء الذى يهمنا من هذه الأجزاء الأربعة هو الجزء الثانى الخاص بتاريخ الأندلس من الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجرى . وقد حفظ لنا ابن عذارى معلومات قيمة نقلها من ابن حيان وغيره من المؤرخين وان كان لايصرح فى كثير من الأحيان بمصادره التى نقل منها .

(٤) المقرى : أحمد بن محمد بن أحمد القرشى التلمسانى (ت ١٠٤١هـ)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .

حققه د. احسان عباس - دار صادر - بيروت - لبنان - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

والمقرى نسبة الى مقرة بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة .

والكتاب عبارة عن موسوعة أدبية تاريخية سياسية اجتماعية . وهو من المصادر المتأخرة نسبيا الا ان قيمته تكمن فى انه نقل بين دفتيه معلومات ذات فائدة واهمية

كبيرة من مصادر معظمها مفقودة الآن كالرازى وابن سعيد والحجارى والقلقندى وغيرهم .

(٥) ابن سعيد : أبوالحسن على بن موسى (ت ٦٨٥هـ) .
المغرب فى حلى المغرب (جزءان) .
تحقيق د. شوقى ضيف ـ نشر دار المعارف ـ مصر ـ القاهرة ١٩٦٤م .

والف هذا الكتاب ستة من افراد اسرة بنى سعيد توارثوه على مدى مائة وخمس عشرة سنة آخرهم على بن موسى بن سعيد .

وقد افدت من هذا الكتاب وبصورة خاصة الجزء الأول افادة كبيرة . كما ان من اهم محتوياته انه حفظ لنا بين دفتيه كتاب أبو عبد الملك احمد بن عبد البر فى الفقهاء كاملا .

(٦) مجهول المؤلف : أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها .
حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابيارى .
الناشرون دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ويبدو انه من المؤلفات المعاصرة للدولة الاموية . واشار محقق الكتاب الى ان الكتاب احتوى على أخطاء نحوية ولغوية كثيرة صححها فى موقعها . ويرى البعض أن هذا الكتاب عبارة عن "مجموعة مذكرات وفقرات تاريخية سجلها صاحبها شيئا فشيئا دون أن يقصد الى ربط الحوادث ربطا منهجيا أو يرتبها حسب السنين"(١) .

وقد أفدت من هذا الكتاب فى كثير من مواضع البحث .

---

(١) آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١٩٩.

(٧) ابن القوطية : ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم (ت ٣٦٧هـ)

ونسب ابو بكر محمد بن عمر الى سارة بنت المنذ بن غيطشة آخر ملوك القوط ، وكان قد تزوجها عيسى بن مزاحم من موالى عمر بن عبد العزيز .

تاريخ افتتاح الاندلس ـ حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابيارى ـ الناشرون دار الكتب الاسلامية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

ويبدا الكتاب بفتح الاندلس ، وينتهى بولاية الامير عبد الله بن محمد . وهو من الكتاب المعاصرين للدولة الاموية فى الاندلس ، وكان شاهدا على كثير من الاحداث التى جرت خلال هذه الفترة . وهنا تكمن اهمية المعلومات التى اوردها ابن القوطية .

(٨) ابن سهل الاندلسى : ابو الاصبغ عيسى بن سهل الاسدى الاندلسى (ت ٤٨٦هـ)

(الاحكام الكبرى) مخطوط بمركز البحث العلمى ـ جامعة أم القرى مكة المكرمة تحت رقم (٢٠٠) فقه .

وقد افدت افادة كبيرة من هذا المخطوط وخاصة فيما يتعلق بخطة الرد ـ الحسبة ـ قضاء أهل الذمة .

(٩) العذرى : احمد بن عمر بن انس العذرى المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨هـ)

كتاب ترصيع الاخبار ، وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك .

تحقيق د. عبد العزيز الاهوانى ـ مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية ـ مدريد ١٩٦٥م .

وهذا الكتاب من الكتب التي جمعت بين التاريخ والجغرافيا . وقدم لنا العذري معلومات قيمة عن الاندلس وكورها والاسرات التي كانت تحكمها ، غير اني افدت منه بصفة خاصة في الجانب المالي لان المعلومات التي ذكرها تعتبر نادرة .

(١٠) الخشني القروي : ابو عبد الله محمد بن الحارث بن اسد (ت ٣٦١هـ)

قضاة قرطبة ، حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابياري – الناشرون : دار الكتب الاسلامية – القاهرة وبيروت .

وهذا اهم مصدر اعتمدت عليه فيما يتعلق بخطة القضاء في الاندلس خلال فترة البحث . وترجع اهميته لدقة المعلومات التي احتواها الكتاب ، وكان المؤلف نفسه فقيها من جملة الفقهاء ، ومعاصرا لكثير من المعلومات التي اوردها . وكانت وفاته في خلافة الحكم المستنصر .

(١١) النباهي : ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الاندلسي (توفي في القرن الثامن الهجري) .

تاريخ قضاة الاندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – منشورات دار الافاق الجديدة – بيروت – تحقيق لجنة احياء التراث العربي – الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

وهذا الكتاب من المصادر القضائية المهمة في الاندلس . وكان المؤلف من الذين مارسوا مهنة القضاء ، ولذلك تمتاز معلوماته بالدقة .

(١٢) ابن الاثير الجزري : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ ـ دار صادر للطباعة ـ بيروت ـ لبنان .

وابن الاثير من المؤرخين المشارقة القلائل الذين اهتموا بتدوين تاريخ الاندلس .

وقد افدت ايضا من كتب التراجم الاندلسية ومنها :

* ابن الفرضي : ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت ٤٠٣هـ) . تاريخ علماء الاندلس (جزءان) حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابياري . الناشرون : دار الكتب الاسلامية ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* الضبي : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ) بغية الملتمس . الناشر : دار الكاتب العربي ١٩٦٧م .

* الحميدي : ابو عبد الله محمد بن ابي نصر (ت ٤٨٨هـ) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦م .

وقد عولت على كتب التراجم كثيرا عند حديثي عن القضاء وتنظيماته ، وكذلك عند الحديث عن نظام التعليم .

ومن المصادر الجغرافية التي اعتمدت عليها في البحث :

* الحميري : محمد بن عبد المنعم الحميري (توفي في اواخر القرن الثامن الهجري) . الروض المعطار في خبر الاقطار . تحقيق د. احسان عباس ـ مكتبة لبنان ـ الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

* الادريسي : ابو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت ٥٤٨هـ) . صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس . ماخوذة من كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الافاق" ، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

* ابـن حوقل : ابو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ۳۸۰هـ)
صورة الارض ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان .

* ابن غالب الاندلسي : محمد بن ايوب بن غالب الغرناطي (عـاش في القرن السادس الهجري) . قطعة من كتاب فرحة الانفس عن كور الاندلس ومدنها بعد الاربعمائة . نشر وتحقيق د. لطفي عبـد البديع ـ مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، مصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

وقـد افدت مـن هـذه المصـادر الجغرافية فائدة كبيرة وخاصـة عند حديثي عن النظام المالي في الاندلس ، وكذلك عند حديثي عن الادارة الاقليمية .

هـذه هـي اهـم المصادر التي اعتمدت عليها في البحث ، وهنـاك الكثـير مـن المصادر الاخرى التي اعتمد عليها البحث بالاضافة الى المراجع الحديثة والدوريات .

هـذا وقـد بذلت جهدي ما امكنني البذل ، وتحريت الصواب قـدر اسـتطاعتي ، الا ان كل عمل بشري معرض للنقص ، فالكمال لله وحده . ومـا ابرىء نفسي من خطا او زلل او تقصير .

اسـال اللـه العلي القدير أن اكون قد وفقت في تنـاول الموضـوع ، فـان اصبـت فلله الحمد والمنة ، وان اخطات فمن نفسي ، واسال الله المغفرة والهداية الى الصواب .

وآخر دعوانـا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيد

ويشتمل على :

(أ) نبذة عن الفتح الإسلامي للأندلس .

(ب) دخول عبدالرحمن بن معاوية إلى الأندلس .

(جـ) معنى الحكومة الإسلامية .

(آ) الفتح الاسلامي للأندلس :-

كان موسى بن نصير [(١)] واليا على بلاد المغرب ، في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك [(٢)] ، وقد تواترت الفتوح على الخليفة الوليد من بلاد المغرب من قبل موسى ، وذلك في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م ، فعظمت منزلة موسى لديه [(٣)] .

وبعد أن أتم موسى بن نصير فتح بلاد المغرب ، فكر في فتح بلاد الأندلس ، فكتب إلى الخليفة الوليد يستأذنه في ذلك ، فأشار عليه الوليد بأن يختبرها بالسرايا ، ولايغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال [(٤)] فراجعه موسى وقال له : " إنه ليس ببحر ، وإنما هو خليج يتبين للناظر ماوراءه "،فكتب إليه: وإن كان،فلابد من اختباره بالسرايا [(٥)] "

---

(١) هو موسى بن نصير أبو عبد الرحمن ،صاحب فتح الأندلس ولد في سنة ١٩هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يقال أنه مولى لخم ويقال أيضا أنه لخمى صريح وهو من التابعين ، روى عن تميم الدارى ت سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م في خلافة سليمان بن عبد الملك .انظر ابن الفرضى ، أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الازدى ،ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م ،تاريخ علماء الاندلس ،نشر دار الكتب الاسلامية ، القاهرة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ،ج ٢ ،ص ٨٤٨ ،ترجمة رقم ١٤٥٤ ،الضبى ،أحمد ابن يحى بن عميرة ، ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م ،ص ٤٥٧ ،ترجمة رقم ١٣٣٤ ،المقرى ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمساني ،المتوفى ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق د.احسان عباس ،دار صادر ، بيروت - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ،ج ١ ،ص ٢٨٣ ومابعدها .

(٢) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بالحكم ، ولد سنة ٥٠هـ/٦٧٠م - بالمدينة بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه في شوال سنة ٨٦هـ وهو ابن ست وثلاثين سنة ، توفى سنة ٩٦هـ/٧١٤م ، د. صلاح الدين المنجد معجم بنى أمية ، مستخرج من تاريخ دمشق - دار الكتاب الجديد بيروت - ١٩٧٠م ،ص ١٨٩، ١٩١ .

(٣) ابن عبد الحكم ،عبد الرحمن بن عبد الله ،فتوح أفريقية والأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،١٩٨٧م ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٤) مجهول المؤلف ،أخبار مجموعة في فتح الأندلس ،تحقيق ابراهيم الأبيارى ،الناشرون : دار الكتاب المصرى - القاهرة ،دار الكتاب اللبناني - بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ،ص ١٦، ابن عذارى أبو العباس احمد بن عذارى ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ج. س كولان وليفى بروفنسال ،دار الثقافة - بيروت - لبنان ج ٢ ،ص ٥ ،ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك ،نشر وتحقيق د. احمد مختار العبادى ،صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مدريد - المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥- ١٩٦٦م ،ص ٤٥ ،محمد بن عبد المنعم الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس - منتخبة من كتاب الروض المعطار ،نشر وتعليق ليفي بروفنسال ،ص ٨ .

(٥) الحميرى ،صفة جزيرة الأندلس ،ص ٨ .

وتنفيذا لتعليمات الخليفة الوليد بن عبد الملك ، استدعى موسى بن نصير احد رجاله ، ويدعى طريف ، ويكنى ابا زرعة وامره بالعبور الى الاندلس ومعه مائة فارس ، واربعمائة راجل ، فعبر طريف ورجاله البحر فى اربعة مراكب ونزلوا الساحل الاندلسى فيما يحاذى طنجة فى المكان الذى عرف بجزيرة طريف فيما بعد[(١)] ، واغار منها على مايليها الى جهة الجزيرة الخضراء[(٢)] ، واصاب سبيا ومالا كثيرا ، ورجع سالما[(٣)] ، وكان ذلك فى رمضان من سنة ٩١هـ/٧٠٩م .

حملة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م :

بعد أن تاكد لموسى بن نصير قدرة المسلمين على فتح الاندلس ، دعا مولاه طارق بن زياد ، وعقد له على اثنى عشر

---

(١) هى مدينة صغيرة عليها سور تراب ، ويشقها نهر صغير ، بينها وبين الجزيرة الخضراء ثمانية عشرة ميلا .
الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٩٢ .

(٢) الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة ام حكيم ، وهى جارية طارق بن زياد كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة ، وهى اقرب مدن الساحل الاندلسى مجازا الى العدوة ويحاذيه مرسى مدينة سبته .
الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٢٣ .

(٣) مجهول ، اخبار مجموعة فى فتح الاندلس ، ص ١٦-١٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٥/٢ .
وهناك روايات كثيرة فى شان فتح بلاد الاندلس . وكثير من هذه الروايات مصحوبة بشىء من الخيال او الخرافة . وتركز بعض هذه الروايات كثيرا على قصة يليان الوالى النصرانى الذى لم يكن على وفاق مع صاحب الاندلس مما جعله يشجع المسلمين ويرغبهم فى فتح بلاد الاندلس .
انظر : مجهول : اخبار مجموعة ، ص ١٥-١٦ ، ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٧١-٧٣ ، ابن عذارى البيان المغرب ٤/٢-٥ ، المقرى ، نفح الطيب ، ٢٣١/١-٢٣٢-٢٣٣ .
ولكن الحقيقة أن امتداد الفتح الى الاندلس ، كان امرا طبيعيا يتمشى مع حقيقة الدعوة الاسلامية ، وطبيعة القائمين بها ، وقد تم ذلك بعد ان تهيات له الظروف الملائمة وحان وقته .
انظر : د. محمد محمد زيتون ، الفتح الاسلامى للاندلس (دراسة وتحليل) ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م ، العدد الرابع ، ص ٣٠٨ .

الفا بين عرب وبربر ، وانضم اليه خلق كثير من المتطوعين ومضى طارق الى سبتة ، وعبر البحر فى مراكبه الى ان وصل الى جبل بالساحل الاندلسى ، فارسى فيه فى سنة ٩٢هـ/٧١٠م واطلق عليه اسمه حتى يومنا هذا (١). "وكان طارق عسكريا ممتازا ، مخلصا للاسلام ، متحمسا لنشره" (٢).

وذكر صاحب الاخبار المجموعة فى فتح الاندلس : ان طارق ابن زياد سار فى سبعة آلاف من المسلمين جلهم من الموالى والبربر ليس فيهم الا قليل من العرب ، واجتازوا البحر فى اربعة سفن لم يكن لهم سواها ، واختلفت السفن بالخيل والرجال الى أن اكتمل عددهم فى الساحل الاندلسى (٣).

ووجد طارق مقاومة من قبل القوط الذين تجمعوا فى الموضع الذى اراد النزول فيه ، فمنعوه من النزول ، مما اضطره ان يتحول الى موضع آخر نزله ليلا ، ومن ثم استطاع أن يقضى على فلول القوط الذين تجمعوا لقتاله وصده عن النزول (٤).

وكان ملك الاندلس عند نزول طارق ببلده ، يغزوا عدوا له وقد استخلف احد رجاله ويدعى "تدمير" الذى كتب اليه قائلا : "انه نزل بارضنا قوم لاندرى امن السماء نزلوا ام من الارض خرجوا" (٥).

ولما عاد صاحب الاندلس من غزاته وجد أن طارق بن زياد قد افتتح الجزيرة الخضراء ، فاعد جيشا قوامه مائة الف

---

(١) ابن الكرديوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٤٦ .
(٢) د. عبد الرحمن على الحجى ، التاريخ الاندلسى من الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ٤٧ .
(٣) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٧ .
(٤) عبد الملك بن حبيب ، تاريخ ابن حبيب ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ـ مدريد ـ نشره د. محمود على مكى ، المجلد الخامس ١٣٧٥هـ/١٩٥٧م ، ص ٢٢٢ ، على ابن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسى ، تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس ، مخطوط ، ص ٧٠ .
(٥) ابن هذيل الاندلسى ، تحفة الانفس ، ص ٧٠ .

مقاتل لمقابلة طارق الذى كتب الى موسى يعلمه بفتح الجزيرة الخضراء وان ملك الاندلس قد اقبل عليه فى جيش لاطاقة له به ويطلب منه المدد[(١)] .

وكان موسى منذ ان بعث طارقا الى الاندلس قد جد فى صنع السفن حتى صارت عنده سفن كثيرة ، فبعث فيها خمسة آلاف جندى آخرين مددا لطارق ، فتوافى المسلمون بالاندلس عند طارق اثنا عشر الفا ، وقد اصابوا سبيا كثيرا ومالا[(٢)] .

ومضى المسلمون بقيادة طارق بن زياد ـ على الرغم من قلتهم ـ فى قتال القوط ، يدفعهم ايمانهم بالله عز وجل وقوة عقيدتهم ، وحبهم لنشر الاسلام ، حتى تم لهم النصر المبين على جيوش القوط فى معركة وادى لكة بشذونة[(٣)] . وكان ذلك فى الخامس من شوال سنة ٩٢هـ/٧١٠م ، ثم مضوا مفتتحين لكثير من نواحى الاندلس[(٤)] .

ثم جاء موسى بن نصير الى الاندلس فى رجب سنة ٩٣هـ/٧١١م ، بوجوه العرب وعرفاء الموالى والبربر لاستكمال فتح بلاد الاندلس مع طارق بن زياد ، الى أن تم له ذلك فى سنة

---

(١) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٧ .

(٢) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٧ ، المقرى ، نفح الطيب ، ٢١٧/١ .

(٣) كورة شذونة من كور الاندلس ، وهى كورة جليلة القدر ، جامعة لخيرات البر والبحر ، كريمة البقعة وهى من الكور المجندة التى نزلها جند فلسطين من العرب وعمل شذونة خمسون ميلا فى مثلها .
الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٣٩ .

(٤) انظر ابن القوطية : ابو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ) ، تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الناشر : دار الكتاب المصرى ، القاهرة ـ بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٣٣-٣٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ٧/٢ ومابعدها ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٨ ، المقرى نفح الطيب ، ٢٥٨/١-٢٦٠ ، مجهول ، رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ، تحقيق د. حسين مؤنس ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ـ مدريد ـ ١٩٧٤-١٩٧٥م ، ص ١٠٣-١٠٤ .

٩٥هـ/٧١٣م[1] . وكتب موسى بن نصير الى الوليد بن عبد الملك بعد اتمامه فتح بلاد الاندلس قائلا : "انها ليست الفتوح ولكنه الحشر"[2] .

وبنهاية القرن الاول الهجرى صارت الاندلس ولاية من ولايات الدولة الاسلامية .

---

(١) انظر ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والاندلس ، ص ٧٦-٧٨ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/١٢-١٣ .
(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٧٨ .

(ب) دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس :

كان ولاة الأندلس يعينون من قبل الخلافة ، او من قبل والى القيروان ، او مصر ، فلما اضطرب امر بنى امية فى سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م بقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك [(١)] ، وانشغلوا عن مراعاة اقاصى البلاد وقع الاضطراب بافريقية ، والاختلاف بالاندلس ايضا بين القبائل ، ثم اتفقوا بالاندلس على تقديم قرشى يجمع الكلمة الى ان تستقر الامور بالشام لمن يخاطب ، فقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهرى [(٢)] ، اميرا عليهم فسكنت به الاوضاع ، واتفقوا عليه [(٣)] .

ولما زالت دولة بنى امية بالمشرق بتغلب العباسيين عليهم ، وقتل مروان بن محمد آخر خلفائهم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، تتبع العباسيون الامويين ، وكان ممن افلت من قبضة العباسيين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام [(٤)] ، الذى تمكن من

---

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم امير المؤمنين ، ولد سنة تسعين ، وبويع له سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو مقيم بالرصافة وقتل بالبخراء على اميال من تدمر فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ وله أربعون سنة وقيل احدى واربعون .
محمد بن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٥٦/٤ .

(٢) هو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن ابى عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهرى ، وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وبانى القيروان . ولد بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من أفريقية مع حبيب بن ابى عبيدة الفهرى عند افتتاح الاندلس ثم عاد الى افريقية . كان عمره حين ولى الاندلس سبعا وخمسين سنة . قدمه اهل الاندلس فى ربيع الآخر سنة ١٢٩هـ ، ومكث عليهم واليا تسع سنين وتسعة أشهر .
المقرى ، نفح الطيب ، ٢٥/٣ .

(٣) الحميدى : أبو عبد الله محمد بن ابى نصر الازدى (٤٨٨هـ) ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦م ، ص ٨ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ١١-١٢ .

(٤) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، يكنى : ابا المطرف ، مولده بالشام سنة ١١٣هـ امه بربرية من سبى المغرب تسمى راحا . مات ابوه وتركه صغير السن . هرب لما ظهرت دولة بنى العباس ولم يزل مستترا حتى دخل الاندلس فى سنة ١٣٨هـ . كانت وفاته سنة ١٧٢هـ .
=

العرب حتى وصل الى المغرب ، ونزل عند أخواله البربر من نفزة[(١)] .

مكث عبد الرحمن بن معاوية بين اخواله البربر فترة من الوقت ، ومن ثم بدأ يعد العدة لدخول الاندلس ، التى كانت تحت سيطرة يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، والصميل بن حاتم[(٢)] .

اعد عبد الرحمن بن معاوية مولاه بدرا وجهزه للعبور الى الاندلس ، وامره بان يعرض امر دخوله الى الاندلس على موالى الامويين هناك ، وكان عددهم مابين الاربعمائة والخمسمائة ، وكانت رياستهم الى شخصين هما أبى عثمان عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، فدخل بدر الاندلس ، وقام باجراء اتصالات واسعة مع موالى الامويين ، وعرض عليهم امر ابن معاوية فوافقوا على دخوله الى الاندلس[(٣)] .

ولم يكن يوسف الفهرى على علم بتحركات موالى الامويين فى الاندلس ، وكان مشغولا باعمال حربية فى الشمال ، وبمعالجة بعض الاحداث . وكانت الاندلس – فى هذا الوقت – غير هادئة الاوضاع ومشجعة لعبد الرحمن بن معاوية فى الحضور اليها[(٤)] .

= ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ٢٦/١ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ١٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٧/٢ .

(١) الضبى ، بغية الملتمس ، ص ١٢ ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربى ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، منشورات دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٥٨م ، ١٥٤/٤ ، المقرى ، نفح الطيب ، ٢٣٨/١ .

(٢) انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٤٤ . والصميل هو : الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن ، جده شمر هو قاتل الحسين رضى الله عنه ، وهو من أهل الكوفة ، فلما قتله تمكن منه المختار بن أبى عبيد فقتله وهدم داره ، فارتحل ولده من الكوفة وصاروا بالجزيرة ثم صاروا فى جند قنسرين ، وصار الصميل زعيما بالاندلس ، وفاق بالنجدة والسخاء . ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤/٢ .

(٣) انظر المقرى : نفح الطيب ، ٢٩/٣ .

(٤) د. عبد الرحمن على الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٢١٦.

ثم قام ابو عثمان عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، باعداد مركب ، ووجها فيه احد عشر رجلا من بينهم بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، وامروا بالتوجه الى ابن معاوية لاحضاره الى الاندلس ، وكان قد بعث اليهم بخاتمه ، فلما وصل الوفد المرسل الى شط مغيلة من بلاد البربر ، وجدوا عبد الرحمن بن معاوية في انتظارهم ، فادخلوه المركب وتوجهوا به الى بلاد الاندلس .(١)

وفي غرة ربيع اول سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م ، دخل عبد الرحمن ابن معاوية الاندلس ، وكان خروجه من المركب بموقع يقال له المنكب(٢) (Almunecar) ، ثم نزل بقرية طرش (Torrox) من كورة البيره(٣) ، فاستقبله بعض جماعة من الامويين واعدوا له مايصلحه من الملبس والمركب والمنزل ، فلما علم يوسف الفهري الوالي على الاندلس بذلك ، كتب الى جماعة الامويين يحذرهم ويخوفهم ، فقالوا له : انما اقبل ابن معاوية الينا والى جماعة مواليه يريد المال ولايريد شيئا غير ذلك .(٤)

ثم اجتمع الناس حول ابن معاوية وبايعته معظم الاجناد واقبل الناس اليه من كل مكان ، ولما ضاقت الاحوال بالفهري اشار عليه الصميل بن حاتم شريكه في الحكم بمخادعة ابن معاوية بان يعرض عليه تزويجه ابنته وان يرسل اليه بعض الهدايا لانه حديث عهد بزوال النعمة وجرت مفاوضات بين الطرفين ، وقبل عبد الرحمن الهدية ورفض المصاهرة .(٥)

---

(١) انظر المقري : نفح الطيب ، ٣١/٣ .
(٢) المنكب : بلد على ساحل جزيرة الاندلس من اعمال البيرة بينه وبين غرناطة اربعون ميلا .
ياقوت ، معجم البلدان ، ٢١٦/٥ .
(٣) البيرة : الالف فيه الف قطع وليس بالف وصل وربما قالوا لبيرة وهي كورة كبيرة من كور الاندلس بين القبلة والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا . ياقوت ، معجم البلدان ، ٢٤٤/١ .
(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٤/٢ .
(٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٥/٢ .

ولما قويت شوكة عبد الرحمن بن معاوية ، جمع جموعه وتوجه نحو قرطبة يريد الاستيلاء عليها ، وخلع الفهرى عن الامارة ، فلما كان يوم الجمعة التاسع او العاشر من ذى الحجة سنة ١٣٨هـ ، وقعت معركة حاسمة بين عبد الرحمن بن معاوية من جهة ، ويوسف الفهرى معاونه الصميل بن حاتم من جهة اخرى ، وعرفت هذه المعركة بالمصارة (المصارة) وكانت الغلبة فيها لعبد الرحمن بن معاوية ، اما يوسف الفهرى فقد فر هاربا ونجا بنفسه ، وتمكن عبد الرحمن بن معاوية من دخول قرطبة فى اليوم التالى وبويع بها اميرا على الاندلس (١).

وقد صلى عبد الرحمن بن معاوية فى ذلك النهار صلاة الجمعة بالناس فوعدهم فى خطبته بالخير ، اما الفهرى فقد توجه الى غرناطة فضبطها وخرج عبد الرحمن يتتبعه فحاصره ونازله ، حتى نزل على امانه (٢) وقدم عبد الرحمن بيوسف الى قرطبة واسكنه بها (٣) ، وبذلك يكون الامر قد تم للامير عبد الرحمن بن معاوية ودخلت الاندلس فى عصر الامارة الاموية .

---

(١) انظر ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر ت ٦٥٨هـ ، الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م ، القاهرة ، ج١ ، ص ٦٣ ، الحميرى ، جذوة المقتبس ، ص ٨-٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٦/٢-٤٧ ، المقرى ، نفح الطيب ، ٣٢٩/١ ، د. عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى ص ٢١٧ .

(٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٥٠ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٥/٤ .

(جـ) مفهوم كلمة الحكومة :

الحكومة لغة : "الحكم العلم والفقه وهو مصدر حكم يحكم" .

"والحكم القضاء وجمعه احكام ، وقد حكم عليه بالأمر يحكم حكما وحكومة" . والحكم مصدر قولك حكم بينهم يحكم أى قضى" .(١)

الحكومة فى الاصطلاح :

لها معان متعددة : فقد يقصد بها مجموع الهيئات الحاكمة والمدبرة للدولة . وقد يقصد بلفظ الحكومة : السلطة التنفيذية وحدها التى يشترك فيها رئيس الدولة والوزراء ، ورؤساء المصالح والمؤسسات والهيئات . وقد يقصد بلفظ الحكومة بالوزارة ، كان يقال الحكومة مسئولة امام البرلمان . وقد يقصد بلفظ الحكومة نظام الحكم في الدولة من حيث كونه ملكيا أو جمهوريا ديمقراطيا او ديكتاتوريا .(٢)

وارى ان معنى الحكومة الذى يعنينا فى هذا البحث هو مجموع الهيئات الحاكمة والمدبرة للدولة .

الحكومة الإسلامية :

تسمى نظم الحكم والادارة فى الاسلام بالسياسة الشرعية ، أو السياسة الحكمية ، وهى تقابل ما ورد من نظم فى القانونين الدستورى والادارى الوضعيين .(٣)

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١ ، ص ٦٨٨ .

(٢) انظر : على على منصور ، نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص ١١٧ . وانظر ايضا د. محمد فاروق النبهان ، نظام الحكم فى الاسلام ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٤م ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٣) انظر : على على منصور ، نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية ، ص ٤٥ .

"والسياسة الشرعية هي تدبير الشئون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما لايتعدى حدود الشريعة .. وبعبارة اخرى هي متابعة السلف الأول في مراعاة المصالح ومسايرة الحوادث . والمراد بالشئون العامة للدولة كل ماتتطلبه حياتها من نظم ، سواء اكانت دستورية ام مالية ام تشريعية ام قضائية ام تنفيذية ، وسواء اكانت من شئونها الداخلية ام علاقاتها الخارجية . فتدبير هذه الشئون والنظر في اسسها ووضع قواعدها بما يتفق واصول الشرع هو السياسة الشرعية " .(١)

ولكن القرآن الكريم لم يفصل "نظاما لشكل الحكومة ، ولاتنظيم سلطاتها ، ولااختيار أولى الحل والعقد فيها . وانما اكتفي بالنص علي الدعائم التي ينبغي أن تعتمد عليها نظم كل حكومة عادلة ولاتختلف فيها أمة عن امة ، فقرر العدل في قوله سبحانه : {واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}(٢) . والشورى في قوله عز شانه : {وشاورهم في الأمر}(٣) . والمساواة في قوله سبحانه : {انما المؤمنون اخوة}(٤) . اما ماعدا هذه الأسس من النظم التفصيلية فقد سكت عنها ليتسع لاولي الأمر أن يضعوا نظمهم ويشكلوا حكومتهم ويكونوا مجالسهم بما يلائم حالهم ويتفق ومصالحهم ، غير متجاوزين حدود العدل والشورى والمساواة " .(٥)

والذي يمثل الحكومة الاسلامية هو الامام أو الخليفة الذي تختاره الأمة . اما الاختيار فيتم عن طريقين : "احدهما باختيار اهل العقد والحل . والثاني بعهد الامام من قبل"(٦) .

---

(١) عبد الوهاب خلاف ، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ ، ص ١٥ .
(٢) سورة النساء ، الآية (٥٨) .
(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩) .
(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٠) .
(٥) عبد الوهاب خلاف ، السياسة الشرعية ، ص ١٩-٢٠ .
(٦) الماوردي : ابو الحسن علي محمد بن حبيب البغدادي (ت٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص ٦ .

نشأة الخلافة :

بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، اجتمع نفر من الانصار فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار من يخلفه صلى الله عليه وسلم "فاتى آت الى أبى بكر وعمر ، فقال : ان هذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا اليه ، فان كان لكم بأمر الناس حاجة فادركوا قبل ان يتفاقم امرهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يفرغ من أمره ، قد اغلق دونه الباب اهله . قال عمر : فقلت لابى بكر : انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار ، حتى ننظر ماهم عليه" (١) .

واسرع أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى سقيفة بنى ساعدة ، ووجدا ان الانصار قد هموا بتولية سعد بن عبادة ، اذ انهم كانوا يرون احقيتهم فى هذا الامر ، لما لهم من سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الاسلام ليست لاحد من العرب (٢) .

وجرى حوار بين المهاجرين يمثلهم أبو بكر وعمر وابو عبيدة ، وبين الانصار ، أدلى كل فريق منهم بحجته ، وهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بالحديث ، فقال له ابو بكر : على رسلك ياعمر . قال عمر : "فكرهت ان اغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ماترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى الا قالها فى بديهته ، او مثلها او افضل ، حتى سكت قال : اما ماذكرتم فيكم من خير ، فانتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب

---

(١) ابن هشام : أبو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، منشورات دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ٣٠٧/٤ .

(٢) انظر الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الامم والملوك ٢٠٧/٢ .

نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم واخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئا مما قال غيرها ، كان والله أن اقدم فتضرب عنقى ، لايقربنى ذلك الى اثم ، احب الى من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر" . قال قائل من الانصار : "منا امير ومنكم امير يامعشر قريش" فلما كثر اللغط وارتفعت الاصوات ، قال عمر لابى بكر : "ابسط يدك يا ابا بكر فبسط يده فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الانصار" (١) .

وفى اليوم التالى لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، جلس عمر على المنبر "فتشهد وابو بكر صامت لايتكلم قال : كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم ، فان يك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات ، فان الله تعالى قد جعل بين اظهركم نورا تهتدون به بما هدى الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وان أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين ، فانه اولى الناس باموركم ، فقدموا فبايعوه ، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة ، وكانت بيعة العامة على المنبر . قال الزهرى عن انس بن مالك سمعت عمر يقول لابى بكر يومئذ : اصعد المنبر . فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة" (٢) .

وباجماع الصحابة - رضوان الله عليهم اجمعين - على بيعة ابى بكر الصديق - رضى الله عنه - اكتسبت الخلافة الصفة الشرعية ، وبنى على هذه البيعة ، وهذا الاختيار ،

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣٠٩/٤-٣١٠ .

(٢) الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب الاحكام ، باب الاستخلاف ، المجلد الثالث عشر ، تصحيح وتحقيق باشراف الشيخ عبد العزيز ابن باز ، رقم ٧٢١٩ ، ص ٢٠٦ .

الفقهاء المسلمون أحكامهم ، فيما يتعلق بالخليفة ، واختياره .

أما عن طريقة اختيار الخلفاء الراشدين الثلاثة ، الذين أتوا بعد أبي بكر رضي الله عنه ، فقد اختلفت طريقة اختيار كل واحد منهم ، ولكنها في مجملها لم تخرج عن الشورى التي تعتبر من أهم اسس الخلافة الراشدة (١) .

مهمة الخليفة :

ومهمة الامام او الخليفة هي "حراسة الدين وسياسة الدنيا" (٢) .

وظيفة الحكومة الاسلامية :

الامامة ولاية عامة في جميع الأعمال سواء كانت تلك الاعمال متعلقة بشئون الدين ، او شئون الدنيا ، ونظرا لتعذر مباشرة الامام تصريف كل الشئون بنفسه ، كان لابد له من تعيين من ينوب عنه في تادية الاعمال والوظائف المتعددة للدولة (٣) . وهذا ماعناه الماوردي بقوله : "لان ماوكل الى الامام من تدبير الامة لايقدر على مباشرة جميعه الا باستنابة" (٤) .

وتتمثل وظيفة الحكومة الاسلامية في الآتي :

---

(١) انظر محمد يوسف الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، تحقيق نايف العباس ومحمد على دولة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ٢/٢٦-٣٧ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٥ ، ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، المقدمة ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص ١٩١ .

(٣) انظر : د. محمد ضياء الدين الريس ، النظريات السياسية الاسلامية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦-١٩٦٧م ، ص ٢١٠ .

(٤) الأحكام السلطانية ، ص ٢٢ .

(١) الالتزام بالشريعة الاسلامية وعدم الحيدة عنها ومحاربة أهل البدع والاهواء .

وقد ذكر الفقيه أبو يعلى الفرا الحنبلي (ت ٤٥٨هـ) هذه الوظيفة بقوله : "حفظ الدين على الاصول التي اجمع عليها سلف الامة . فان زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة واوضح له الصواب ، واخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من الخلل والامة ممنوعة من الزلل" (١) .

(٢) اقامة العدالة وانصاف المظلومين (السلطة القضائية) .

وقد عبر الماوردي عن هذه الوظيفة بقوله : "تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة ، فلايتعدى ظالم ولايضعف مظلوم" ، و"اقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك" (٢) .

(٣) حفظ الامن الداخلي للدولة الاسلامية .

وذلك بـ "حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الاسفار آمنين" (٣) .

(٤) حماية الدولة من الاخطار الخارجية وجهاد اعدائها (التنظيمات الحربية) .

وذلك يتم عن طريق "تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لاتظفر الاعداء بغرة ينتهكون فيها محرما او يسفكون فيها لمسلم او معاهد دما" ، و"جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم او يدخل في الذمة" (٤) .

---

(١) الاحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٧ .
(٢) الاحكام السلطانية ، ص ١٥-١٦ .
(٣) الاحكام السلطانية ، ص ١٦ . وعند ابي يعلى "الذب عن الحوزة" ص ٢٧ .
(٤) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦ .

(٥) تنظيم موارد ومصارف بيت المال حسب قواعد الشريعة الاسلامية (التنظيمات الاقتصادية والمالية) .

وقد عبر الماوردي عن هذه الوظيفة بقوله : "جباية الفيء والصدقات على ماأوجبه الشرع نصا واجتهادا من غير خوف ولاعسف" ، و"تقدير العطايا ومايستحق في بيت المال من غير سرف ولاتقتير ، ودفعه في وقت لاتقديم فيه ولاتأخير" (١) .

(٦) اختيار العمال والموظفين الاكفاء لادارة اعمال الدولة .

وهذا ماعناه الماوردي بقوله : "استكفاء الامناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوض اليهم من الاعمال ، ويكله اليهم من الاموال ، لتكون الاعمال بالكفاءة مضبوطة ، والاموال بالامناء محفوظة" (٢) .

(٧) مباشرة الامام أو الخليفة للامور واشرافه بنفسه عليها وتصفح الاحوال .

وذلك "لينهض بسياسة الامة وحراسة الملة ، ولايعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة" (٣) .

هذه هي وظيفة الحكومة الاسلامية التي استخلصناها من واجبات الامام ، او الخليفة ، او رئيس الدولة "صاحب الولاية العامة" ، كما ذكرتها كتب الاحكام السلطانية .

وفي هذا البحث "الحكومة الاسلامية في الاندلس في عهد بني امية" ، سنبين مدى مطابقة اعمال الحكومة الاسلامية من الناحية النظرية ، مع الواقع العملي للامويين في الاندلس .

---

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

الفصل الأول

الحكام الأمويون في الأندلس الاسلامية

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأمارة منذ تأسيسها حتى سنة ٣١٦ هـ .

المبحث الثاني : الخلافة منذ إعلانها سنة ٣١٦ هـ حتى نهاية عهد الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ هـ .

المبحث الثالث : مدى التزام الحكم الأموي بالشريعة الإسلامية

المبحث الأول

الإمارة الأموية منذ تأسيسها

(١٣٨ - ٣١٦ هـ)

الامارة الأموية منذ تأسيسها ١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م

تمكن عبدالرحمن بن معاوية من دخول قرطبة ، في التاسع أو العاشر من ذي الحجة عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، وأسس أمارة أموية بالأندلس ابتداء من هذا التاريخ(١). ومن ثم استقر بقرطبة ، وثبت قدمه في الملك (٢) ، وذلك بعد انتصاره على يوسف الفهري، والصميل بن حاتم ، آخر أمراء عصر الولاة ، على نحو ماذكرنا في التمهيد.

وعرف الأمير عبدالرحمن بن معاوية بالداخل ، لأنه أول من دخل الأندلس من أمراء بني مروان (٣) . وعرف أيضا بالأول ، لأنه أول أمير أموي دخل الأندلس يحمل اسم عبدالرحمن (٤) . كما لقب بصقر قريش ، لكونه تغرب ، وقطع البر والبحر ، وأقام وحده ملكا كان قد أدبر (٥) .

وباعلان الأمارة من قبل الداخل ، خرجت ولاية الأندلس من تبعيتها للخلافة الاسلامية بالمشرق ، وأصبحت أمارة مستقلة ، استقلالا تاما في إدارة شئونها الداخلية والخارجية ، ودخلت الأندلس الاسلامية في عهد جديد ، إلا أنها ظلت تدعو للخليفة العباسي فوق منابرها فترة من الزمان ، حسبما ذكرت المصادر الأندلسية . فقد ذكر ابن الأبار : أن الداخل أقام أشهرا دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور (٦) مقتديا في ذلك

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٦٣ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٨ – ٩ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٤٦/٢ – ٤٧ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣٢٩/١ .

(٢) المقري ، نفح الطيب ، ٣٢٩/١ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣٢٩/١ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤٣٣/٤ .

(٤) المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٧/١ .

(٥) المصدر نفسه ، ٣٣٢/١ .

(٦) انظر في ترجمته : الخطيب البغدادي : أبوبكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي (بيروت – لبنان) ٤٦/١٠ ومابعدها . ابن كثير : عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، طباعة دار الفكر العربي ، ١٢١/١٠ – ١٢٢ ، السيوطي:جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ص ٢٥٩ ، =

بيوسف الفهري الوالي الذي قبله ، إلى أن أفرد نفسه بالدعاء ، ويقال أن عبدالملك بن عمر ابن مروان بن الحكم (١) ، أشار عليه بذلك عند خلوص الأمر إليه ، فقبله ، إلا أنه لم يتعد اسم الامارة (٢) .

وذكر ابن الأثير : أن الداخل ، خطب للمنصور العباسي ، عشرة أشهر ، ثم قطع الخطبة له ، بعد أن ألزمه عبدالملك المرواني بذلك (٣) .

وتابع المقري ، والنويري ، ابن الأثير ، في أن مدة الدعاء كانت عشرة أشهر ، وأن عبدالملك بن عمر هو الذي ألزم الداخل بقطع الخطبة (٤).

وذكر ابن فضل الله العمري : أن عبدالرحمن كان يدعو لأبي جعفر المنصور ، حتى دخل الأندلس عبدالملك بن عمر ، وحضر خطبة الجمعة معه ، ولما سمع الدعاء لأبي جعفر ، أنكر ذلك عليه وقال : « وأي مودة بيننا وبين هؤلاء ؟ عدوا علينا فلم يرقبوا إلا ولاذمة ، واستحلوا منا كل حرمة ، وأخرجونا من أرض الله الواسعة ، فالجؤا فلنا إلى هذه القاصية ، ثم هانحن الآن نساترهم فيها ، ونمد لهم خيط باطلهم بالدعاء لهم ، أعطى

= محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ١٩٧٣م ، ٢/٢١٦ .

(١) هو عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم . قعيد جماعة آل مروان في وقته ، وفارسهم وشهابهم . قدم من مصر على عبدالرحمن بن معاوية في سنة ١٤٠ هـ أول ولايته بالأندلس، وهو في عشرة رجال من بنيه فرسان فولاه أشبيلية ، وولي ابنه عبدالله مورور، أغنى في حرب يوسف الفهري عند نكثه وفراره من قرطبة حتى قتل . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١/٥٦ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٥٨ – ٥٩ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١/٣٦ .

(٣) الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ، ٦/١٠.

(٤) انظر نفح الطيب ، ٣/٥٩ ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق د.أحمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، ٢٣/٣٤٥ – ٣٤٦ .

الله عهدا ، لئن لم تحول الدعوة لهم ، إلى البراء منهم ، لأنقلبن على وجهي مبادرا في هذه الأرض العريضة ، وقد كان ذلك من هوى عبدالرحمن الداخل ، إلا أنه آثر الأناة إلى أن استضاء برأي عمه ، فترك الخطبة لأبي جعفر ، وتفرد بالدعاء لنفسه ، وذلك بعد سنة من دخوله الأندلس » (١) .

لقد اختلفت المصادر في تحديد المدة التي ظل الداخل يدعو فيها للمنصور العباسي . وتشير بعض هذه المصادر التي ورد ذكرها ، إلى أن مدة الدعاء كانت قصيرة ، كما ربطت قطع الدعاء بعبدالملك المرواني .

وكما ذكرت سابقاً (*) ، فإن إعلان الإمارة كان في التاسع أو العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ ، أي مع نهاية هذا العام .

ويمكن القول بأن الداخل استمر في دعائه للعباسيين مدة عام – منذ نهاية عام ١٣٨ هـ وبداية عام ١٣٩ هـ – إلى أن دخل عبدالملك بن عمر إلى الأندلس في سنة ١٤٠هـ، فقطع الخطبة بناء على رأيه .

وكان عبدالملك بن عمر يعبر في الحديث السابق عما يجيش في نفسه للأمير الداخل ، وما يجيش في نفس كل أموي ، وعن الحالة التي يعيشونها من جراء انتزاع العباسيين الخلافة منهم ، ومطاردتهم لهم ، إلى أن أقصوهم إلى أرض الأندلس ، وإلى المعاملة القاسية التي وجدوها منهم . فكيف يأتي الداخل ويدعو لهم في خطبة الجمعة؟ ويمد لهم خيط باطلهم كما عبر بذلك عبدالملك بن عمر ، وهم الذين طاردوه ولم ينج منهم إلا بأعجوبة بالغة ؟

---

(١) ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحي (ت ٧٤٩ هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوط ، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم ٢٧٩٧ ، استانبول ، السطر الرابع والعشرون ، ص ٢٠٨ .

(*) انظر : ص ١٩ .

لقد كان طبيعيا أن يدعو الداخل للمنصور العباسي في أول الأمر لاسيما وأن دولته كانت وليدة تتهددها الأخطار من كل جانب ، كما أنه كان لايريد أن يثير حفيظة الرعية الاسلامية بالأندلس ، والتي كانت تنظر إلى الخلافة بالمشرق نظرة احترام وتقدير ، ولكنه لما أحس بالقوة ، قطع الدعاء لأبي جعفر المنصور ، وكان يتوجس خيفة من الاقدام على هذه الخطوة في مبدأ الأمر . يقول ابن عذاري « واستوسق الأمر للأمير عبدالرحمن، وأمر بلعن المسودة ، وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور » (١) .

يبدو أن الداخل كان يبيت النية لقطع الدعاء للعباسيين ، وكان يتحين الفرصة المناسبة لاتخاذ هذا الإجراء الذي سيكون له صدى كبيرا إذا أعلن ، فلما دعاه عمه إليه، وافق هوى في نفسه كما ذكر ابن فضل الله العمري .

ان قطع الدعاء في الخطبة معناه الاستقلال التام عن السلطة المركزية في المشرق، وعدم التبعية لها . وما كان الداخل يريد الدخول في نزاع مع الخلافة العباسية، ومواجهتها باعلان استقلاله منذ البداية ، وكان يرجيء ذلك لحين الفراغ من بعض المشكلات الداخلية التي تواجهه . وكانت فترة السنة أو الأشهر التي ذكرها المؤرخون والتي قطع الدعاء بعد مضيها كافية لاتخاذ قراره تجاه الخلافة العباسية ، وتحديد موقفه منها . وعلى الرغم من أنه قطع الدعاء للعباسيين ، إلا أنه « لم يعد اسم الامارة»(٢)، فكان يلقب بالأمير وعليه جرى بنوه من بعده ، فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين(٣)، ولكن ابن حزم يذكر أنه رأى شعرا لأحد الشعراء يخاطب فيه عبدالرحمن بن معاوية بإمرة المؤمنين(٤)، وإن كان ذلك ليس دليلا كافيا للاستدلال على أن الداخل قد تسمى بأمير المؤمنين ، وربما تكون مخاطبته له من قبيل المجاز .

---

(١) البيان المغرب ، ٤٨/٢ .

(٢) ابن الأبار ، الحله السيراء ، ٣٦/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٦٥/٤ ، المقري ، نفح ، ٣٣٠/١ .

(٤) رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د. احسان عباس ٤٩/٢ .

ويعد قطعه الدعوة للعباسيين في منابر الأندلس سد المذاهب منهم دونها (١) .

لقد كان الداخل ينظر إلى الخليفة العباسي بأنه أحق بالخلافة منه ، فالتزم سمة الامارة فقط ، ولم يتعداها ، ولكنه كان يخاطب بابن الخلائف . يقول المسعودي : « وتدعى بني أمية بها – بالأندلس – بني الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء لأن الخلافة لايستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين » (٢) .

ولكن إذا أردنا أن نصنف هذه الامارة الوليدة بالأندلس تبعا للتصنيفات التي وضعها فقهاء الاحكام السلطانية ، فأين يكون موضعها ؟

لقد قسم الفقهاء الامارة العامة إلى قسمين : « أمارة استكفاء بعقد عن اختيار ، وأمارة استيلاء بعقد عن اضطرار » (٣) .

أما أمارة الاستكفاء فتنعقد عن أختيار الامام وتفويضه لشخص ما أمارة بلد أو اقليم (٤) .

وهذا النوع بالطبع لاينطبق على أمارة (الداخل) ، لأنه انتزع الأندلس انتزاعا ، واستولى عليه عنوة ، كما أن أحدا لم يفوضه ولم يعهد إليه ، ولكن شيعته ومواليه هم الذين وقفوا معه وساندوه إلى أن أعلن نفسه اميرا على البلاد ، ولم يكن ذلك باختيار الامام ورضاه .

وأما أمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار فهي : « أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة أمارتها ويفوض إليه تدبيرها وسياستها » (٥) . والأمير عبدالرحمن

---

(١) المقري ، نفح ، ٢٢٩/١ .

(٢) المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، (ت ٣٤٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م ، ١٨٣/١ .

(٣) الماوردي ، ابوالحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية ، ص٣٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

هنا قد استولى بالقوة على بلاد الأندلس ، ولكن الخليفة لم يفوض اليه شيئا من الأمور ، ولم يعترف بأمارته بل حاول منازعته وخلعه من الامارة (١) .

فالأمارة هي امارة استيلاء بالقوة لاشك في ذلك . ويمكننا ان نصنف هذه الامارة على انها أمارة تغلب .

وقد أشار ابن حزم في رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، الى من ولي الخلافة مغالبة من بني أمية بالأندلس ، فذكر عبدالرحمن بن معاوية الداخل (٢) .

وعلى أية حال فقد استطاع عبدالرحمن بن معاوية السيطرة على زمام الأمور في الاندلس ، وأن يعلن نفسه أميرا على البلاد من قرطبة التي استقر بها « ومهد الدولة بالأندلس ، وأثل بها الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز ، وجدد ماطمس لهم من معالم الخلافة وآثارها » (٣) .

ولم يستقم له الامر إلا بعد أن بذل السيف في مخالفيه فأذعن الجميع لطاعته(٤)، وخرجت الأندلس من يومها عن نظر صاحب القيروان بل وعن نظر الخليفة في المشرق (٥) .

قال ابن حيان : « ألفى الداخل الأندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك عاطلا ، فأرهف أهلها بالطاعة السلطانية ، وحنكهم بالسيرة الملوكية ، وأخذهم بالآداب فاكسبهم

---

(١) انظر ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ابن حزم ، رسالة نقط العروس ، ٥٦/٢ .

(٣) ابن حيان برواية المقري ، نفح الطيب ، ٣٢٩/١ .

(٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، عني بتصحيحه ومراجعته عبدالله الصاوي ، ط١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص ٢٨٧ .

(٥) السلاوي الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ هـ) ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م ، جـ١ ، ص ١٢١ .

عما قليل المروءة ، وأقامهم على الطريقة ، وبدأ فدون الدواوين ، ورفع الأواوين وفرض الأعطية ، وعقد الألوية ، وجند الأجناد ، ورفع العماد ، وأوثق الأوتاد ، فأقام للملك آلته ، وأخذ للسلطان عدته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه » (١) .

قدم ابن حيان وصفا دقيقا للحالة التي وجد الداخل عليها أهل الأندلس ، حيث أنها كانت خالية من المظاهر السلطانية ، ويعني ذلك أنها كانت ترزح في ضرب من الفوضى وعدم الانضباط ، فاستطاع الأمير عبدالرحمن أن يجعل منها أمارة منظمة لها كينونتها ورسومها ودواوينها ، مما جعل أكابر الملوك يعترفون به ويحذرونه .

الأوضاع الداخلية خلال حكم الأمير عبدالرحمن

كانت الأوضاع الداخلية في الأندلس خلال هذه الفترة في غاية من الفوضى والاضراب ، وعدم الاستقرار ، وتمثل ذلك في كثرة الثورات الداخلية ضد حكم الداخل . وكان المجتمع الأندلسي يتألف من عدد كبير من العناصر ، وأرى أن أشير إلى هذه العناصر بشيء من الإيجاز .

عناصر المجتمع الأندلسي

(١) المسلمون من العرب والبربر والموالي والسكان الأصليين .

(أ) العرب :

وهم الذين شاركوا في عملية الفتح الاسلامي للأندلس مع طارق بن زياد وموسى بن نصير وكان عددهم قليلا في أول الأمر (٢) ، ثم بدأوا في الازدياد بعد ذلك حتى بلغ عددهم حوالي الثلاثين ألفا ومن ثم تكاثروا بصورة كبيرة نتيجة التزاوج والاستقرار(٣). وعرف المستقرون الأوائل من العرب بالبلديين ، إذ اعتبروا أنفسهم المالكين الوحيدين للبلاد

---

(١) ابن حيان برواية المقري ، نفح الطيب ، ٣٣٢/١ .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح افريقية والأندلس ، ص ٧١ .

(٣) انظر د.حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع – جده ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٦٥ .

، وسموا بالبلديين ، أي أهل البلاد وأصحابها (١) وعرفت مجموعة أخرى من العرب بالعرب الشاميين وهم الذين دخلوا الأندلس سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠م (٢) .

(ب) البربر :

شارك البربر في عملية الفتح الاسلامي للأندلس إلى جانب العرب ، وكان عددهم كبيرا مقارنة بالعرب ، وكانوا جميعا تحت إمرة طارق بن زياد (٣) . وكان استقرارهم مماثلا للبلديين – العرب الأوائل – إذ سكنوا على امتداد الطريق التي سلكتها حملتا طارق وموسى (٤) . ثم تزايدت أعدادهم بعد ذلك بصورة كبيرة بعد أن تمت عملية الفتح على يد طارق بن زياد ، فهاجر عدد كبير منهم إلى الأندلس ، وقد أمدنا ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب بمعلومات وافية عن منازل البربر بالأندلس (٥) .

(جـ) الموالي :

وهم موالي بني أمية ، الذين جاؤوا مع الفاتحين العرب والبربر ، أو جاؤوا للاستقرار في الأندلس بعد ذلك . يقول ابن القوطية : « ثم ان هشام بن عبدالملك عزل ابن الحبحاب عن أفريقية وماوراءها من المغرب ، وولى عليها كلثوم بن عياض القيسي .... فقدم كلثوم أفريقية ومعه ثلاثون ألفا ، عشرة آلاف من موالي بني أمية ، وعشرون ألفا من بيوتات العرب » (٦) .

---

(١) د.عبدالواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا ، دار الرشيد للنشر – بغداد – ١٩٨٢م ، ص ٢١١ .

(٢) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية – دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٢٦ .

(٣) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص ١٧ .

(٤) د.عبدالواحد ذنون طه ، استقرار القبائل البربرية في الأندلس ، مجلة أوراق – المعهد الاسباني العربي – مدريد ، العدد الرابع ، ١٩٨١م ، ص ٣٥ .

(٥) انظر ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب – تحقيق وتعليق عبدالسلام هارون ، دار المعارف– مصر – الطبعة الخامسة ، ص ٤٩٨ – ٥٠٢ .

(٦) تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٩ – ٤٠ .

وبالطبع فقد دخل هؤلاء الموالي ضمن العرب الذين دخلوا الأندلس ، ليشكلوا عنصرا من عناصر المجتمع الاندلسي ، وهم الذين ساندوا عبدالرحمن الداخل حتى تم له الأمـــر.

(د) السكان الأصليون : (المسالمة والمولدون) :

وهم القوط والأسبان الذين أسلموا منذ الفتح ، ودخلوا دائرة المجتمع الاسلامي إلى جانب العرب والبربر ، ويسمون أحيانا بالمسالمة أو الأسالمة أو أسالمة أهل الذمة متى كان اسلامهم حديثا (١) .

(٢) النصارى واليهود من أهل الذمة :

(أ) النصارى :

وهم أهل البلاد الأصليين الذين بقوا على نصرانيتهم ، دون إكراه ولا مساومة ، فأصبحوا يتمتعون بحقوق ، ويقدمون واجبات ، وعرفوا بالمعاهدين (٢) . وكانوا يجيدون اللغة العربية .

(ب) اليهود :

كانت هناك جاليات يهودية تعيش في معظم المدن الأسبانية ، وكان المسلمون عند فتـحـهم الأندلس إذا وجدوا اليـهـود ببلدة تركـوهـم بها ، وأبقـوا مـعـهـم من المســلمين طائفــة(٣).

---

(١) محمد عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الرابعة – ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، جـ١ ، ص ٢٠٦ . وانظر د.يوسف حوالة ، بنو عباد في أشبيلية – دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٤٩ .

(٢) د.عبدالله حمادي ، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ١٩٨٩م ، ص ١٣ .

(٣) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس،ص ٢٢، ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٢.

الثورات الداخلية ضد حكم الداخل :

واجه الداخل عددا كبيرا من الثورات الداخلية التي كادت أن تودي بحكمه وسلطانه، ولكنه تصدى لها بكل شجاعة وحزم ، واستطاع أن يقضي عليها ، ويثبت حكمه ويوطده . وكانت معظم هذه الثورات من زعماء القبائل العربية (١) .

ونتيجة لكثرة الثورات الداخلية من زعماء القبائل العربية ، فقد استراب الداخل بالعرب ، ولجأ إلى اصطناع الموالي ، والبربر ، يقول صاحب النفح : « وكثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبدالرحمن الداخل ، ونافسوه ملكه ، ولقي منهم خطوباً عظيمة ، وكانت العاقبة له ، واستراب في آخر أمره بالعرب ، لكثرة من قام عليه منهم ، فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم ، واتخاذ الموالي » (٢) .

ولعله من المناسب في هذا المقام أن نشير إلى رأي ابن الخطيب في كثرة الثوار بالأندلس ، حيث يقول : « والسبب في كثرة الثوار بالأندلس يومئذ ثلاثة وجوه : الأول منعة البلاد ، وحصانة المعاقل ، وبأس أهلها ، بمقاربتهم عدو الدين ، فهم شوكة وحد بخلاف سواهم ، والثاني علو الهمم ، وشموخ الأنوف ، وقلة الأعمال لثقل الطاعة ، إذ كان من يحصل بالأندلس ، من العرب ، والبرابرة أشرافاً يأنف بعضهم من الاذعان لبعض ، والثالث : الاستناد عند الضيقة ، والاضطرار إلى الجبل الاشم ، والمعقل الأعظم ، من ملك النصارى ، الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض » (٣) .

---

(١) عن هذه الثورات انظر : مجهول المؤلف ، أخبار مجموعة ص ٨٧ - ١٠٥ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٢ - ٥٦ ، العذري ، أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨ هـ) ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، تحقيق د.عبدالعزيز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ١٩٦٥م ، ص ١١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص ٤٩ - ٥٨ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣٣٣-٣٣٢/١

(٢) المقري ، ٣٣١/١ .

(٣) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٣٦ .

تلك هي الأسباب التي أدت إلى كثرة الثوار بالأندلس في رأي ابن الخطيب ، وهوتحليل رائع لهذه الظاهرة ، فالبلاد منيعة وحصينة ، تجاورها الامم النصرانية ، التي تحرص على الايقاع بين المسلمين ، وضرب بعضهم ببعض ، اضافة إلى الأنفة التي كانت سمة من سمات العرب والبربر بالأندلس فكل واحد لايريد الخضوع والطاعة والتسليم للآخر، وكل يرى أنه أحق بالأمر من غيره .

أشاع الداخل في سنة ١٦٣ هـ / ٧٨٩ م أنه يريد التجهز والخروج الى الشام للأخذ بثأر الأمويين من العباسيين وانتزاع الخلافة، ولكن عصيان سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى الانصاري أدى إلى عدوله عن هذه الفكرة (١) . ولم يقدم الداخل على هذه الخطوة إلا بعد أن شعر بقوته، وأن زمام الأمور في يده ولكن لخطورة ثورة سليمان والحسين الانصاري واتصال الأعرابي بقوى خارجية جعلت الداخل يعدل عن هذه الخطوة.

إن همة الداخل، وعزيمته، واصراره ، وشدة شكيمته من الأسباب التي جعلت الخليفة العباسي أباجعفر المنصور، يعجب به أيما اعجاب، ويكثر من الثناء عليه على الرغم من العداء الذي كان مستحكما بينهما، فقد ذكر أن أباجعفر المنصور، قال يوما لبعض جلسائه: «أخبروني: من صقر قريش من الملوك؟ قالوا ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك، وسكن الزلازل، وأباد الأعداء، وحسم الأدواء» قال ماقلتم شيئا!» قالوا «فمعاوية» قال: لا ! قالوا فعبد الملك بن مروان« قال ما قلتم شيئا » قالوا ياأمير المؤمنين فمن هو ؟ قال صقر قريش عبدالرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلداً أعجميا منفرداً بنفسه ، فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودون الدواوين ، واقام ملكا عظيما بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته ، ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه ، وعبدالملك ببيعة تقدم له عقدها ، وأمير المؤمنين بطلب عشيرته واجتماع شيعته، وعبدالرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه»(٢) .

---

(١) انظر النويري ، نهاية الارب في فنون الأدب ، جـ ٢٢ ، ص ٣٤٨ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٥٤ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، مخطوط ، جـ ٢٤ ، ص ٣٠٩ .

(٢) ابن عبدربه ، أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق =

هذه شهادة حق شهد بها المنصور للداخل ، الذي تمكن بمفرده وعزيمته القوية، من بناء دولة عظيمة قوية بحسن تدبيره ورجاحة عقله .

وكان المنصور يقول عنه : « وما الذي يقال في رجل يركب من نتاجه، ويلبس من ديباجه، وينفق من خراجه » (١) .

ومما يدلنا على رجاحة عقله أنه لما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر ، فقال إني محتاج لما يزيد عقلي ، لا لما ينقصه ، فعرفوا بذلك قدره ؛ ثم أهديت إليه جارية جميله فنظر إليها وقال : ان هذه من القلب والعين بمكان ، وان أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها ، وان اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتي ، ولا حاجة لي بها الآن، وردَّها على صاحبها » (٢) .

ومن مدح أبي جعفر المنصور للداخل أيضا قوله : « لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه ، فالشأن في أمر فتى قريش الأحوذي الفذ في جميع شئونه ، وعدمه لأهله ونشبه ، وتسليه عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ، ومضاء عزيمته ، حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتناء مجده ، فاقتحم جزيرة شاسعة المحل ، نائية المطمع ، عصبية الجند ، ضرب بين جندها بخصوصيته ، وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته ، واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته ، حتى انقاد له عصيهم ، وذل له ، أبيهم ، فاستولى فيها على أريكته ، ملكا على قطعته ، قاهرا لأعدائه حاميا لذماره ، مانعا لحوزته

= محمد سعيد العريان – الناشر : دار الفكر ، ٢١٤/٥ ، مجهول أخبار مجموعة ، ص ٦٠، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٠/٢ ، ابن سماك العاملي : أبو القاسم محمد بن أبي العلاء المالقي ، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة ، تحقيق د.محمود علي مكي – منشورات المعهد المصري للدراسات الاسلامية – مدريد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٢٧–١٢٨.

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٥ .

(٢) المقري ، نفح الطيب ، ٤٢/٣ .

خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه ، ان ذلك لهو الفتى كل الفتى لايكذب مادحه » (١) . وذكر ابن حزم بعض ذوي الحزم من الخلفاء بعد الصحابة رضوان الله عليهم ، وذكر منهم الداخل (٢) .

وكان نقش خاتمه : « بالله يثق عبدالرحمن ، وبه يعتصم »« وعبدالرحمن بقضاء الله راض » (٣) . ولعل نقش الخاتم من أهم الرسوم السلطانية التي اهتم بها الداخل، أما بقية الرسوم الأخرى فلم تتضح بعد بصورة واضحة . فقد شغلته الثورات المتتالية التي تعرض لها عن النهوض بالدولة على الوجه الأكمل ، والانصراف نحو الاصلاحات الداخلية، وعلى الرغم من ذلك فقد اهتم الى حد كبير بشئون العمران ، وخاصة المساجد، حيث بنى المسجد الجامع بقرطبة ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، وقد توفي قبل تمام بناء هذا المسجد ، كما بنى مساجد أخرى (٤) ، وبدأ في إنشاء سور قرطبة الكبير في سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م والذي استغرق العمل فيه مدى خمسة أعوام (٥) ، كذلك بنى بقرطبة منية الرصافة وقصرها المنيف وجلب إليها مختلف الغروس والبذور والنوى من الشام وأفريقية ، وسمى تلك الضاحية الجديدة بالرصافة تخليدا لذكرى الرصافة التي أنشأها جده هشام بالشام (٦) .

وعلى الرغم من وصف بعض المصادر للداخل بالقسوة والشدة مع مخالفيه إلا أنه أثر عنه أيضا انه كان يميل إلى التسامح أحيانا ، فيروي أنه : « ثار عليه ثائر ، فغزاه

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، ٣٣١/١ .

(٢) ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) ، نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – المجلد الثالث عشر ، ص ٧٢ .

(٣) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤/٣ .

(٤) انظر المقري ، نفح الطيب ، ٣٢٩/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٢٦٧/٤ ، المقري ، ٣٣٤/١ .

(٦) محمد عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ٢٠٠/١ .

وظفر به . فبينما هو في الطريق إذ نظر إلى الثائر وهو على بغله في كبوله ، وتحت الأمير عبدالرحمن فرس له ، فلما لحقه قنع رأسه بالقناة وقال : « يابغل ! ماذا تحمل من الشقاق والنفاق » فقال الثائر : « يافرس ماذا تحمل من العفو والاشفاق ! » فقال : « والله لاذقت موتا على يدي » وأطلقه (١) .

وفاتــــه :

توفي الداخل في عام ١٧٢ هـ بعد أن أرسى دعائم الحكم لابنائه من بعده ، وبعد أن قضى على كثير من مخالفيه ومعارضيه (٢) .

ذكر ابن حزم : أن دولة بني أمية بالاندلس كانت أنبل دول الاسلام ، وأنكاها في العدو ، وقد بلغت من العز والنصر مالا مزيد عليه » (٣) .

ولاية العهد :

اختلفت الروايات حول ولاية العهد ، وهل عهد الداخل بالأمر لأحد أبنائه قبل وفاته، أم لم يعهد وترك الأمر دون تحديد ؟ .

ذكر ابن الخطيب : أن الداخل عقد الأمر لابنيه هشام(٤) وسليمان(٥) فاستحقها هشام باستباقه إلى قصر الخلافة قبل أخيه ، إذ كانا غائبين . ولما حضرته الوفاة وابنه

---

(١) ابن عذاري ، البيان ، ٥٩/٢ ، وانظر ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ٢١٥/٥ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٨/٢ .

(٣) ابن حزم برواية المقري ، نفح ، ٣٢٧/١ .

(٤) هو هشام بن عبدالرحمن بن معاوية ولد لأربع ليال خلون من شوال سنة تسع وثلاثين ومائة ، كنيته أبو الوليد أمه حوراء وقيل جمال ، بويع له بعد وفاة أبيه وامتدت ولايته سبعة أعوام ، توفي في صفر عام ١٨٠ هـ . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢٧/١ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٣ ، ابن عذاري ، البيان ، ٦١/٢ .

(٥) هو سليمان بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام مولده بالشام وهو أسن من أخيه هشام، إلا أن في طبعه شدة وجفاء ، المقري ، نفح ، ٣٣٤/١ .

هشام بماردة وابنه الآخر سليمان بطليطلة ، وكل إبنه عبدالملك المعروف بالبلنسي وقال له: «من سبق إليك من أخويك فابرأ اليه بالخاتم والأمر فإن سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفافه ، واجتماع الكلمة عليه ، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الناس له » . فقدم هشام قبل أخيه سليمان فلقيه البلنسي وسلم إليه الأمر وأدخله القصر(١).

إذا صحت هذه الرواية ، فإن الداخل يكون قد ارتكب خطأ كبيرا بتولية العهد لاثنين من أبنائه ، مما أدى إلى تأجج حدة الصراع بين الأخوين كل يريد الأمر لنفسه .

ولكن هل يعقل أن يترك الداخل أمر هذه الدولة التي أسسها بعد صراع وكفاح مع العباسيين الذين طاردوه حتى أفلت منهم ، ومع الثوار في الداخل ، وخاض معهم حروبا لم يخمد أوراها إلا قليلا ، هل يترك أمر من يتولى الأمارة بعده لمن يسبق إلى القصر من أبنائه ؟ ولماذا لم يعقد البلنسي لنفسه طالما أنه كان مقيما في قرطبة عند وفاة والده ، وكان الامر في يده ، وكان بامكانه أن يطلب البيعة لنفسه ؟ لا أعتقد أن الداخل قد ترك الأمر دون تحديد لأنه يدرك تماما الخطورة التي تترتب على ذلك .

وعلى كل فقد بويع هشام أميراً على الأندلس في مستهل جمادي الأولى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨ م ، وقد كان بماردة عند وفاة أبيه ، فلما علم بوفاته وصل إلى قرطبة في ستة أيام ، فبايعه الخاصة والعامة (٢) . وبمبايعة الخاصة والعامة يكون هشام هو ثاني أمراء الامويين بالأندلس .

لم يتمكن سليمان من الوصول إلى قرطبة مبكرا حيث سبقه هشام ، واستلم زمام الامر كما أشار إلى ذلك ابن الخطيب ، ولم يكن سليمان ليرضى بذلك وهو الذي

---

(١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٢ . وحسبما جاء في المصادر الأخرى ، ان الأمير عبدالرحمن بن معاوية وكل ابنه عبدالله وليس عبدالملك كما ذكر ابن الخطيب . انظر الأبار الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٦٦٣ - ٦٦٤ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/ ٦١ .

يحبه الشاميون حسب ماذكرت الرواية السابقة ، كما أنه أسن من أخيه ، ولكنهما كانا يختلفان في الطباع كل الاختلاف ، وقد أدرك الداخل هذا الاختلاف بينهما ، فيروى أنه كان كثيرا مايسأل عن ابنيه سليمان وهشام ، فيذكر له أن هشاماً إذا حضر مجلسا امتلأ أدبا وتاريخا وذكرا لأمور الحرب ومواقف الابطال ، وما أشبه ذلك ، وإذا حضر سليمان مجلسا امتلأ سخفا وهذيانا ، فيكبر هشام في عينه بمقدار مايصغر سليمان(١).

ولكن على الرغم من أن ابن عذاري وابن الخطيب يشيران إلى أن الداخل ترك هذا الأمر لمن يسبق الى دار الامارة بعد وفاته ، إلا أننا نجد نصا عند المقرى ، يدل على أن الداخل أشار إلى أن هشاماً ولي عهده ، وذلك عند حديثه إلى عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي ، الذي أرسله الداخل لقتال أهل غرب الأندلس ، فهزم اليمانيه وأهل اشبيلية ، ولم تقم بعدها لليمانية قائمة . وقد جرح عبدالملك في هذه الحرب ، فأتاه عبدالرحمن وجرحه ينزف دما ، وسيفه كذلك ، وقد لصقت يده بقائم سيفه ، فقبله بين عينيه ، وشكره ، وقال له : « يا ابن عم ، قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاماً ابنتك فلانة، وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتك كذا ، ولأولادك كذا ... » (٢) .

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، ٣٣٤/١ .

ويذكر المقري أن الداخل قال يوما لهشام لمن هذا الشعر :

وتعرف فيه من وجه أبيه شمائلا ... ومن خاله أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ... ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال له : ياسيدي لامرئ القيس ملك كنده ، وكأنه قاله في الأمير أعزه الله ، فضمه إليه استحسانا بما سمع منه ، وأمر له باحسان كثير وزاد في عينه . ثم قال لسليمان على انفراد : لمن هذا الشعر وأنشده البيتين ، فقال لعلهما لأحد أجلاف العرب ، أمالي شغل غير حفظ بعض أقوال الاعراب ، فأطرق عبدالرحمن وعلم قدر مابين الاثنين من المزية. المقري ، نفح ، ٣٣٤/١ .

(٢) المقري ، نفح الطيب ، ٥٩/٣ ، وانظر كذلك ابن الأثير ، عزالدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، ٤٠/٥ .

نستخلص من هذا الحديث الذي جرى بين الداخل ، وبين عبدالملك بن عمر ، أن الداخل كان يقر بولاية العهد لابنه هشام .

ويشير كل من ابن الأثير والنويري صراحة إلى أن الداخل ، عهد لابنه هشام، لأنه كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الأمر ، ولهذا عهد اليه (١) .

لقد تضاربت الروايات حول ولاية العهد كما رأينا ، ولكن الذي أرجحه ، هو أن الداخل عهد إلى ابنه هشام صراحة قبل وفاته ، إذ أنه من غير المعقول أن يترك أمر هذه الدولة التي أسسها بعد عناء وجهد ومثابرة دون تحديد من سيخلفه ، والاشارات واضحة في تولية هشام .

ولكن ماذا كان رد فعل سليمان عندما علم بأن هشاما سبقه ، وتولى الأمر بعد أبيه ؟ يروي ابن عذارى : أنه لما صار الأمر إلى هشام ، واتصل ذلك بسليمان أخيه ، أخذ بيعة أهل طليطلة ، وماجاورها لنفسه ، وغلب عليها (٢) .

اذن فان سليمان لم يعترف بأمارة هشام ، وهاهو يأخذ البيعة لنفسه من أهل طليطلة ، والمناطق المجاورة لها ، استعدادا لأخذ بيعة المناطق الأخرى ، ومنازعة هشام في الأمر . وهذا أول خطر حقيقي يهدد الدولة الأموية في الأندلس بعد وفاة مؤسسها عبدالرحمن بن معاوية ، إذ بدأت الاطماع والاحقاد تلعب دورها لتفت في عضد الدولة، وتمزق وحدتها من داخل الاسرة الأموية .

وبعد سبعة أشهر فقط من وفاة الداخل ، إذا بعبدالله البلنسي ، شقيق هشام، يطمح في أن يكون أميرا مكان هشام ، الذي كان يترضاه ويبره ، ويفضله على كثير من اخوته ، ولكن نفس عبدالله أبت عليه الا الخروج على أخيه ، والالتحاق بسليمان في طليطلة(٣). وذلك ليشكلا معا قوة ضاغطة على أخيهما هشام . ولا أدري لماذا لم يعلن عبدالله رأيه هذا عندما كان الأمر في يده ؟

---

(١) انظر ابن الأثير ، الكامل ، ٥/٨٤ ، النويري ، نهاية الأرب ، ٢/٣٥٢ – ٣٥٣ .

(٢) البيان المغرب ، ٢/٦٣ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٦٣ .

كان لابد لهشام من تصرف سريع وحاسم لوضع حد لهذه التصرفات المشينة من قبل اخوته . فخرج في سنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م للقاء أخيه سليمان بطليطلة واخضاعه ، ولما نزل عليه إذا به يخرج مستخفيا يريد قرطبة ، وخلف على طليطلة عبدالله البلنسي ومعه ابناه ، وبلغ خبره إلى هشام إلا أنه لم يكترث له . ولما وصل سليمان قرطبة خرج أهلها مدافعين عنها ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها ، أما هشام فقد استمر محاصرا طليطلة مدة شهرين ثم قفل عنها . ولما لم يظفر سليمان بشيء في قرطبة ، طارده الجند حتى ماردة التي حاول الاعتصام بها ، ولكن عاملها رده عنها ، ففر إلى بلنسية (١) ، ولجأ هناك إلى بعض الثغور (٢) .

لقد ضاقت الأحوال بعبدالله البلنسي ، وسئم من المنازعة ، ولذلك ذهب بنفسه في سنة ١٧٤ هـ/٧٩٠ م إلى أخيه هشام دونما عهد ولا أمان ، فأنزله هشام عند ابنه الحكم، وبذلك انكسرت شوكة عبدالله ودخل في طاعة الأمير هشام (٣) .

أما سليمان ، فإن هشاماً أغزى ابنه معاوية وبعض قواده الى تدمير(٤)، التي لجأ إليها سليمان ، فاضطر سليمان إلى طلب الأمان ، فاشترط عليه الأمير هشام الخروج عن الأندلس مقابل اعطائه ستين ألف دينار ، فخرج مع أهله وولده إلى بعض بلاد البربر(٥).

---

(١) بلنسيه : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس ، تقع في شرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ، سهلية في مستو من الأرض ، عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق وحط وأقلاع . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٩٠/١ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٩٧ .

(٢) أبن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٣/٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٤/٢ .

(٤) تدمير : بالضم ثم السكون ، وكسر الميم ، احدى كور الأندلس وهي في شوقي قرطبة وسميت باسم صاحبها الذي صالح عبدالعزيز بن موسى نصير عند الفتح . ياقوت بن الحموي ، معجم البلدان ، ١٩/٢ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٤/٢ .

وبخروج سليمان إلى بلاد البربر ، ولجوء عبدالله البلنسي إلى هشام بقرطبة ، انتهت الفتنة التي تفجرت بسبب ولاية العهد ، والتي شغلت الأمير هشام زهاء العامين ، ومن ثم صفا له الأمر ، واستقرت له الأمارة .

وقد توافرت صفات الحاكم المسلم ، العادل ، في الأمير هشام ، فقد لقب بالرضا(١)، لعدله وفضله (٢) ، ووصف بأنه كان « حسن السيرة متحريا للعدل ، يعود المرضى ويشهد الجنائز » (٣) . وقد تولى مباشرة الرعية بالرفق والتواضع ، والاقتصاد في الملبس والمركب (٤) .

ووصف أيضا بأنه كان « عاقلا حازما ذا رأي وشجاعة وعدل محبا لأهل الخير والصلاح راغبا في الجهاد » (٥) .

وكان يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – ويبعث بقوم من ثقاته إلى الكور فيسألون عن سير عماله ، ويخبرونه بحقائقها فإذا بلغه حيف من أحدهم ، أوقع به العقوبة وأسقطه وأنصف منه ، ولم يستعمله بعد (٦) .

كذلك فقد كان الأمير هشام يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير ، وذوي البيوتات من الضعفاء (٧) . وكان أيضا يصر

---

(١) ابن حزم الأندلسي ، رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، ٤٨/٢ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٤٢/١ .

(٣) ابن حزم ، مجموعة رسائل ابن حزم ، الملحق ، ص ٩٢ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٠ .

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٢ ، مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٠٩ .

(٥) النويري ، نهاية الأرب ، جـ ٢٢ ، ص ٣٥٨ .

(٦) المقري ، نفح الطيب ، ٣٧٧/١ .

(٧) عبدالواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي – دار الكتاب – الدار البيضاء – ١٩٧٨م ، ص ٣٢ .

الصرر بالأموال ، ويبعث بها إلى المساجد في الليالي المظلمة ، فتعطى لمن وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد (١) .

ان الامام العادل هو الذي يهتم بأمور رعيته ، ويسهر على مصالحهم وهاهو الأمير هشام يتحرى ويسأل عن الضعفاء ، وذوي الحاجة ، في الليالي المظلمة ليسد عوزهم وفقرهم .

وكان نقش خاتمه « بالله يثق هشام ويعتصم » (٢) . وهو الذي اكمل بناء المسجد الجامع بقرطبة ، وبنى عدة مساجد ، وبلغ من عز الاسلام وذل الكفر في عهده ، أن رجلا مات وأوصى بفك أسير من المسلمين من تركته ، فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسير مسلم ليفك لضعف العدو (٣) . ويروى ابن القوطية : أنه لما وصفت سيرته للامام مالك بن أنس قال : « ليت الله زين سمتنا بمثل هذا » (٤) .

وفاة هشام وولاية ابنه الحكم :

توفي الأمير هشام بن عبدالرحمن في سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م ، وولي بعده ابنه الحكم، وله ثنتان وعشرون سنة ، وكنيته أبوالعاصي ، وأمه ام ولد اسمها زخرف (٥) .

ويروى أنه « كان أفحل بني أمية بالأندلس ، وأشدهم اقداما وصرامة وأنفة وأبهة وعزة ، الى ماجمع لذلك من جودة الضبط وحسن السياسة وايثار النصفه . وكان يشبه بالمنصور العباسي في شد الملك ، وقهر الأعداء وتوطيد الدولة » (٦) . كما كان شديد

---

(١) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ، مجهول ، اخبار مجموعه ، ص ١١٠ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٣٥٨ .

(٣) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ، النويري ، نهاية الأرب ، ٣٥٨/٢٣ .

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٢ .

(٥) الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٦) ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ) ، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية ١٩٦٤م ، ج ١ ، ص ٣٨ .

الحزم، ماضي العزيمة ، عظيم الصولة حسن التدبير ، يسلط قضاته وحكامه على نفسه فضلا عن ولده وخدمه (١) . « وهو أول من استكثر من الحشم ، وارتبط الخيول على بابه، وناوأ جبابرة الملوك في أحواله ، وبلغ مماليكه خمسة آلاف : ثلاثة الآف منهم فرسان وهم الخرس ، وسموا بذلك لعجمتهم » (٢) .

وكانت له ألف فرس مرتبطة بجانب القصر ، فكلما حمل إليه البريد خبرا بأمر ، أو خارجي ، عاجله قبل علمه ، فلا يشعر ، إلا وقد أحيط به (٣) . كذلك كان يطلع على أموره بنفسه ، القريب منها والبعيد ، وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه بأحوال الناس ، فيردع الظالم ، وينصف المظلوم (٤) .

وكان نقش خاتمه : « بالله يثق الحكم وبه يعتصم » (٥)

المشكلات الداخلية في عهد الحكم

خروج عميه سليمان وعبدالله :

كانت أول مشكلة واجهت الحكم بعد مبايعته ، هي خروج عميه سليمان وعبدالله عليه ، وهي نفس المشكلة التي واجهت والده الامير هشام بعد توليه الحكم ، واستغرقت منه زهاء عامين حتى تم حسمها بلجوء عبدالله البلنسي إليه من غير أمان ، وبخروج سليمان إلى بر العدوة كما سبقت الاشارة إلى ذلك (*) .

كان سليمان وعبدالله في بر العدوة المغربية ، فلما تولى الحكم بن هشام الامارة، خرجا عليه ، فعبر عبدالله الى الأندلس ، واســـتولى على بلنسية ، وتبعه سليمان الذي

---

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٤ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥/٢٠٣ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٤ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥/٢٠٣ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٨/٢ .

(*) انظر : ص ..

كان بطنجه ، فاقبلا يؤلبان الناس ، ويثيران الفتنه ، ووقعت بينهما وبين الحكم عدة معارك، ظفر فيها الحكم بعمه سليمان فقتله ، أما عبدالله فقد كف عن الفتنة وطلب الصلح، فاجيب إلى ذلك في سنة ١٨٦هـ (١) .

وبذلك انطفأت هذه المشكلة كلية .

ثورة الربض ٢٠٢هـ / ٨١٧م .

كانت ثورة الربض من أبرز وأكبر الأحداث التي حدثت خلال فترة الحكم ، وكان لها اثر كبير على الأوضاع الداخلية ، وعلى شخصية الحكم نفسه ، حتى أنها ارتبطت باسمه فسمي بالحكم الربضي . فما هي أسباب هذه الثورة ؟

يرى ابن حزم أن الحكم بن هشام كان طاغية مسرفا وله آثار سوء قبيحة(٢). ويقول ابن حزم أيضا : « وهو الذي أوقع بأهل الربض الوقعة المشهورة فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم ، وكان الربض محلة متصلة بقصره ، فاتهمهم في بعض أمره ، ففعل بهم ذلك فسمي الحكم الربضي » (٣) .

لم يحدد لنا ابن حزم ماهو الأمر الذي اتهم فيه الحكم أهل الربض وإنما قال اتهمهم في بعض أمره ، فهل مجرد الاتهام مبرر للقيام بمثل هذه الثورة التي كان لها أثر بعيد المدى في نفوس الناس ، وهدم حي بأكمله ؟ .

أما ابن الخطيب فيذكر أن الناس أنكروا عليه أمورا منها : « اطلاق يد ربيع القومس متولي المعاهدين بالأندلس من النصارى ، وكان حظياً في رجاله ، سوغه افتراض المعاون والمغارم على المسلمين . فثار به أهل الربض بقرطبة سنة ٢٠٢ هـ الثورة الشهيرة ونابذوه وجاهروا بخلعه » (٤) .

---

(١) انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥/١٠١ ، ١٠٢ .
(٢) مجموعة رسائل ابن حزم ، ص ١٩٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ .
(٤) أعمال الاعلام ، ص ١٥ .

ربما كان هذا من الأسباب التي أدت بأهل الربض إلى القيام بالثورة على الحكم، ومحاولة خلعه ، وذلك لأنه ولى نصرانيا أمر الضرائب ، وجمعها من المسلمين .

أما ابن خلدون والمقرى : فيذكران أن الحكم قد انهمك في لذاته في صدر ولايته ، فاجتمع أهل العلم والورع والفقهاء بقرطبة ، فثاروا به فامتنع عليهم فخلعوه ، وبايعوا أحد عمومة هشام (١) .

ويجعل ابن خلدون ثورة الربض سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م ، في حين أن المصادر الأخرى تجمع على أن ثورة الربض ، كانت في سنة ٢٠٢ هـ ، ولعل ابن خلدون قد خلط بين ماوقع لأهل الربض في عام ١٨٩هـ/ ٨٠٤م ، والذي قتل الحكم فيه اثنين وسبعين رجلا بقرطبة وصلبهم لأنهم هموا بالخلاف عليه ، ومبايعة غيره ، كما يذكر ابن عذارى ولكن أمرهم أفتضح ، وتم القبض عليهم ، وأعدموا جميعا(٢) وهي ثورة الربض الأولى.

ويرى ابن سعيد أن السبب في هذه الثورة : « أن بعض مماليك الحكم دفع سيفا إلى صيقل فمطله ، والغلام يتكرر عليه ، والصيقل يتهكم به فأغلظ الغلام للصيقل ، وآل الأمر إلى أن خبطه به الصيقل ، فقتله ، وثار الهيج لوقته ، كأنما الناس كانوا يرتقبونه فهتفوا بالخلعان ، وأول من شهر السلاح أهل الربض بعدوة النهر ، ثم ثار أهل المدينة والارباض ، وانحاز الامويون وأتباعهم إلى القصر ، فارتقى الحكم السطح وحرك حفائظ جنده ، فآل الأمر إلى أن غلبهم الجند ، وأفشوا القتل وتتبعوا الدور » (٣) . ويظهر لنا من هذا النص أن الناس كانوا في حالة غليان من شيء ما ضد الحكم وحاشيته ، وليس هناك من مبرر لكي يمطل الصيقل غلام الحكم سيفه ، فلما حدث القتل هاج الناس ، كأنما كانوا في حالة ترقب لمثل هذا الحدث .

ويذكر ابن سعيد أنه بلغ من استخفاف أهل الربض بالحكم إلى الحد الذي كانوا ينادونه ليلا من أعلى صوامعهم الصلاة الصلاة يامخمور (٤) .

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٢٧٤/٤ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣٣٩/١ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧١/٢ .

(٣) المغرب في حلى المغرب ، ٤٢/١ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤٣/١ .

ويرى ابن عـذاري : أن هيج الربض كـان أصله الأشـر والبطر اذ لـم تكن هـناك ضـرورة من اجحـاف في مال ، ولا انتـهاك لحرمة ، ولا تعسف في ملكة ، والحال تدل على ذلك ، إذ أنه لم يكن هناك على الناس وظائف ، ولا مغارم ولا سـخر ، تدعوهم إلى الخروج على السلطان (١) . ولكن لايعقل أن يكون أشر الناس وبطرهـم سببا لثورة بهذه الضـخامة ، فرأى ابن عذارى في هذه المسألة غير مسلم به ، وليست الوظائف والمغارم والسخر فقط هي التي تدعو الناس إلى الثورة على الأوضاع القائمة .

نخلص إلى أن سوء مسلك الحكم ، وسوء بعض عماله كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ثورة الربض .

وعلى أية حـال فانه في اليوم الثاني للثورة – والتي كانت في يوم الاربعاء الثالث عشر من رمضان سنة ٢٠٢ هـ – أمر الحكم بهدم الربض القبلي حتى صار مزرعة ، ولم يعمر طول مدة بني أمية ، وتتبع دور أهل الخلاف في غير هذا الربض بالهدم والاحراق . وبعد ثلاثة أيام أمر برفع القتل ، وبسط الامـان على أن يخرج الثوار من قرطبة ، فذهب جزء منهم إلى طليطلة وسار خمسة عشر ألفا منهم في البحر حتى نزلوا الاسكندرية ، حيث تقاتلوا مع أهلها فانزلهم والى مصر جزيرة اقريطش (٢) فعمروها (٣) .

وبعد هدم الربض وتعطيله ، ترك الحكم وصـية لمن يخلفه ، وعهدا على بنيه على أن لايعـمر الربض ، فلم تختط فيه دار الى آخر دولتهم (٤) . ولكن الحكم لم ينل حلاوة

---

(١) البيان المغرب ، ٢/٧٦ .

(٢) اقريطش : جزيرة في البحر الشامي ، وهي جزيرة عامرة كثيرة الخصب . طولها من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة ميل . بينها وبين جزيرة صقلية مسيرة تسعمائة ميل وبين اقريطش وجزيرة قبرس أربعة مجار ، افتتحها عبدالله بن سعد بن أبي سرح – الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، ٢/٤٢ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١ .

(٤) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١/٤٤ .

العيش بعد وقيعة الربض ، وامتحن بعلة صعبه طاولته أربعة أعوام ، مما اضطره إلى الاحتجاب آخر مدته ، واستنابة ابنه عبدالرحمن في تدبير شئون الامارة (١) .

ولما اشتد المرض على الامير الحكم ، أخذ البيعة لابنه عبدالرحمن (٢) ثم لابنه المغيرة من بعده ، وانعقدت البيعة لعبدالرحمن يوم الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجة ٢٠٦ هـ/٨٢٢م ، حيث بويع له في ذلك اليوم بالقصر ، واختلف الناس بعد ذلك إلى داره يبايعونه ، ويبايعون المغيرة أيضا في داره (٣) .

وقد ندم على ما اقترفته يده من ذنوب ، فيذكر ابن الابار : انه مات « على توبة من ذنوبه وندم على ما اقترف منها » (٤) .

ويقول ابن عذاري : « ولما دنت وفاته عتب نفسه فيما تقدم منه عتابا ، وتاب إليه متابا ، ورجع الى الطريقة المثلى ، وقال ان الاخرة هي الأبقى والأولى فتزين بالتقوى»(٥).

ولعل خير ختام لعهد الحكم هو أن نستعرض وصيته التي أوصاها لابنه عبدالرحمن لما فوض الامر اليه ، وولاه عهده ، وتبرز لنا الوصية مدى التغيير الذي طرأ على شخصية الحكم ، وقد ذكر هذه الوصية ابن سماك العاملي في كتابه الزهرات

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٤٦/١ - ٤٧ .

(٢) هو عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية ، رابع الأمراء الامويين بالأندلس ، ولد بطليطلة عندما كان والده الحكم واليا عليها لابيه هشام ، يكنى أبوالمطرف ، واسم أمه حلاوة ، ولي في ذي الحجة سنة ٢٠٦ هـ . وكانت ولايته احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر (ت ٢٣٨ هـ) . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢٨/١ - ٢٩ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٢٠٣/٥ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٠/٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٧/٢ .

(٤) الحلة السيراء ، ٤٧/١ .

(٥) البيان المغرب ، ٨٠/٢ .

المنثورة ، حيث قال له : « يابني طب نفسا بما يصير اليك من سلطاني ، وانبسط منه كيف شئت ، فقد مهدت لك الملك ، ووطات لك الدنيا ، وذللت لك الاعداء ، وأمنت عليك الاختلاف والمنازعة ، فأولى الامور بك وأزينها لك حفظ أهلك ومراعاة عشيرتك ، ثم الذين يلونهم من مواليك ، فهم أولياؤك حقا ، وأنصارك صدقا ، ومشاركوك في حلوك ومرك ، فيهم أنزل ثقتك ، واياهم واس من نعمتك ، وان رأيت فيمن يرتقى من صنائعك رجلا لم تنهض به سابقة ويشف بخصلة وتطمح به نفس وهمه فاعنه واختبره وقدمه واصطنعه ، ولا يريبنك خمول أوليته ... ولا تدعن مجازاة المحسن باحسانه ، ومعاقبة المسيء بإساءته، فانك عند التزامك لهذين ووضعك لهما مواضعهما يرغب فيك ويرهب منك ، وملاك ذلك كله أن تتقي الله ما استطعت وتعدل في احكامك ، وتتخير من حكامك ، والى الله أكلك وإياه أستحفظك ، فقد هان الموت عليَّ اذ خلفني مثلك » (١) .

انها وصية جامعة جاءت نتيجة تجربة وخبرة في الحكم بلغت ستة وعشرين سنة، فبعد أن مهد له الطريق وأزال العقبات وذلل الصعاب ، يوصيه بالاهتمام باهله وعشيرته ومواليه فهم الاقرب إليه ، والأولى بالاهتمام والحفظ من غيرهم ، إذ هم الذين يشاركونه في الحلو والمر ، ويعني بذلك أنهم أول من يقف معه وقت الشده والازمات إذا نزلت ، فلابد له من أن يوليهم عناية خاصة ، ويضعهم محل ثقته ، ويسبغ عليهم النعمة ، ويغدق عليهم من العطايا والهبات ، ويوصيه أيضا باصطناع الرجال ومجازاة المحسن باحسانه، والمسيء باساءته ، وتقوى الله قبل كل شيء والعدل في الاحكام وتخير الحكام .

ولاية عبدالرحمن بن الحكم :

خلف عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ/ ٨٢١ – ٨٩٢ م) والده دونما مشكلة تذكر بخصوص ولاية العهد ، فقد بويع له قبل وفاة والده كما ذكرنا ، بل كان هو الذي يتولى تصريف الأمور في آخر أيام والده عندما اشتد عليه المرض ، فقد تخلى له والده عن النظر في امور الدولة وأراد أن يخلي له قصر الامارة ، ولكنه أبى واكتفى

---

(١) ابن سماك العاملي ، الزهرات المنثورة ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

بالقعود على باب السدة مقعد صاحب المدينة فاستحسن والده ذلك ، وبدأ بتغيير المنكر(١)، وبعد وفاة الحكم بويع له رسميا بالامارة في يوم الخميس الثالث وقيل الرابع من ذي الحجة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م ، واستمرت ولايته احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وبذلك اصبح رابع أمراء بني أمية بالاندلس(٢) .

يقول ابن عذاري : « لما ولي الامير عبدالرحمن ، بعث في اخوته وأهله ووزرائه ، فبايعوه ، وبايعته العامة . ثم صلى على أبيه الحكم . فلما قضى صلاته ووراه ، جلس بالأرض متطأطئا ، ليس تحته وطاء ، وجلس من كان معه . ثم افتتح القول ، فقال : « الحمد لله الذي جعل الموت حتما من قضائه ، وعزما من امره ، وأجرى الامور على مشيئته ، فأستاثر بالملكوت والبقاء ، وأذل خلقه بالفناء ، تبارك اسمه وتعالى جده ، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله ، وسلم تسليما ، وكان مصابنا بالامام – رحمه الله – مما جلت به المصيبة ، وعظمت به الرزية ، فعند الله نحتسبه ، وإياه نسأل الهام الصبر ، واليه نرغب في كمال الاجر والذخر ! وعهد الينا فيكم بما فيه صلاح احوالكم ولسنا ممن يخالف عهده، بل لكم لدينا المزيد ان شاء الله » . وخرجت لهم الاموال والكسى على قدر أقدارهم»(٣).

استهل عبدالرحمن عهده بهذه الخطبة القصيرة التي التزم فيها بما أوصاه به والده ، من مراعاة صلاح أحوال الرعية ، والالتزام التام بكل ماعهد إليه والده به ، وعدم مخالفته في وصيته وطمأنهم بالمزيد من صلاح الاحوال ، وقد التزم التزاما كاملا بذلك ، فابن عذاري يقول : « لم يلق المسلمون معه بؤسا ، ولم يروا في مدته يوما عبوسا . وهو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة ، وكسى الخلافة أبهة الجلالة ، فشيد القصور وجلب اليها المياه ، وبنى الرصيف ، وعمل عليه السقائف ، وعمل

---

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٣١٥ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١/١١٣ ، ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ٥/٢١٨ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٩٠-٩١ ، وانظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، ١/١١٣-١١٤.

المساجد الجوامع بالأندلس ، وعمل السقاية على الرصيف ، وأحدث الطرز ، واستنبط عملها ، واتخذ السكة بقرطبة . وفخم ملكه ، وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء »(١) .

ويقول النويري : « وهو أول من رتب اختلاف الفقهاء إلى قصره وأمرهم بالكلام بين يديه ... وكانت أيامه أيام عافيه وسكون ، وكثرت الأموال عنده وأقام أبهة المملكة ورتب رسومها »(٢) .

ويقول ابن سعيد : ان الأمير عبدالرحمن هو الذي أحدث بقرطبة دار السكة ، وضرب الدراهم باسمه ، ولم يكن فيها ذلك مذ فتحها العرب . وفي أيامه أدخل للاندلس نفيس الجهاز من ضروب الجلائب ، وأحسن لجالبيه وهو الذي اتخذ للوزراء في قصره بيت الوزارة ، ورتب اختلافهم اليه في كل يوم يستدعيهم معه أو من يختص منهم ، أو يخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور الدولة (٣) .

وكان يقال لايامه أيام العروس (٤) . أما نقش خاتمه فهو : « عبدالرحمن بقضاء الله راضي »(٥) .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩١/٢ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الأمصار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٣١٦ .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٣ ، ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٣) المغرب في حلى المغرب ، ٤٦/١ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤٦/١ .

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨١/٢ .

السفارات في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط :

بدأ تبادل السفارات في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط مع الممالك الخارجية ، لاشعارها بقوة وسلطة الأمارة الأموية في الأندلس .

فقد وفد على الأمير عبدالرحمن رسل ملك المجوس (*) تطلب الصلح بعد خروجهم من اشبيلية (١) ، وقتل قائد اسطولهم فيها . وقد أوفد معهم الأمير عبدالرحمن سفيره يحيى بن حكم (٢) المعروف بالغزال لمقابلة ملك المجوس . وركب الغزال البحر ، وبصحبته شخص آخر ، وقد لقيا أهوالا عظيمة في البحر إلى أن تمكنا من الوصول إلى ملك المجوس ، وسلماه رسالة الأمير عبدالرحمن ، فسر بها سرورا عظيما ، كما سر من دهاء وحنكة وفطنة الغزال . وبعد عدة أشهر قضاها الغزال ، وصاحبه في بلد المجوس قفلا راجعين إلى الأندلس ، محملين بالهدايا والتحف (٣) .

(*) المجوس هم النورمان الدنماركيون الذين هاجموا سواحل شبه الجزيرة الايبيرية . انظر : ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩ هـ) ، المقتبس من أخبار بلد الأندلس ، تحقيق د.عبدالرحمن الحجي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ . وكان ظهور المجوس لأول مرة في سنة ٢٣٠ هـ حيث هاجموا بمراكبهم سواحل الأندلس وأثاروا الرعب والفزع بين المسلمين . وقد تمكن المسلمون من الانتصار عليهم بعد عدة وقائع . انظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٨٧ – ٨٨ .

(١) اشبيلية مدينة جليلة قديمة عامرة لها أسوار حصينة وهي موفية على النهر وهو في غربيها وهي من الكور المجندة نزلها جند حمص ويطل على اشبيلية جبل الشرف . تبعد عن قرطبة ثمانين ميلا.

انظر : الحميري : محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د.احسان عباس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م ، ص ٥٨–٥٩ ، وانظر أيضا محمد عبدالله عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٤٥ .

(٢) يحيى بن حكم المعروف بالغزال بتخفيف الزاي شاعر كثير القول مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل . ولد سنة ١٥٦ هـ في أمارة الأمير عبدالرحمن بن معاوية وتوفى في أمارة الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٥٠ هـ وهو ابن أربع وتسعين سنة .

انظر الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ١٤٦٨ ، ص ٥٠٠ – ٥٠١ .

(٣) انظر ابن دحية الكلبي : أبو الخطار عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ) ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري وآخرون ، الناشر : دار العلم للجميع ، بيروت ، لبنان ، ص١٣٨ – ١٤٠ .

وقد ذكر المستشرق ليفي بروفنسال ، استنادا على مخطوطة لابن حيان (مفقودة الآن) أن هذه السفارة تم تبادلها بين توفلس ملك القسطنطينية ، وبين عبدالرحمن الأوسط في سنة ٢٢٥ هـ ، حيث بعث توفلس بهدايا إلى الأمير عبدالرحمن ، وطلب مواصلته ، ورغبه في ملك سلفه بالمشرق ، وطلب منه أن يعقد معه معاهدة صداقة . ورجح بروفنسال أن سفارة الغزال إلى الدنمارك التي ذكرها ابن دحية انما هي ضرب من الخيال ، وأن سفارة الغزال كانت الى بلاط القسطنطينية ، وليست إلى الدنمارك (١) .

ويشير المقري باقتضاب الى السفارة التي تم تبادلها بين توفلس ملك القسطنطينية ، وبين الأمير عبدالرحمن الأوسط في سنة ٢٢٥ هـ ، ولكنه لم يعطنا تفصيلات وافية عن هذه الزيارة (٢).

ونظرا لعدم وجود المخطوط الذي أشار إليه بروفنسال ، فأرجح صحة ماذكره ابن دحية ، بأنه تم تبادل السفارات بين بلاط الدنمارك ، وبين الأمارة في قرطبة ، كما أنه ليس هناك مايمنع من أن هناك سفارة أخرى ، تم تبادلها بين ملك القسطنطينية ، والامارة في قرطبة .

وفاته . •

توفى الأمير عبدالرحمن في ربيع الأول من سنة ٢٢٨ هـ / ٨٥٢ م ، وكان قد احتجب قبل وفاته مدة ثلاثة أعوام أو نحوها ، من أجل علة أصابته ، وأعجزته عن الحركة، وهدت قوته (٣) .

---

(١) انظر ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة د.السيد محمود عبدالعزيز سالم ، الناشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٩١-١١٨.

(٢) انظر المقري ، نفح الطيب ، ٢٤٦/١ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د.محمود على مكي ، طبعة بيروت ، ص ١٠٤ .

ولاية العهد :

يقول ابن حيان : « كان الأمير عبدالرحمن قد كشف عن مذاهب ولده ولدا ولدا ، وعجم أخلاقهم اختبارا ، فوجد محمدا (١) منهم راجحا لهم بخلاله ، فاضلا باعتدال أحواله ، فأظهر تفضيله عليهم بعد علم منه بهم ، وأوعز إلى وزرائه وأهل خدمته أنه مكان ولاية عهده ، المفوض إليه الأمر من بعده ، وتقدم اليهم جميعا وإلى القاضي وأهل الشورى بالركوب إلى محمد وغشيان مجلسه أيام الجمع عند صدورهم عن المسجد ، ففعلوا ذلك وزاد أمره بيانا باحضاره إياه في عليته من قصره ، وإيثاره له على جميع ولده، بتفرده دونهم بوصيته في ملكه ، وتحليته بما لم يطلعوا عليه : يتقدم إليهم بأمره ، ويرسم له بما يحتاج إليه ، فبدلائل ذلك تم له الحكم عند مهلك والده » (٢) .

وقال ابن حيان أيضا : « وكان الذي استدلوا به على ترشيح الأمير والده إياه تصديره لرسل قارلة بن أذفونش ملك الفرنجة القادم عليه مكانه ، ثم الزامه إياه الركوب إلى بلاط الريح لتصفح الكتب المرتفعة اليه واختصارها له ، وكان ذلك سنة عملها الأمير عبدالرحمن برأي صاحبه ابن شهيد وسعيه في توكيد أمر محمد وتوهين ماكان يحاوله نصر الفتى ضده ... » (٣) .

ومن خلال ماذكره ابن حيان في النصين السابقين ، يتضح لنا أن الأمير عبدالرحمن ، قد اختار ابنه محمداً ليخلفه ، لما كان يتمتع به من خلال تفوق خلال إخوته الآخرين ، وبايعازه إلى وزرائه وقضاته وأهل شورته بغشيان مجلسه ، وتقديمه له لاستقباله لرسل ملك الفرنج ، والرد على المكاتبات الواردة إلى الامارة ، بعد تصفحها اقرارا له بخلافته ، وتدريبا له على ادارة شئون الامارة . ولكن كان هناك اعتراض على

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن الحكم يكنى أبا عبدالله . أمه أم ولد اسمها تهتز . ولد في ذي القعدة سنة ٢٠٧ هـ وتولى في ٢٣٨هـ . (ت ٢٧٣ هـ) . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٩ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٥ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

ولاية محمد من قبل طروب حظية الأمير عبدالرحمن ، التي كانت تريد أن تصرف الأمر إلى ابنها عبدالله ، الذي لم يكن أهلا لذلك ، وكان لطروب تحكم كبير على الأمير عبدالرحمن أوجبت به صرف الأمر إلى إبنها . وقد اصطنعت أهل القصر من الخدم والنساء والفتيان طمعا في أن يؤول الأمر إلى ابنها . وكان نصر الفتى – أكبر خدم الأمير عبدالرحمن – يوافقها في هواها حتى أنه دبر مكيدة للقضاء على الأمير عبدالرحمن ليسقيه سما ، ولكن الأمر انقلب عليه عندما علم الأمير عبدالرحمن بهذه المكيدة ، فسقى نصراً السم الذي أعده له ، وتوفى نصر عقب ذلك (١) .

وبعد وفاة الأمير عبدالرحمن ظلت زوجته طروب ، وابنها عبدالله ، وفتيانها الصقالبة الذين اصطنعتهم ، عقبة كأداء ، ومشكلة حقيقية تواجه الأمير محمد .

---

(١) ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٩١ .

دور الفتيان الصقالبه في اختيار الأمير محمد :

قبل أن نتحدث عن الدور الذي قام به الصقالبه في اختيار من يخلف الأمير عبدالرحمن ، لابد من الاشارة إلى المقصود من كلمة الصقالبة عند الأمويين بالأندلس .

والمقصود بالصقالبة في الأندلس ، سكان البلاد المختلفة ، من بلغاريا العظمى، التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الادرياتي ، ولكن كلمة Esclave (صقلب) فرنسية قديمة معناها عبد أو رقيق ، وهي التسمية التي اطلقها الجغرافيون العرب في العصور الاسلامية الأولى على الشعوب السلافية عامة ، لأن بعض الجرمان ، والسكندنافيين ، دأبوا على سبى تلك الشعوب السلافية ، وبيع رجالها ونسائها إلى عرب أسبانيا ، فأطلق عليهم العرب اسم الصقالبة ، ثم توسع العرب في استخدام هذا اللفظ ، فأطلقوه على أرقائهم من أيه امة نصرانية . واستخدم الامويون في أسبانيا كذلك الخصيان لخدمة الحريم ، واتخذ اليهود في فرنسا من تلك التجارة حرفة يربحون منهـــــا(١).

ومن ذلك يتضح أن مصطلح الصقالبة في أسبانيا كان يطلق على الأرقاء الذين يجلبون من أيه أمة نصرانية ، وقد أكثر الأمويون في الأندلس من استخدام هؤلاء الصقالبة ، وكذلك استخدام الخصيان للخدمة داخل قصورهم ، للخدمات المتعلقة بالحريم، وقد مر بنا أن الحكم الربضي بلغت مماليكه خمسة الآف (*) ، وكانوا يسمون بالخرس لعجمتهم، وتطالعنا المصادر الأندلسية كثيرا بهؤلاء الفتيان الصقالبة ، أو الخصيان الذين يؤدون خدمات جليلة للأمراء داخل قصورهم ، وتدريجيا شكل هؤلاء الفتيان طبقة لها تاثيرها في المجتمع الاندلسي ، وكان الأمير عبدالرحمن من الذين أكثروا من استخدامهم، وكان لهم دور بارز في الأحداث التي تلت وفاته .

---

(١) أحمد مختار العبادي ، الصقالبة في أسبانيا ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، ص٨-٩ .

(*) انظر : ص ٢٩.

كان لهؤلاء الفتيان الصقالبة في عهد الأمير عبدالرحمن ، زعيم مرأس فيهم ، ذا فضل ودين وزهد ، وكان قد حج واعتدل مذهبه ، وكان محل ثقة هؤلاء الفتيان ، كما كان يميل إلى الأمير محمد ، ويريد له الامارة بعد والده (١) ، فاتفق معه الأمير محمد على أنه اذا حل الموت بولده ، أن يشعره بذلك ، ويعمل على ادخاله القصر ، دون علم أخيه عبدالله ابن عبدالرحمن الذي كان مترصدا له ، فلما توفي الأمير عبدالرحمن ، بعث الفتى الصقلبي، ويدعى حبيب إلى الأمير محمد ، يعلمه بوفاة والده ، ويدعوه ، ويستحثه سرا على الحضور إلى القصر ، فاعملت الحيلة ، حتى تمكن الأمير محمد من دخول القصر، وأجلسه الفتيان على سرير والده فصحت له الامارة بذلك (٢) .

وقد كادت الامارة أن تنصرف إلى الأمير عبدالله بن عبدالرحمن ، لولا حنكة الفتى حبيب ، الذي كان ذا دين وفضل ، وقد تمت مشاورات بينه وبين الفتيان الموالين لطروب ، وابنها عبدالله ، واستطاع في نهاية الأمر أن يقنعهم بمبايعة الأمير محمد ، الذي أدخلوه سرا إلى القصر ، ومن ثم استوى على سرير الامارة ، فبايعوه ، ثم استدعى إخوته ، وأهل بيته ، وعمومته ، ومواليه من الوزراء ، وأهل الخدمة ، والجند ، والقواد ، فبايعوه جميعا في تلك الليله (٣) ، ثم أخذ له قاضي الجماعة بالمسجد الجامع بقرطبة ، بيعة العامة أياما متوالية ، فكانت بيعته أتم بيعة ، وأحفلها أخذا (٤) .

وتكشف لنا هذه الأحداث ، التي وقعت إثر وفاة الأمير عبدالرحمن بن الحكم ، عن النفوذ الكبير الذي بلغه الصقالبة داخل قصر الامارة .

ولاية الأمير محمد :

وعلى أية حال فقد بويع محمد بن عبدالرحمن في سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م ، وهو ابن ثلاثين سنة ، وكان من أيمن أمراء بني أمية بالأندلس ملكا، وأسراهم نفسا ، وأكرمهم تثبتا

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د محمود علي مكي ، ص ١٠٨ .

٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩١ ومابعدها ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ١١١ – ١١٢، ١١٨ ، ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٢٠ .

وأناة (١) ، وسلك مسلك أبيه عبدالرحمن في اغلاظ الحجاب ، واعزاز السلطان، وتفخيم المملكة ، وتشريف المراتب السلطانية ، والزيادة في أبهة الخلافة ، كما ألزم الوزراء ، وأهل الخدمة ، جميعا بالحضور إليه يوميا في القصر ، ليوافونه بمعلومات ، وتقارير ، عن سير أعمالهم المحددة لهم (٢) ، وصفا له العيش في ظل أمارته ، وكفى المسيء اعتذارا فضل رأفته ، وكان له في مدته الآثار الجميلة ، والفتوح العظيمة ، والعناية التامة بمصالح المسلمين ، والاهتمام بالثغور ، وحفظ الاطراف ، والتحرز من قبل البحر ، وكانت لاتجرى في بحره جارية إلا عن معرفته (٣) ، مما يدل على مدى القوة التي بلغتها الدولة في عهده، وكان يتولى محاسبة أهل خدمته ، ويتعقب أمورهم بنفسه ، لنفوذه في الحساب، وصحة قريحته ، وتمكنه في فنون العلوم والآداب ، فكان يوقفهم على موضع الخطأ والخلل في أعمالهم (٤) . قال وزيره هاشم بن عبدالعزيز (٥) : « كان الأمير محمد من أبصر الناس بالرأي وأنفذهم لوجوهه ، فكان يجمعنا للمشورة على رسم من قبله فنجتهد ، ويقول كل واحد منا مايحضره ، فإن وافق ماقد انتقاه هو أمضاه عن تحصيل ، وإن كان في الرأي خلل ناظرنا على خطئه ، وقلب لنا وجوهه ، وعدلنا عنه بحجاج ، وتبيان لانكاد ندفعه ، فتصغى افهامنا إليه ، وتختاره » (٦) . وكان نقش خاتمه : « بالله يثق محمد وبه يعتصم»(٧).

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١/١١٩ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ١٢٩ .

(٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، مخطوط ، ج ٢٤ ، ص ٣١٨ .

(٤) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٦ .

(٥) هو هاشم بن عبدالعزيز بن هاشم بن خالد بن عبدالله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أخو القاضي أسلم بن عبدالعزيز . كان مولده في أيام عبدالرحمن بن الحكم . قتله المنذر بن محمد ليلة الأحد لاربع بقين من شوال سنة ٢٧٣هـ . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١/١٣٧ ومابعدها ، الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ١٤٢٤ ، ص ٤٨٤ .

(٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٢٤ .

(٧) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٩٤ .

واستمرت دولة الأمير محمد في هدوء، وأمن، واستقرار، حينا من الزمان، لم يعكر صفوها شيء، سوى ماتعرضت له الأندلس من مجاعة كبرى في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، أثرت تأثيرا كبيرا على الرعية، ومات أكثرهم وجرى المثل بها على ألسنة الناس(١).

الخارجون على الأمير محمد :

اضطربت أحوال الأندلس الداخلية في أخريات أيام الأمير محمد، وذلك بسبب سوء تصرفات الوزير هاشم بن عبدالعزيز، ونشأت الفرقة، ونجم أهل الشقاق بكل جهة، وكان أول الخارجين عليه عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقي (٢) سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م، وخرج عاصيا من مصاف السلطان بقرطبة، إلى جهة بلده بالغرب، قاطعا للسبيل، وخالعا للطاعة (٣)، فغزاه الأمير محمد، وحاصره، وضيق عليه الخناق، واضطره إلى طلب الأمان، فأباح له الرحيل إلى بطليوس (٤)، والحلول بها، وكانت يومها قرية صغيرة(٥).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ط بيروت، ص ٣٤٣.

(٢) هو عبدالرحمن بن مروان الجليقي منسوب إلى بلده جليقية، من مولدي الغرب الغالبين في الغواية، كان ذا بأس شديد وكيد عظيم إلى دهاء ومكر وبصر بالشر لايلحقه فيهن أحد من نظرائه، وقد كان في جملة الحشم في ديوان السلطان. وكان السبب في هروبه وخلعه الطاعة أن الوزير هاشم بن عبدالعزيز قال له من بين الوزراء: « الكلب خير منك » وأمر بصفع قفاه واستبلغ في خزيه فهرب مع أصحابه. ابن حيان، ط بيروت، ص ٣٤٣ - ٣٤٤، الضبي، بغية الملتمس، ترجمة ١٠٤٥، ص ٣٧١، ابن عذاري، البيان، ٢/١٠٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ط بيروت، ص ٣٤٣.

(٤) بطليوس: بفتحتين وسكون اللام. مدينة كبيرة من أعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبه ولها عمل واسع. بينها وبين مارده أربعون ميلا. ياقوت، معجم البلدان، ١/٤٤٧، الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٠٢، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٧.

بدأت أحوال الدولة الداخلية في الاضطراب منذ أواخر عهد الأمير محمد ، وبدأت تطفح على السطح مظاهر التمرد بدءاً بابن مروان الجليقي ، ثم تلته ثورات أخرى، نهشت جسد الأمارة الأموية .

يقول ابن الخطيب : والثوار في دولة بني أمية متعددون : شقي بهم الملوك، وتنغص بهم الخلفاء ، واضطروا إلى مسالمتهم تارة ، ومحاربتهم أخرى . وجعلوا رسم الوفاء لمن عادوه منهم سياسة ، لولاها لجل الخطب ، ولم يخلص الملك (١) .

فتنة عمر بن حفصون :

من الفتن الخطيرة التي اندلعت في أخريات أيام الأمير محمد ، فتنة عمر بن حفصون (٢) ، الذي أعيا أمره أمراء بني أمية ، وطالت فتنته وعظم شره ، وكانت فتنته في سنة ٢٧٢هـ ، بناحية رية (٣) ، وكان عاملها من قبل الأمير محمد هو عامر بن عامر ، الذي تقدم لمحاربة ابن حفصون ، ولكن ابن حفصون تمكن من أن يلحق به هزيمة كبيرة ، واجتمع إليه أهل الشر ، فعزل الأمير محمد عامله على كورة ريه ، وولاها عاملاً آخر استطاع أن يهادن ابن حفصون وهدأت الأحوال بينهما (٤) .

---

(١) أعمال الاعلام ، ص ٣٦ .

(٢) عمر بن حفصون هو كبير الثوار بالأندلس ، ونسبه عمر بن حفص المعروف بحفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش ابن أذفونش من مسالمة الذمة ، من كورة تاكرنا من عمل رندة – وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم ، ففشا نسله في الاسلام . وكان له من الولد الذكور عمر وعبدالرحمن ، فولد عمر بن جعفر حفصا ، وولد حفصون هذا عمر الثائر اللعون . فهو الذي ثار على الأمير محمد أولا ، ثم بلغ بعد ذلك في الشقاق والفتن مبلغا لم يبلغه ثائر بالأندلس .ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٦/٢ ، وانظر الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ١١٦٢ ، ص ٤٠٦ .

(٣) ريه : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء ، وهي كثيرة الخيرات ولها مدن وحصون ورستاق واسع . ياقوت ، معجم البلدان ، ١١٦/٢ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٤/٢ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ١٠٢ .

ثم أرسل الأمير محمد في العام نفسه ، ابنه المنذر إلى كورة ريه ، ومعه أحد القواد ، وقصد مدينة الحامة ، التي كانت تظاهر عمر بن حفصون ، وحاصرها لمدة شهرين ، وضيق عليها الحصار من كل جانب ، وبينما هو محاصر لها ، أتاه الخبر بوفاة والده ، فقفل مسرعا إلى قرطبه وأدركه قبل مواراته (١) .

ولاية المنذر بن محمد ، (٢)

خلف المنذر بن محمد والده في الحكم ، إذ تولى في الثالث من ربيع الأول سنة ٢٧٣ هـ ، وكان أشد الأمراء شكيمة ، وأمضاهم عزيمة ، ولما ولى الامارة بعث إليه أهل طليطلة بجبايتهم كاملة ، فردها عليهم ، وقال لهم استعينوا بها في حربكم ، فأنا سائر اليكم ، ان شاء الله (٣) .

وكان عاقلا سخيا لأهل العلم والصلاح ، مصطنعا لكل من أخذ بحظ من علم وأدب(٤)، وأبقى على وزراء أبيه ، وأعاد الخاملين منهم إلى الوزارة (٥) .

ولم تطل مدة إمارته ، فقد لبث سنتين في الحكم ، لم يستطع أن يدرك خلالهما رتق ما انفتق من الامارة ، وكبح جماح الخارجين على سلطانه ، وكان قد عقد العزم على ذلك ، إلا أن المنية عاجلته قبل أن يحقق أمنيته ، وتوفى وهو محاصر لحصن ببشتر(٦) سنة ٢٧٥ هـ(٧) .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٦/٢ .

(٢) هو المنذر بن محمد ويكنى أبا الحكم ، وأمه أم ولد اسمها « أثل » وكان مولده في سنة ٢٢٩ هـ . ولى في ربيع الأول سنة ٢٧٣ هـ ، وتوفى في سنة ٢٧٥ هـ . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣٠ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٦ .

(٣) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ٢٢١/٥ .

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ١١٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

(٦) ببشتر : بالضم ثم الفتح ، وسكون الشين المعجمة وفتح التاء . حصن منفرد بالامتناع من أعمال رية بالأندلس بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً . ياقوت ، معجم البلدان ، ٣٣٣/١ .

(٧) مجهول ، أخبار مجموعه في فتح الأندلس ، ص ١٣٢ .

ولاية الأمير عبدالله بن محمد : (١)

ولما توفى المنذر ، أخفى خبر وفاته عن ابن حفصون ، وأرسل عاجلا إلى أخيه الامير عبدالله بقرطبة ، الذي أتى مسرعا إلى المكان الذي توفى فيه ، فأدخل عليه في مضربه ، ووقف على موته ، وأجلس مكانه ، ولم تكن هناك بيعة متقدمة له ، ولا وصية ، فاحضر الوزراء ، وعرفهم بخبر موت أخيه ، ودعاهم إلى بيعته ، فبايعوه مختارين ، ثم تبعهم رجال قريش ، ومن يليهم من وجوه العسكر ، والكتاب ، والقواد ، والموالي ، فبايعوه على مراتبهم ، وقفل مسرعاً إلى قرطبة ، حيث صلى على أخيه ، وواراه ، ودعا الناس إلى بيعته ، فبايعه خاصتهم وعامتهم ، وخلص له الأمر (٢) .

ولي الأمير عبدالله في وقت انقسمت فيه أجزاء الدولة الأموية بالأندلس ، وتمزقت أوصالها ، وكثر الثوار في كل ناحية من نواحي الأندلس . فقد تحيث النكث أطرافها ، واقتسمها الثوار ، وكلب عليها الأشرار ، ولم يبق منها إلا الاسم فقط فوق ظهر منبر قرطبة، والقليل من غيرها ، وساءت الظنون ، ولم يدر عبدالله إلى أين يتجه (٣) ، وتالب على أهل الاسلام في الأندلس أهل الشرك ، ومن شايعهم من أهل الفتنة الذين حالفوا النصارى ضد المسلمين ، فصار أهل الاسلام بين قتيل ومحروب ومحصور يعيش مجهودا ، ويموت هزلا ، وانقطع الجهاد إلى دار الحرب وصارت بلاد الاسلام بالأندلس هي الثغر المخوف (٤) .

في هذا الجو المشحون بالفتن والثورات يأتي الأمير عبدالله إلى الحكم .

---

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن . ويكنى أبا محمد زمه أم ولد اسمها « أشار » ولد في سنة ٢٢٠هـ . ولي سنة ٢٧٥هـ وكانت وفاته سنة ٣٠٠هـ بعد خلافة دامت خمسا وعشرين سنه .

ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ص ٣٠ - ٣١ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٦ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشره ملشور ، ص ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٧ .

(٤) ابن عذاري ، البيان ، ١٣١/٢ .

صفاته :

يعد الأمير عبدالله من أصلح أمراء بني أمية بالأندلس ، وأمثلهم طريقة ، وأتمهم معرفة ، وأمتنهم ديانه ، كان يتهجد بالليل ، ويقوم ليالي شهر رمضان ، ويكثر من تلاوة القرآن ومدارسته ، وكان لايقدم أمرا ولايؤخره ، إلا عن مشورة أهل العلم والفقه (١)، كما كان وادعا لايشرب الخمر (٢) .

لقد اجتمعت خصال الخير والصلاح في الأمير عبدالله ، من تقوى ، وورع وحب الخير، ومشورة أهل العلم والفقه ، إلا أنه ابتلي بكثرة الخارجين عليه مما نغص عليه فترة حكمه ، وكان لهذه الثورات أثر كبير في نفسه .

ويذكر النويري أنه خالف عليه أهل اشبيلية ، وشذونة ، ولم تبق مدينة إلا خالفت عليه ، بل انهم عزموا بالدعاء على منابر الأندلس للخليفة المعتضد بالله العباسي (٣)، فكتبوا إلى واليه على أفريقية يسألونه أن يبعث إليهم رجلا من قبله ، ولكنه تثاقل عنهم، لانشغاله باضطراب أهل أفريقية عليه فأمسكوا عن ذلك(٤) .

لقد بلغت الأمور درجة من السوء حتى أن أهل الأندلس ، هموا بالدعاء للخليفة العباسي ، وإذا تم الدعاء له على منابر الأندلس ، فإن ذلك يعني نهاية الأسرة الأموية الحاكمة بالأندلس ، ولكن الله قدر لهم البقاء ، ولم يتم الدعاء للخليفة العباسي على منابر الأندلس ، كما لم يستجب الوالي العباسي على افريقية لطلب الأندلسيين ، لانشغاله بأوضاعه الداخلية .

---

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، مخطوط ، جـ ٢٤ ، ص ٣٢٢ .

(٢) الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٦ .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة ، بن جعفر المتوكل على الله ابن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة ٢٤٢هـ بويع بالخلافة ، ولقب المعتضد بالله، وذلك بعد عمه المعتمد في سنة ٢٧٩هـ . توفي ببغداد سنة ٢٨٩هـ. الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٠٣/٤، الزركلي، الاعلام ، ١٤٠/١.

(٤) نهاية الأرب ، ٢٩٥/٢٣-٢٩٦ .

ان التمزق الذي أصاب الدولة الأموية منذ عصر الأمير محمد ، وحتى عصر الأمير عبدالله ، حدا بأحد الكتاب المحدثين إلى تسمية هذه الفترة ، بعصر دويلات الطوائف الأولى(١).

بلغت الامارة الأموية في عهد الأمير عبدالله حدا كبيرا من الضعف والانحلال والتفكك وفقدت الامارة هيبتها ، ولم تعد لها السيطرة على أقاليمها وكورها المختلفة ، ولم يستطع الأمير عبدالله ضبط الأمور ، فابن حفصون يغير عليه داخل العاصمة قرطبة ، ويهدده ولايستطيع أن يفعل شيئا ازاءه (٢) .

ولاتكاد تخلو سنة من السنوات خلال حكم الأمير عبدالله من أخبار ابن حفصون أو الثائرين الآخرين . وقد أمدنا ابن حيان بتفصيلات وافيه عن هذه الثورات (٣) .

كان موقف الأمير عبدالله ضعيفا ازاء هذه الثورات ، وكانت الأندلس بحاجة إلى أمير قوي يعيد للامارة هيبتها ، وللدولة سطوتها ، ولم يكن الأمير عبدالله أهلا لذلك .

ونتيجة لهذه الثورات المتكررة فقد قلت الأموال ، وقل الرجال الذين معه ، وامتنع كثير من الناس عن أداء الخراج (٤) . وهذا أمر طبيعي في عصر اتسم بالفوضى والتمزق والانحلال ، أن يمتنع كثير من الناس عن أداء الخراج للسلطة المركزية ، التي فقدت سيطرتها على ثغورها ، وأقاليمها ، وكورها ، وأن تقل الأموال في يد السلطان لانفاقها في القضاء على الفتن ، وطبيعي أيضا ، أن يمل الجند الذين يقاتلون مع السلطان، فيتركونه لضعفه وقلة ماله .

---

(١) د. أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ، ص ١٥٦ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٣ ، نشره ملشور انطونية باريس ١٩٣٧م ، ص ٦٦-٦٧ .

(٣) انظر : المقتبس ، ج ٣ ، نشره ملشور وهو خاص بعصر الأمير عبدالله . وانظر أيضا ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص ١٢٢-١٤٩ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٣/٢٩٥-٢٩٦ ، مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٣ .

لم تترك هذه الثورات المتوالية فرصة للأمير عبدالله للاتجاه نحو ابتكار رسوم ونظم جديدة للامارة ، أو الاتجاه نحو التشييد والعمران ، فقد أنهكته هذه الثورات فاصبح جل همه هو القضاء عليها .

يقول ول ديورانت : ولعل هذه الحوادث هي التي حالت دون انتشار الدين الاسلامي في أوروبا : وذلك أن اسبانيا الاسلامية أضعفتها الحرب الأهلية (١) .

ويرى د.احسان عباس : « انه في عهد الدولة الأموية ظل مايسمى بسيادة قرطبة شيئا نسبيا ، لأن الحكام لم يستطيعوا ضبط جميع الجهات الأندلسية ، ولا انتهت بهم الحروب الخارجية إلى استقرار ، ولذلك كانت السيادة تنبسط حينا على رقعة واسعة ، وينقلص ظلها حينا آخر ، وإذا كان عهد الولاة قد مضى في توسيع الحدود ، وفي الحروب القائمة على العصبيات ، فإن عهد الدولة الأموية ، شغل كثيرا بتثبيت الحدود ، وبالقضاء على الفتن التي كان يثيرها الطامحون في الداخل » (٢) .

وفاة الأمير عبدالله وتولى الأمير عبدالرحمن بن محمد ، (٣)

توفي الأمير عبدالله سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، بعد خمس وعشرين سنه قضاها في الحكم (٤) ، وترك الأندلس ممزقة الأوصال حيث لم يبق من أمارة الأمويين بالأندلس إلا

---

(١) قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م ، مجلد (١٣-١٤) ، ص ٢٨٣ .

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة – بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، ص ١٦.

(٣) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم ولد في الثالث عشر من رمضان سنة ٢٧٧هـ ، وكان يكنى : أبا المطرف . وأمه ام ولد اسمها مزنة . وهو أول من تسمى بإمرة المؤمنين من الأمويين في الأندلس واتصلت ولايته خمسين سنه حيث توفى في صدر رمضان سنة ٣٥٠هـ. ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٣١/١ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٧ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٨/٢ .

(٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٣١/١ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٧ ، مجهول ، أخبار مجموعه ، ص ١٣٥ .

الاسم فقط ، وصارت البلاد في حاجة إلى شخصية قوية يجتمع عليها الناس ، وتعيد إلى الامارة هيبتها ونفوذها على أقاليمها المختلفة فكان أن هيأ الله للأندلس الأمير عبدالرحمن بن محمد .

ولاية الأمير عبدالرحمن بن محمد :

خلف الأمير عبدالرحمن بن محمد ، جده الأمير عبدالله في الحكم ، وكان والده محمداً قد قتله أخوه المطرف بن عبدالله ، في عهد ولاية أبيهما ، وكان عبدالرحمن يبلغ من العمر عشرين يوماً عند مقتل والده ، فولي وعمره ثنتان وعشرين سنة ، وقد تولى الأمر على الرغم من صغر سنه ، ووجود جماعة من أكابر أعمامه ، وأعمام أبيه ، وبعض ذوي النسب من الأمويين بالعاصمة قرطبة ، فكانت ولايته من المستطرف (١) . ويروى أن جده الأمير عبدالله كان يرشحه لهذا الأمر دون بنيه ، ويحظيه ، وربما أقعده في بعض الأيام والأعياد مقعده ، ليسلم عليه الجند ، فتعلقت آمال أهل الدولة به (٢) ، ويقال ان جده رمى إليه بخاتمه ، ابانة منه لاستخلافه (٣) . وأشار ابن حزم إلى أنه ولي الامارة بعد تشاور من أمراء بني أمية بالأندلس (٤) .

لم تكن أحوال الامارة مشجعة لكي يتقدم أحد من هؤلاء الأعمام لمنازعة الأمير عبدالرحمن في ولاية الأمر ، فقد كانت الأمور كما قدمنا على درجة كبيرة من السوء والتفكك ، فوافق جميع الحاضرين على ولايته ، وجلس للبيعة في محراب المجلس الكامل بقصر قرطبة وتولى له أخذها على الخاصة والعامة بدر بن أحمد مولاه ، وموسى بن محمد بن حدير (٥) صاحب المدينة ، وأحضر أعمامه وأعمام أبيه ، وطبقات قريش وصنوف

---

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار، مخطوط، ٢٢٢/٢٤، الضبي، بغية الملتمس، ص١٧.

(٢) ابن عذاري ، البيان ، ١٥٧/٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٥٧/٢ .

(٤) نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، ٥٥/٢ .

(٥) موسى بن محمد بن حدير الحاجب ، رئيس كان في أيام عبدالرحمن الناصر ، من أهل الأدب والشعر، ومن أهل بيت رياسة وجلالة .الضبي، بغية الملتمس، ترجمة رقم ١٣٢٠، ص ٤٥٥ .

الموالي وعامة الناس فبايعوا مبايعة رضى واغتباط » (١) ، فاستقبل الملك بسعد ، لم يخالف عليه أحد ، أو يخرج عليه إلا غلبه وأخذ مافي يده (٢) .

لقد رأينا ماآل إليه أمر الأمارة في عصر الأمير عبدالله من تفكك وانقسام، فكان لابد للأمير الجديد عبدالرحمن بن محمد أن يسعى لرأب الصدع ، ويخضع الكور والأقاليم والمدن التي خرجت على سلطان الجماعة ، ويعيدها إلى دائرة الأمارة . وهي مهمة شاقة بلا شك تنتظر الأمير عبدالرحمن . وقد قام بها خير قيام .

فقد تمكن الأمير عبدالرحمن بن محمد خلال فترة الامارة التي استمرت من ٣٠٠-٣١٦هـ/٩١٢-٩٢٨م من اخضاع معظم الكور والحصون والمدن التي كانت خارجة على سلطان الدولة منذ عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن ، واستطاع أن يعيد كثيرا من المخالفين إلى الطاعة مرغمين (٣) .

وقد مهدت هذه الانتصارات الفائقة التي أحرزها الأمير عبدالرحمن ، مع بعض الأحداث الأخرى في العالم الاسلامي ، لتطور هام تغير به وجه الأندلس كلية لتنتقل من عصر الامارة إلى عصر الخلافة .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٨/٢ .

(٢) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٣٥ .

(٣) انظر ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، الأحداث من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣١٦هـ .

المبحث الثاني

الخلافة منذ اعلانها (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م) ،

حتى نهاية عهد الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)

الخلافة منذ اعلانها سنة ٣١٦هـ حتى سنة ٣٦٦هـ .

بذل الامير عبد الرحمن بن محمد جهودا كبيرة فى سبيل توحيد الامارة الاندلسية الممزقة ، واعادة المخالفين الى الطاعة ، وقد أحرز نجاحا كبيرا خلال الستة عشر عاما المنصرمة من سنى حكمه فى عصر الامارة . وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

وتبدا الفترة الثانية من حكم الأمير عبد الرحمن باعلانه الخلافة فى سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م (١) .

الخلافة فى اللغة والاصطلاح :

الخلافة لغة :

الخلافة مصدر خلف ، وخلفته اذا جئت بعده ،وخلف فلان فلانا ، اذا كان خليفته ، يقال خلفه فى قومه من باب كتب ، ومنه قوله تعالى " اخلفنى فى قومى "(*) وخلفه جاء بعده (٢) .

وأطلقت الخلافة على الأمارة فى اللغة وعلى السلطان الأعظم ،ولفظ خلاف مصدر يدل على معنى الكثرة ، ويراد به كثرة اجتهاده فى ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها (٣) .

---

(١) انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ١٥٧ .

(*) سورة الاعراف ، الاية (١٤٢) .

(٢) الجوهرى ،اسماعيل بن حماد،الصحاح ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ج ٤ ، ص ١٣٥٦ - ١٣٥٧ .

(٣) ابن منظور ،جمال الدين ابو الفضل محمد بن جلال الدين ،ت ٧١١هـ،لسان العرب ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ،دار لسان العرب ، بيروت - لبنان ، المجلد الاول ،ص ٨٨٢ - (بدون تاريخ طبع) .

الخلافة في الاصطلاح :

هي نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم "في حراسة الدين وسياسة الدنيا"(١) .

تعدد الائمة :

يرى الفقهاء عدم انعقاد الامامة لامامين في بلدين لانه لايجوز ان يكون للامة امامان في وقت واحد ، ولكن بعضهم يرى جواز ذلك(٢) .

قال البغدادي : "لايجوز أن يكون في الوقت الواحد امامان ، واجبي الطاعة ... الا ان يكون بين البلدين بحر مانع من وصول نصرة اهل كل واحد منهما الى الاخرين ، فيجوز حينئذ لاهل كل واحد منهما عقد الامامة لواحد من اهل ناحيته"(٣) .

وقال امام الحرمين الجويني : "والذي عندي فيه ان عقد الامامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمخالف غير جائز ، وقد حصل الاجماع عليه . وأما اذا بعد المدى ، وتخلل بين الامامين شسوع النوى ، فللاحتمال في ذلك مجال ، وهو خارج عن القواطع"(٤) .

---

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٥ .
(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٩ .
(٣) البغدادي : الامام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت ٤٢٩هـ) ، كتاب اصول الدين ، استانبول ، مطبعة الدولة ، الطبعة الاولى ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م ، ص ٢٧٤ .
(٤) امام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ) ، الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد ، تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد ، الناشر مكتبة الخانجي مصر ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ، ص ٤٢٥ .

ومـن ذلك نرى أن الاصل فى الدولة الاسلامية وحدة الخلافة وعدم تعدد الائمة ، ولكن بعض الفقهاء اجازوا هذا التعدد فى بعض الحـالات كوجـود بحـر فـاصل بيـن الاقطار ، أو اتساعها وبعدها .

شروط متولى الخلافة :

(١) العدالة على شروطها الجامعة .
(٢) العلم المؤدى الى الاجتهاد فى النوازل والاحكام .
(٣) سلامة الحـواس مـن السـمع والبصـر واللسان ليصح معها مباشرة مايدرك بها .
(٤) سلامة الاعضاء من نقص يمنع عن استيفاء وسرعة النهوض .
(٥) الراى المفضى الى سياسة الرعية وتدبير المصالح .
(٦) الشجاعة والنجـدة المؤديـة الـى حماية البيضة وجهاد العدو .
(٧) النسـب وهـو ان يكون من قريش لورود النص فيه والانعقاد الاجماع عليه (١) .

هـذه هـى الشـروط التـى ينبغـى توافرهـا فـى الخليفة المختـار . فهل استوفى الامير عبد الرحمن هذه الشروط ليعلن نفسه خليفـة ؟ وكـيف تقبلـت الامـة الاسـلامية تعدد الائمة فى الدولة الاسلامية الواحدة ؟

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص٦.

أرى أن الامير عبد الرحمن كان أهلا للخلافة ومستوفيا لشروطها وقادرا على النهوض بأعبائها كما سنرى . أما كيف تقبلت الأمة امامين فى وقت واحد فقد كان الواقع يفرض عليها ذلك .

وعلى كل فقد دخلت بلاد الاندلس فى مرحلة جديدة من اللحظة التى أعلن فيها الأمير عبد الرحمن نفسه خليفة على الأندلس . ويحدثنا ابن حيان أنه فى هذه السنة (٣١٦هـ) استكمل مرتبة الخلافة ،واستتم ميسمها بتسميته بأمير المؤمنين ، (١) وتلقب بالناصر لدين الله ،وهو أول من لقب بأمير المؤمنين من أمراء الأمويين بالأندلس ،ولم يسبقه أحد بذلك ،اذ كان سلفه يخطب لهم بالامارة فقط ويسمون ببنى الخلائف . (٢)

---

(١) المقتبس ،ج ٥ ،تحقيق ب . شالميتا ،ص ٢٤١ ،وانظر المسعودى ،التنبيه والاشراف ،ص ٢٨٨ .

(٢) ابن حزم ،جمهرة أنساب العرب ،ص ١٠٠، ابن عذارى البيان المغرب،١٥٧/٢، ابن فضل الله العمري ،مسالك الابصار ،ج ٢٤ ،ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ،القرمانى : أبو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقى ،أخبار الدول وآثار الاول فى التاريخ ،عالم الكتب ، بيروت ،ص ١٤٥، المقرى ، ازهار الرياض فى أخبار عياض ،تحقيق ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م ،ص ٢٥٨ ، ابن تغرى بردى ،جمال الدين أبى المحاسن الاتابكى ،(ت ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (بدون تاريخ طبع) ج ٢ ،ص ٢٣٠، النويرى نهاية الارب فى فنون الادب ،ج ٢٣ ،ص ٣٩٧ ،ابو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، المركز التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت — لبنان (بدون تاريخ طبع) ج ٢ ،ص ٢ ،مجهول المؤلف ،العيون والحدائق فى اخبار الحقائق ،عنى بنشرة وتحقيقه ووضع فهارسه عمر السعيدى ،دمشق — ١٩٧٢م ،ج٤،ص ١٧١، ابن ابى دينار: أبو عبد الله محمد بن ابى القاسم الرعينى القيروانى المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس ،تحقيق محمد شمام ، الناشر :المكتبة العتيقة — تونس ،ص ١٠٠ .

أسباب إعلان الخلافة :

ذكر كل من ابن الكرديوس وابن أبي دينار : أن الأمير عبدالرحمن بن محمد خطب لنفسه بإمرة المؤمنين ، وكان من تقدمه من آبائه يخطبون لبني العباس (١) .

ولكن كما ذكرت في مبحث الامارة (*) ، فإن الأمير عبدالرحمن الداخل فقط هو الذي خطب لبني العباس مدة وجيزة ، ثم قطع ذكرهم في الخطبة ، وليس كل من تقدم من أمراء الأمويين كان يخطب لبني العباس ، كما ذكر ابن الكرديوس وابن أبي دينار .

وقد أشار المؤرخون إلى الأسباب الحقيقية التي جعلت الأمير عبدالرحمن يعلن الخلافة في قرطبة . فابن سعيد نقل عن صاحب كتاب المسهب (**) قوله : « إنما تسمى بأمير المؤمنين حين بلغه أن المقتدر (٢) خطب له بالخلافة وهو دن البلوغ » (٣) .

---

(١) ابن الكرديوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٦٢ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ١٠٠ .

(*) انظر ص ٩-٢٠ .

(**) صاحب كتاب المسهب في فضائل المغرب ، هو عبدالله بن ابراهيم الحجاري، نسبة إلى وادي الحجارة . وهو من المصادر الأندلسية المفقودة .

انظر حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص ١٤٩ ومابعدها .

(٢) هو جعفر بن المعتضد بالله ، ولد في رمضان سنة ٢٨٢ هـ ، وأمه أم ولد يقال لها شغب . بويع له بالخلافة في ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ ، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ولقب بالمقتدر بالله ولكن الوزير استصغره بعد أن تم له أمر البيعة ، فعزم على خلعه وتقليد الخلافة أبا عبدالله محمد بن المعتمد على الله . وبالفعل تم خلعه في سنة ٢٩٦هـ ، وبويع لابن المعتز بالخلافة ، وحدثت اضطرابات وفوضى في هذه الفترة فأعيد المقتدر إلى الخلافة مرة أخرى .

كان مقتله في سنة ٣٢٠هـ ، عندما انحدر مؤنس مولاه من الموصل إلى بغداد ، ومعه عدد كبير من الجند ، الذين كانوا يطالبون الخليفة بالأموال . وقد أشار بعض رجال الخليفة إليه بالخروج لملاقاة جيش مؤنس ، وخرج مكرهاً لذلك ، وانخزل عنه من كان معه من الجند ، فوجد بعض جند مؤنس من المغاربة والبربر فرصة ضربوا فيها الخليفة وقتلوه . وكان يقول لهم قبل مقتله ويحكم أنا الخليفة . فقالوا له عرفناك وسبوه ثم قتلوه ، ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه .

(٣) المغرب في حلى المغرب ، ١٨٣/١ .

ولكن عندما أعلن الأمير عبدالرحمن الخلافة في سنة ٣١٦ هـ ، لم يكن الخليفة المقتدر العباسي في ذلك الوقت دون البلوغ ، فهو حينذاك كان في الرابعة والثلاثين من عمره . فهذا الرأي غير مسلم به .

وتذكر بعض المصادر أنه أعلن الخلافة حينما بلغه ضعف الخلافة العباسية ببغداد أيام المقتدر ، وادعاء الشيعة الخلافة بالقيروان ، كما اتفقت على أن إعلانه الخلافة كان في سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م (١) .

= انظر : مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ) ، كتاب تجارب الأمم، مصر ، ١٣٣٢هـ ، ج ١ ، ص ١-٧ ، ص ٢٣٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٩-١٢٠ ، ٢٢٠-٢٢٢ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ج ٤ ، ص ١٣١ .

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٧ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٣ ، ابن سعيد ، المغرب ، ١٨٢/١ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٣٩٧ ، السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، ص ٥٢٣ . وقد خطب الفاطميون لأنفسهم بالخلافة وإمرة المؤمنين في ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ (وذلك قبل اعلان الأمير عبدالرحمن الخلافة بنحو عشرين عاما تقريبا) ، وذلك بعد دخول أبوعبدالله الشيعي القيروان، واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا من أهل صنعاء ، فبعد وصوله إلى القيروان أخرج مرسوما إلى اتباعه بأن يدعى له بالخلافة وامرة المؤمنين ، فقرئ السجل على الناس برقادة والقيروان والقصر القديم ، كما نقشت السكة باسمه وكتب الطرز كذلك باسمه وجاء في السجل بعد ذكر وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الاطهار أن يقال : « اللهم صل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين ، انظر القاضي النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت - ١٩٧٠م ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، أدريس عماد الدين القرشي ، (ت ٨٧٢ هـ) ، عيون الاخبار وفنون الآثار ، تحقيق د مصطفى غالب ، ص ١١٢ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٦٦/١ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٥٤ .

أما ابن الأثير ، وابن كثير ، وابن خلدون ، فقد ذكروا أن إعلانه الخلافة ، كان في سنة ٣٢٧هـ (١) . ويبدوا أن الأحداث اختلطت عليهم ، فالمصادر كلها أجمعت على أن إعلان الأمير عبدالرحمن نفسه خليفة ، كان في سنة ٣١٦ هـ .

يقول ابن خلدون : « وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين في الأندلس ، عندما تلاشى أمر الخلافة بالمشرق ، واستبد موالي الترك على بني العباس ، وبلغه أن المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، فتلقب بألقاب الخلفاء (٢) .

وحسبما يرى ابن خلدون فإن اعلان الأمير عبدالرحمن الخلافة كان متزامنا مع مقتل المقتدر وهو سنة ٣٢٧ هـ وذلك قبل سبع سنوات من التاريخ الذي حدده ابن خلدون لمقتله .

وقال المقري : أنه « أول من تسمى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس لأن الدولة عظمت في أيامه ، حين اختل نظام ملك العباسيين بالمشرق ، وتغلبت عليه الاعاجم»(٣). وبذلك يرى المقري أن عظم الدولة في عهد الناصر واختلال الخلافة العباسية بالمشرق من الأسباب التي أدت بالناصر إلى اعلان الخلافة .

وعلى أية حال فإن الروايات المختلفة لاعلان الأمير عبدالرحمن الخلافة بالأندلس ، كلها تجمع على أن ضعف الخلافة العباسية بالمشرق وتلاعب الاتراك بها ، واعلان العبيديين أنفسهم خلفاء بالقيروان كانت من الدوافع الرئيسية لاعلانه الخلافة وتسميه بأمير المؤمنين .

ومن خلال الترجمة التي أوردناها للمقتدر (*) يتضح لنا مدى الضعف الذي أصاب الخلافة العباسية ، ومدى نفوذ الموالي الاتراك وتسلطهم في تولية وعزل الخليفة .

---

(١) انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٦٠/٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٨/١١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٢٩٨/٤ .

(٢) العبر ، ٢٩٨/٤ .

(٣) ازهار الرياض في أخبار عياض ، ٢٥٨/٢ .

(*) انظر ص ٦٨ ، هامش ٤ ولمزيد من التفصيل ، انظر : ابن الأثير ، ٢٢٠/٦ ، النويري ، نهاية الأرب، ٩٨/٢٣ ومابعدها.

وأخيرا ضاعت هيبة الخلافة كلية بضرب جند مؤنس من المغاربة والبربر للخليفة واهانته وسبه.

إن هذه الاسباب في مجملها كانت مشجعة للأمير عبدالرحمن لكي يعلن نفسه خليفه ، طالما ضاعت هيبة الخلافة العباسية بالمشرق ، وأصبح الخليفة ألعوبة في يد مواليه يحركونه أنى شاءوا ، كما أعطى إعلان الفاطميين الخلافة لأنفسهم بالقيروان دافعا قويا للأمير عبدالرحمن لكي يعلن نفسه خليفة ليصبح هناك خليفتان في الدولة الاسلامية الواحدة ، أو بالأحرى ثلاثة خلفاء (*) .

ان وجود أكثر من خليفة في الدولة الاسلامية ، في وقت واحد ، دليل على التمزق الذي أصاب جسد الأمة ، ودليل على التغيير الذي طرأ على مفاهيم المسلمين ، ودليل على الضعف الشديد الذي اعترى الخلافة العباسية في بغداد ، حيث لم تعد لها السيطرة على أقاليم الدولة الاسلامية ، وصار الناس يتقبلون أية دعوة بالخلافة وليس بالضرورة أن يكون الخليفة مالكا للحرمين الشريفين كما كان الفهم السائد لدي الناس في السابق .

وإضافة لتلك الأسباب التي ذكرت بشأن إعلان الخلافة ، وأستقراء لواقع الدولة الاندلسية ، أنه كان لابد للأمير عبدالرحمن من إعلان الخلافة ، لأن لقب الإمارة وحده لم يعد كافيا لادخال الهيبة في نفوس الأندلسيين الذين أرهقوا الدولة بالثورات المتكررة ، وهددوا أمنها ، وزعزعوا استقرارها ، وبلغ من استخفاف بعضهم بالإمارة - كابن حفصون - أنه كان يغير بجنده حتى أبواب العاصمة قرطبة ، ولا تستطيع الامارة أن تفعل شيئا ازاءه ، وهو ماحدث في عصر الأمير عبدالله وسبقت الاشارة إليه ، اذن فحين يعلن الامير عبدالرحمن أنه خليفة للمسلمين في الأندلس ، مع ابراز مظاهر القوة والهيبة

(*) يبدو أن ظاهرة اعلان الخلافة وإمرة المؤمنين قد سرت إلى منطقة أخرى من مناطق المغرب وهي سجلماسه ، فقد ذكر ابن عذاري أنه في سنة ٣٢١ هـ تولى أبو المنصور المعتز مدينة سجلماسه وهو غلام ابن ثلاثة عشرة سنه ، ولم يمكث في ولايته سوى شهرين حيث ثار عليه عمه محمد بن الفتح وأخرجه منها وتملكها وتسمى بأمير المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله ، وضرب الدنانير الشاكرية . البيان المغرب ، ٢/٢٠٩ .

المصاحبة لهذا الاعلان ، فإن ذلك كفيل بتهدئة الأوضاع الداخلية على أقل تقدير من الناحية النفسية ، كما أن ذلك كفيل أيضا باستقرار الأوضاع في المناطق التي تمت إعادة السيطرة عليها من قبل الدولة ، وضمان عدم خروجها مرة أخرى طالما أن هناك خليفة ، وبالطبع فإن وقع خليفة في النفوس ليس كوقع أمير . كذلك فإن إعلان الخلافة إشارة لأعداء الدولة المتربصين بها من الصليبيين أن هناك حكومة قوية في قرطبة ، وعليهم بالكف عن غاراتهم ومهاجمتهم للمسلمين في الأندلس .

كذلك فإن من أهم الأسباب التي أدت بالأمير عبدالرحمن إلى إعلان الخلافة بالأندلس ، هو محاربة العبيديين المجاورين للأندلس ، وإن هذا الاعلان جاء بمثابة درء لخطرهم ، وأنهم اذا تركوا كذلك دون منافسة تذكر فسينتقل خطرهم إلى الأندلس ، فجاء إعلان الخلافة حاسما لهذا الخطر .

وعلى كل فقد حمل الأمير عبدالرحمن بن محمد لقب خليفة ابتداء من عام ٣١٦هـ، وتلقب بالناصر لدين الله كما ذكرت آنفا . وأورد القلقشندي لقبا آخر من الألقاب التي حملها الناصر وهو المقبول (١) ، وأخذ الناصر لدين الله رعيته بذلك في جميع مايجري منه ذكره وأنفذ كتبه بها في أنحاء مملكته ، وقطع استحقاقه لهذا الاسم الذي هو بالحقيقة له ولغيره بالاستعارة ، على حد تعبير ابن حيان (٢) ، الذي يرى أنه أحق بهذا اللقب من غيره لانه ابن أمراء المؤمنين وسلالة الهداة الفاضلين (٣) . وأصدر الناصر منشورا بذلك ، وعهد لصاحب الصلاة بمسجد قرطبة الجامع بأن تكون الدعوة له بأمير المؤمنين ، ونفذت الكتب الى العمال بذلك ، وكانت أول دعوة أقيمت له على منبر المسجد

---

(١) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٤١ ، وانظر ابن عذاري ، ٢/١٩٨ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٢٤١ ، ابن عذاري ، البيان ، ٢/١٩٨ .

الجامع بنطق صاحب الصلاة فيه ، الفقيه القاضي أحمد بن بقي بن مخلد (١) ، في مستهل ذي الحجة من سنة ٣١٦هـ(٢) ونص الكتاب : «بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد، فانا أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، ويسر على أيدينا ادراكه وسهل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، أعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بدولتنا والحمد لله ولي النعمة والانعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه . وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لايستحقه .

وعلمنا ان التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه واسم ثابت أسقطناه ، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به . وأجر مخاطباتك لنا عليه ، ان شاء الله والله المستعان . وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة ٣١٦ » (٣) .

هذا هو البلاغ الذي أعلنه الناصر لدين الله بمناسبة اتخاذه سمة الخلافة ، وأخذ الأمير عبدالرحمن لقب الخلافة وإمرة المؤمنين بصفة رسمية بمجرد نطق صاحب الصلاة في المسجد الجامع بقرطبة بهذا اللقب ، كما أصدرت التوجيهات والأوامر الى العمال بمختلف المناطق لتجرى المكاتبات باسم أمير المؤمنين .

الموقف العباسي والفاطمي من اعلان الخلافة الأموية .

لقد كانت الخلافة العباسية في غاية من الضعف والتفكك ، مشغولة بمشكلاتها الداخلية ، ولذلك لم يكن هناك رد فعل أو معارضة فعلية لهذه الخطوة الخطيرة . وهذا الضعف هو الذي شجع الناصر على إعلان الخلافة .

---

(١) أحمد بن بقي بن مخلد . من أهل قرطبة ، يكنى : أبا عبدالله . ولي قضاء الجماعة بقرطبة . كان زاهدا فاضلا . توفي سنة ٣٤٤هـ . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ١٠٣ ، ج١ ، ص ٨٠ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٩٨/٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٣٠ .

أما الخلافة العبيدية الدعية فقد أعلنتها حربا شعواء على هذه الخلافة الجديدة المنافسة لها ، وكان رد فعلهم قويا إذ اصدر المعز الفاطمي (١) خطابا وجهه إلى الأندلس جاء فيه : « وهو يزعم أنه امير المؤمنين كما تسمى دون من سلف من أبائه ، وإمام الزمة بدعواه وانتحاله .

ونحن نقول : اننا أهل ذلك دونه ودون من سواه ، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه ، مع مابين أسلافنا وأسلافه ومن مضى من القديم والحديث من أبائنا وأبائه ، من العداوة القديمة الأصلية والبغضة في الاسلام والجاهلية..»(٢).

جاء تعبير العبيديين عن رأيهم واضحا وصريحا في شأن الخلافة الأموية المعلنة من قبل الناصر ، ورأوا أن ذلك انتحالا منه لدعوى ليست له ، وادعاء لحق الخلافة بالباطل كما رأى المعز لدين الله الفاطمي ، فلذلك وجبت محاربته ومقاتلته ، كما أشار إلى العداوة القائمة بين الطرفين الأمويين والهاشميين قديما وحديثا في الجاهلية والاسلام فلذلك لايمكنهم قبول هذه الخلافة بأي حال من الأحوال .

ولكن ذلك لم يثن الناصر لدين الله ولم يتراجع عن لقبه الجديد ، وكان لابد من وضع حد لنفوذ هؤلاء الفاطميين في المغرب ، وإعلان الحرب عليهم بشتى السبل .

بدأ الناصر كخطوة أولى بكسب ولاء بعض أمراء البربر بالعدوة الى جانبه ، وخاطبه بعضهم معلنين الدخول في طاعته ، ومن هؤلاء الامراء الذين خاطبوه وأعلنوا ولاءهم له وبراءتهم من دعوة الشيعة منصور بن سنان الذي كتب إلى الناصر لدين الله

---

(١) ابوتميم معد الملقب المعز لدين الله ، بن المنصور بن القائم بن المهدي بن عبيدالله تولى خلافة بعد والده في ذي الحجة سنة ٣٤١ هـ . كان مولده في سنة ٣١٩ هـ ووفاته سنة ٣٦٥ هـ بالقاهرة وهو الذي تنسب إليه القاهرة ، فيقال القاهرة المعزية . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ ، ومابعدها ، الزركلي ، الأعلام ، ٢٦٥/٣ .

(٢) القاضي النعمان بن حيون ، المجالس والمسايرات ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٣٤ ، نقلا عن د.أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

ابتداء من سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م يمت بالولاية ويطلب الدخول في الطاعة وقدم هدية حسنة دليلا على ولائه ، وجدت اعجابا من الناصر الذي كافأه على هديته ، وأقره على عمله وسجل له ، وألحقه بأهل ولايته فحسنت طاعته بقية عمره . ومن هؤلاء الأمراء موسى بن أبي العافية الذي كتب أيضا إلى الناصر لدين الله وهاداه وأعلن طاعته في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، فسجل له على عمله أيضا واستقام على الطاعة كذلك ومنهم صالح بن سعيد الذي دخل في الطاعة أيضا ولحق بأهل الولاية (١) .

إن دخول أمراء البربر هؤلاء في الطاعة ، وخضوعهم للدولة الأموية بالأندلس ، يعد من المكاسب العظيمة التي حققها الناصر كخطوة أولى في محاربة الفاطميين في أرض العدوة ، وأصبح هؤلاء الولاة يتبعون إداريا للدولة الأموية في الأندلس ويمكنهم تقديم خدمات جليلة في صد النفوذ والخطر الفاطمي أو منعه من الانتشار على أقل تقدير في ولاياتهم .

وخطا الناصر خطوة أخرى متقدمة ومهمة ، إذ قام بضم مدينة سبتة سنة ٣١٩هـ/٩٣١م ، وشحنها بالرجال وأتقن بنيانها وبنيان سورها ووضع فيها عددا من قواده وجنوده ، فصارت مفتاحا للغرب والعدوة من الأندلس ، وباباً إليها ، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر لدين الله في الثالث من ربيع الأول من هذه السنة(٢). وهي خطوة استراتيجية قام بها الناصر لدين الله لتأمين الجبهة الغربية من بلاده من الخطر الفاطمي ، إذ أقام قاعدة عسكرية دائمة في هذه المنطقة ، وقامت الخطبة فيها باسم الخلافة السنية بدلا من الشيعية . وهذه الخطوة دلالة واضحة على أن اعلان الناصر للخلافة كان هدفه الأول هو محاربة المذهب الشيعي في المغرب ومنع انتشاره ووصوله إلى الاندلس .

والواقع ان اعلان الخلافة بالأندلس كان انتصارا كبيرا للمذهب السني في المغرب الاسلامي .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٦١ ، وانظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، ويجعل ابن عذاري مكاتبة موسى بن أبي العافية للناصر في سنة ٣١٩ هـ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٢٠٤ .

ولم يتوقف الناصر عند هذا الحد ، فقد جازت جيوشه وأساطيله إلى بلاد المغرب مرارا لمحاربة العبيديين وحلفائهم من الأدارسة وغيرهم من امراء البربر ، واضطر الادارسة في نهاية الأمر إلى طلب الصلح من الناصر والاعتراف بطاعته والدعوة له على منابر المغرب واستقرت دعوته هناك إلى حين ، ولكن سلطانه فيما وراء البحر لم يكن ثابت الدعائم ، وكان رهينا بقيام دولة الأمراء المحالفين له (١) .

لقد ولد إعلان الناصر الخلافة صراعاً شديداً مع العبيديين ، وبذل جهداً كبيراً في محاربتهم والحد من نفوذهم ، ومنازعتهم له في ألقاب الخلافة ، وقد نجح في الترتيبات التي اتخذها ضدهم إلى حد بعيد .

اخضاع المقاومة الداخلية :

بقي على الخليفة عبدالرحمن الناصر بعد أن أعلن الخلافة ، أن يتجه لاستكمال مابدأه في عصر الامارة ، واستنزال بقية الثوار . فقاد بنفسه الجيوش لاخضاعهم وبسط هيبة الخلافة في مناطق الأندلس المختلفة . وقد تمكن بفضل الله من القضاء على هذه الثورات ، واستنزال آخر الثوار من بني تجيب في سرقسطة سنة ٣٢٦هـ (٢) .

وبدخول التجيبيين في طاعة الناصر لدين الله تكون الأندلس كلها قد دانت له خلال خمسة وعشرين عاما من حكمه ، وقد كانت فترة مليئة بالأحداث حقا ، واستحق الناصر أن يكون خليفة على الأندلس أيما استحقاق فقد أنزل كل المتغلبين الذين كونوا دويلات عصبية صغيرة ، وأرهقوا الدولة الأموية ارهاقا شديدا وبلغوا الذروة في عصر الأمير عبدالله وكادت الدولة الأموية في الأندلس أن لايبقى لها رسم لولا أن هيأ الله للأندلس الأمير عبدالرحمن ، الذي أعاد بناء الدولة من جديد وأعاد لها قوتها وتماسكها ووحدتها . وجاء إعلان الخلافة في الوقت المناسب ليرد للدولة روحها ويبعثها من جديد .

---

(١) محمد عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٢) انظر تفصيل العمليات العسكرية التي قادها الناصر بنفسه خلال الفترة الممتدة من ٣١٧-٣٢٦هـ في المقتبس ، ٥/٢٤٥-٤١٩ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/١٦٠-٢٠٩ .

يقول ابن خلدون : « واستقامت الأندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من أيامه ، ودامت أيامه نحوا من خمسين سنه ، استفحل فيها ملك بني أمية بتلك النواحي» (١) .

ويقول الضبي : « ولم يزل منذ ولي يستنزل المتغلبين ، حتى استكمل إنزال جميعهم في خمس وعشرين سنة من ولايته ، وصارت جميع أقطار الأندلس في طاعته»(٢).

لقد منح الله عبدالرحمن الناصر همة عالية ، وعزيمة لاتفتر ، وتصميما على اجتياز المصاعب حتى تحقق له ماكان يرمي إليه من توحيد الدولة الأندلسية وهو في هذا التصميم وهذه الهمة أشبه بعبدالرحمن الأول مؤسس الدولة الأموية في الأندلس .

وكان منذ توليه الحكم يحارب معركتين في وقت واحد ، معركة مع نصارى الشمال الأسباني الذين رأوا أن يجهضوا قوة هذا الأمير الشاب ، وينالوا منه قبل أن يستكمل قوته ، ويتخلص من مشاكله الداخلية ويستدير لهم ، ومعركة مع ثوار الأندلس الذين ورثهم من عهود من سبقه من الأمراء (٣) .

ولقد كان للانتصارات العظيمة التي حققها الناصر في الداخل وقعها الكبير ، وتأثيرها على نفوس كثير من الأمم المجاورة له ، من النصارى والمجوس وغيرهم فيذكر المقري : أن ملك الناصر كان في غاية مايكون من الضخامة ورفعة الشان ، فقد هادته الروم وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتحافته بعظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجرت إليه ، أو وفدت خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية (٤) .

---

(١) العبر ، ٢٩٨/٤ .

(٢) بغية الملتمس ، ص ١٧ .

(٣) د.رجب محمد عبدالحليم ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية ، الناشرون : دار الكتاب المصري – القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص ١٦٣ .

(٤) ازهار الرياض في أخبار عياض ، ٢٥٨/٢ ، نفح الطيب ، ٣٦٦/١-٣٦٧ .

وصف ابن خاقان ولاية عبدالرحمن الناصر بقوله : « وكانت امارة عبدالرحمن أسعد امارة ، بعد عنها كل نفس بالسوء أمارة ، فلم يطرقها صرف ، ولم يرمقها بمحذور طرف ، ففرع الناس فيها هضاب الأماني ورباها ورتعت ظباؤها في ظلال ظباها ، وهو أسد على براثنه رابض ، وبطل أبدا على قوائم سيفه قابض ، يروع الروم طيفه ، ويجوس خلال تلك الديار خوفه ، ويروي من نجيعهم كل أونة سيفه » (١) . وهنا يصور ابن خاقان بحسه الأدبي الرائع وأسلوبه الرصين أمارة عبدالرحمن الناصر ويقدم لنا وصفا أدبيا مرهفا لهذه الأمارة ، مع الإشارة في نفس الوقت إلى قوته وهيبته في قلوب أعدائه .

نظام الحكم ورسومه في عهد الناصر :

تبع تلك الانتصارات الباهرة نهضة كبرى في الأوضاع المتعلقة بشئون الحكم وتنظيمه ، وشئون العمران ، من تأسيس للمساجد والمدن والقصور والجسور ، إلى نهضة في شئون المال والاقتصاد .

ولم تشغل تلك الأحداث الخليفه عبدالرحمن الناصر عن الاهتمام بشئون الحكم والادارة الداخلية ، الذي أولاه عنايته البالغة ، فقد أوجد جهازا اداريا وتنظيميا قويا لادارة وتصريف شئون الدولة . وسنتناول هذه الأجهزة في موضعها .

ومن أهم الوسوم التي تتعلق بالخلافة ، وتدل على الاستقلال السياسي والاقتصادي ، ضرب السكة ، ففي السنة التي أعلن فيها الخلافة « أمر الناصر لدين الله باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم ، فاتخذت هناك على رسمه » ثم نقلت فيما بعد إلى مدينة الزهراء الجديدة عند سكناه بها (٢) .

أما نقش خاتمه فقد كان « عبدالرحمن بقضاء الله راض » (٣) .

---

(١) ابن خاقان : ابونصر الفتح بن محمد (ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٦٧ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٢٤٣، ٢٤٤ .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ٢/١٥٦ .

العلاقات الدبلوماسية للدولة في عهد الناصر :

شهد عهد الناصر علاقات دبلوماسية متطورة بينه وبين الممالك النصرانية في شمال أسبانيا ، وفي خارج الاطار الاسباني ، تمثل ذلك في السفارات المتبادلة بينه وبين هذه الدول ، كذلك كانت هناك بعض المراسلات بينه وبين أمراء المناطق الاسلامية في المغرب .

وكانت أول سفارة للدولة الأموية في الأندلس قد تمت في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط والتي عرضنا لها في مبحث الأمارة .

سفارة دولة الروم :

في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م وصلت أول سفارة بعث بها ملك الروم صاحب القسطنطينية قسطنطين بن ليون برسالة من ملكهم الى الناصر (١) . وقد استعد الناصر للقائهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه ، وأوفد إلى لقائهم ببجانه وفدا لتلقيهم وتامين طريق وصولهم إلى قرطبة وخدمتهم في الطريق ، وقام الوفد بتلقيهم وايصالهم إلى قرطبة، واستقبلوا أحسن استقبال وأفخمه من قبل القواد في العدد والعدة والتعبئة، وأنزلوا في دار ولي العهد الحكم ، ومنعوا من مقابلة الخاصة والعامة ومداخلة الناس جملة، ورتب لهم عددا من الموالي والحشم لخدمتهم ، ثم أذن لهم بعد ذلك بمقابلة الخليفة الناصر لدين الله ، الذي قعد لهم في قصره في بهو المجلس الزاهر بقرطبة قعودا فخما حيث جلس عن يمينه ولي عهده الحكم ، ثم عبدالله ، ثم عبدالعزيز ، ثم الأصبغ ثم مروان، وعن يساره المنذر ثم عبدالجبار ثم سليمان ، وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا، ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الموالي والوزراء والوكلاء وغيرهم ، وقد بسط صحن الدار بأنفس البسط ، وظللت الأبواب وحناياها بأرفع الستور ، فلما وصل رسل

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ، ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ ، المقري ، أزهار الرياض ، ج ١ ، ص ٢٥٨ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ويجعل المقري وابن خلدون هذه السفارة ، في سنة ٣٣٦هـ/٣٣٨هـ.

ملك الروم على الناصر انبهروا لما رأوه من هول المجلس وعظمته ، والترتيب الذي أعد لاستقبالهم ، وقدموا الرسالة التي جاؤوا بها للناصر من ملكهم وفيها وصف هديته التي أرسل بها ، وعدد أصنافها ، فاستلمت منهم الرسالة . وأعاد لهم الناصر القعود بالزهراء عدة مرات ، وأمر بادخالهم على دور الصناعات والعدة والسكة ، وأن يطاف بهم على أرجائها . ومكث الوفد في قرطبة فترة من الزمن في كرم واحسان ثم كوفئوا على الهدية التي جاؤوا بها ، وأذن لهم بالرحيل إلى ديارهم وهم يتعجبون مما رأوا من عز الاسلام(١).

لقد قدم لنا المقري وصفا متكاملا عن هذه السفارة ومدى الاستعداد لها من قبل الخلافة في قرطبة ، وبين لنا الرسوم التي كانت متبعة في الاحتفالات وترتيب جلوس ابناء الخليفة ، والوزراء وسائر أهل الخدمة ، مما يؤكد لنا ماقاله ابن سعيد (٢) من أن الناصر كان مشغوفا بتفخيم السلطنه . وفي رأيي أن كل هذه الترتيبات الضخمة والفخامة في المجلس والطواف بالرسل على مؤسسات الدولة الصناعية والاقتصادية المختلفة ، وتكرار الناصر الجلوس لاستقبالهم عدة مرات كل ذلك تم بقصد إدخال الهيبة في نفوس هؤلاء الرسل ، وأنهم بلا شك سينقلون وصف هذه المظاهر إلى ملكهم الذي بعث بهم ، ويقدمون له تقريرا مفصلا عما شاهدوه . كما أن الانبهار الذي أصاب هؤلاء الرسل من فخامة مارأوه يدل على مدي التقدم الحضاري الذي وصلت إليه الدولة في عهد الناصر .

وعلى الرغم من الوصف الدقيق الذي قدمه المقري لهذه السفاره إلا انه لم يعطنا تفسيرا لأسبابها ، وماهي فحوى الرسالة التي حملها الوفد إلى الخليفة عبدالرحمن ؟ وهل هذه السفارة هي لتوطيد العلاقات بين الدولتين ، ونشر دعائم السلام بينهما ، وهل دولة الاندلس كانت تشكل خطرا على صاحب القسطنطينية حتى يضطر إلى طلب مودة الخلافة الاندلسية بهذه الهدية العظيمة ؟ ليست هناك اجابات واضحة لهذه الأسئلة . وقد أشار المقري في روايته إلى أن الرسالة احتوت على وصف الهدية وعددها ، فهل نفسر

---

(١) المقري ، أزهار الرياض ، ج ١ ، ص ٢٥٨ – ٢٥٩ ، نفح الطيب ، ٣٦٦/١-٣٦٧ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ، ١٨٢/١ .

ذلك بأن الوفد جاء فقط من القسطنطينية ليقدم هدية ويرجع ؟ اعتقد أن هناك أبعادا أخرى لهذه السفارة . والذي يبدو لي من ذلك أن ملك الناصر قد بلغ مدى عظيما كما رأينا وتسامع به جميع الملوك في أوربا وغيرها ، ويبدو أنه كانت هناك أطماعا من صاحب القسطنطينية في الأندلس ولذلك بعث بهذه السفارة التجسسية لمعرفة الأوضاع في الأندلس معرفة حقيقية وعن قرب . أما موضوع الهدية فهو عبارة عن تغطية وتبرير لسبب زيارتهم .

ويرى محمد عبدالله عنان ، أن هذه الزيارة كانت تجديدا لعلائق الدولة البيزنطية، مع دولة الاسلام بالأندلس ، وتوطيدا للصداقة القديمة التي رأى بلاط القسطنطينية أن يعقدها مع بلاط قرطبة ، منذ عهد عبدالرحمن بن الحكم ، لتكون شبه تحالف ضد الدولة العباسية خصيمتهما المشتركة (١) .

ولكني لاأميل إلى هذا الرأي ، فعلى الرغم من العداء المستحكم بين العباسيين والامويين في الأندلس ، إلا أن ذلك في رأيي لم يصل إلى المستوى الذي تتحالف فيه الدولة البيزنطية النصرانية مع الدولة الأموية المسلمة لضرب الخلافة في بغداد ، فمهما كان مستوى الخلاف بين الدولتين العباسية في المشرق والأموية في الأندلس إلا أن كلا منهما في نهاية الأمر امتداد لرقعة الدولة الاسلامية ، ولا أظن ان شخصية مثل شخصية الناصر تغيب عنها أهداف الدولة البيزنطية .

وعلى أية حال فإن السفارة قد تمت ، وكانت دليلا واضحا على عظمة خلافة الناصر .

وأعد الناصر الخطباء في هذه السفارة للحديث بين يدى الرسل استكمالا لمراسم الاستقبال ، وكلف الناصر أبا على القالي ، صاحب الأمالي ، الذي وفد عليه من المشرق لالقاء خطبة في هذا المشهد ، ولكنه عندما بدأ في الحديث أخذه هول المكان ولم يستطع أن يواصل الحديث ، فقام منذر بن سعيد ، وألقى خطبة عظيمة أذهلت كل الحاضرين ،

---

(١) دولة الاسلام في الأندلس ، ٢/٤٥٦ .

وهي خطبة طويلة ولكن من أهم ماجاء فيها الوصف الذي يتعلق بخلافة الناصر اذ قال:«.. وإني أذكركم بأيام الله عندكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم، وأمنت سربكم ، ورفعت فرقكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ، ولاه الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ايام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ، من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء ، أنشدكم الله معاشر الملا ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ... » (١) .

قدم منذر بن سعيد تقريرا مفصلا وشاملا عن عظمة خلافة الناصر ، وهذا ماكان يرمي إليه الخليفة عبدالرحمن ، ويريد ايصاله إلى رسل الروم فقد ذكر منذر في خطبته الحالة التي كانت عليها الأندلس قبل مجيء الناصر من فرقة وشتات ، وذلة وضعف ، وسفك للدماء ، وضيق في الحال ، ونكد في العيش ، فبدل الله هذه الحالة على يد الناصر إلى أمن واستقرار وسعة في العيش ، وحقن للدماء ، وتأمين للطرق ، وعمارة للبلاد ، وتحصين للثغور ، فهذه الخلافة جديرة بالاحترام من قبل الرعية . وكانت هذه الخطبة سببا في تعلق الناصر بمنذر بن سعيد البلوطي الذي ولاه فيما بعد قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطابة بالزهراء (٢) .

سفارة هوتو ملك الالمان :

ومن أهم السفارات التي وفدت على الناصر رسل هوتو ملك الصقالبة في سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م (٣) . وليست لدينا تفصيلات وافية عن هذه السفارة في المصادر الاسلامية المتوفرة لدينا ، وكل مالدينا هو هذه الرواية المقتضبة عن رسل هوتو ملك الصقالبه إلى

---

(١) المقري ، نفح ، ج ١ ، ص ٣٦٩ .

(٢) المقري ، نفح ، ١/٣٧٢ – ٣٧٣ .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ٢/٢١٨ .

الأندلس . وأشار ابن خلدون أيضا إلى هذه السفارة بقوله : « ثم جاء رسل ملك الصقالبة وهو يومئذ هوتو وآخر من ملك اللمان » (١) .

وتشير الروايات التاريخية الاسلامية إلى عدة مصطلحات للدلالة على ألمانيا ، وهناك تداخل وتشابك فيما بينها ، فتارة تستخدم كلمة «الصقالبة» وتارة «الألمان» أو «اللمان» ، أو «ألمان» ، وهذا الأخير هو الأدق .

ومن المحتمل أن يدخل «الالمان» في اطار «الفرنجة» و «الروم» حين تستخدم العبارتان للدلالة على الشعوب الأوربية (٢) .

كان هوتو الأول أو العظيم – كما تسميه المصادر الأوربية – مؤسس الامبراطورية الرومانية المقدسة بالمعنى الذي يعبر عنه اسم هذه الامبراطورية والذي يشير إلى ارتباط ايطاليا والمانيا تحت سيادة حاكم واحد يسيطر علي شئونها جميعا (٣) .

وطبقا لما ذكره عبدالرحمن الحجي فقد تم تبادل عدة زيارات بين هوتو والخليفة عبدالرحمن الناصر . أما عن أسباب هذه الزيارة ، فإن الناصر كان يمثل اقوى عاهل اسلامي في ذلك الوقت ، وكان يمثل النفوذ والسلطة الاسلامية في المغرب الاسلامي ، ومن المحتمل أن تكون هذه الاسباب هي التي شجعت هوتو على اقامة علاقات دبلوماسية معه . وقد يكون السبب المباشر في اقامة هذه العلاقات ، ان لم يكن السبب الأوحد ، هو أن هوتو كان يعتقد أن الناصر يدعم الأندلسيين الذين تقدموا نحو البرانس وهاجموا الاقاليم المحيطة به (٤) .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ، ١٨٣/٤ .

(٢) A.A. EL- HAJJI, Andalusian Diplomatic Relations with Western Europe, P.207.

(٣) د سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، الطبعة الخامسة ١٩٧٢م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٢٩٨ .

(٤) AL-HAJJI, Andalusian Diplomatic Relations, P.208.

وكانت السفارة الأولى التي بعث بها هوتو إلى الناصر في سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م .

وبعث الناصر إليه ردا على هذه السفارة أحد الاساقفة المستعربين ومعه اثنان ، واحتفل هوتو باستقبالهم في بلاطه ، وسلم الوفد رسالة الخليفة وهديته إلى هوتو ، وبعد الانتهاء من مراسم الاستقبال ، احتجزهم هوتو لمدة ثلاث سنوات ، توفي خلالها الاسقف الذي بعث به الناصر (١) .

وبعث هوتو بسفارة ثانية إلى الناصر ويبدو أنها هي التي أشارت إليها الروايات الاسلامية في سنة ٣٤٢هـ .

وصل وفد الألمان إلى عاصمة الأندلس بعد أن مكث شهرا في طرطوشة ، وأقاموا في قرطبة في قصر أعد لهم يحتوي على كل متطلبات الراحة ، ليس بعيدا عن قصر الخلافة بقرطبة ، وبالقرب من احدى الكنائس ، التي يمكنهم تأدية طقوسهم الدينية فيها ، الى حين استقبال الخليفة لهم ، لمناقشة ماجاؤوا من أجله . وكان الهدف الأساسي هو محاولتهم اقناع الخليفة باستخدام نفوذه في ايقاف هجمات المغامرين الأندلسيين على فراكسينتوم (FRAXINETUM) اضافة إلى بعض الأسباب الأخرى مثل :

(١) مناقشة بعض المسائل السياسية والآراء التي طرحت في رسالة الناصر السابقة .

(٢) دراسة الحياة الفكرية الأندلسية ، والتقدم العلمي ، ومدى استفادتهم من ذلك .

(٣) الاختلاط بالنصارى المستعربين ومعرفة أوضاعهم المعيشية ، ووضعهم في المجتمع (٢) .

وبعد أن أخذ الوفد فترة من الراحة والاستجمام في قرطبة من عناء ومشقة الرحلة الطويلة ، كان لابد من تدبير لقاء لهم مع الخليفة ، ولكن لاحت بعض الصعوبات التي أدت إلى تأخير الرسل ثلاث سنوات . فقد درس الخليفة رسالة الامبراطور هوتو ، والتي أبدت استخفافا بالخلافة ، وانتقدت سياسة الناصر وآرائه في حين انها تمجد الامبراطور ، وتطري على سياسته وتتباهى بموقعه .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢١٢ .

(٢) Al-HAJJI, Andalusian Diplomatic Relations, P.216.

جاءت رسالة هوتو بصورة غير لائقة لاحتوائها على بعض العبارات التي تنتقص من الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما جعل الناصر يرفض استقبال الرسل ، وكان من الصعب أن تجد رسالة هوتو اجابة من الناصر لاهانته له في خطابه وفي بلده ، وبعث الناصر اليهم حسداى بن شبروط لينصحهم ، كما أرسل إليهم أحد الاساقفه للتفاوض معهم بشأن ماجاء في الرسالة ، وبعد مباحثات عديدة قرر الناصر ارسال وفد إلى الامبراطور لتغيير لهجة الخطاب (١) .

لقد كانت هذه السفارة من أخطر السفارات في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس والممالك الأوربية وكان هوتو يمثل راعيا للنصرانية في أوربا ولذلك لايمكن أن تفسر هذه السفارات إلا أنها صراع بين الإسلام والنصرانية . فالناصر كان يمثل الاسلام في أوربا ، ويشكل تهديدا مباشرا للنصارى كما أن هوتو يريد بناء امبراطورية نصرانية كبرى ، وجاءت عبارات رسالته تنتقص من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الخلافة الاسلامية وتمجد في نفس الوقت الامبراطور ، وتشيد بسياسته ، وهي اشارة واضحة للصراع بين الاسلام والنصرانية ، وقد أحسن الناصر حين رفض استقبال وفد الامبراطور ، وأصر على تغيير لهجة الخطاب ، حتى يتم التفاوض على ماجاء الوفد من أجله .

وعلى الرغم من أهمية هذه السفارة ، فلم تسعفنا المصادر الاسلامية إلا باشارات مقتضبة عنها ، ولا أدرى ما السبب في ذلك ، حيث انها لم تشر إلا لوصول رسل هوتو ، أما تفاصيل هذه السفارة فقد صمتت عنها تماما .

السفارات المغربية :

وفد على الناصر عدد من السفارات من أرض المغرب ، ومن هذه السفارات التي وفدت عليه في قرطبة وصول أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الإباضي ، الذي

---

(١) د.الحجي ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ – ٢١٧ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٢١٤ .

جاء إلى الناصر رسولا من والده أبي يزيد في سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م ، فجلس الناصر لاستقباله وأوصله إلى نفسه ، وأكرم لقاءه وأنزله بقصر الرصافة ، وقد أعد له فيه من الفرش والوطاء والغطاء والآنية والآله مايعد لأمثاله فأقام بينه عزيزا مكرما (١) .

وفي سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م ، في النصف من المحرم جلس الناصر بقصر الزهراء جلوسا فخما ، لاستقبال حميد بن يصل ، ومنصور وأبي العيش ابني ابن أبي العافية ، فوصلهم وكساهم ومن ثم أذن لهم في الانصراف إلى بلادهم (٢) .

لقد جاءت هذه الرسل من أرض العدوة إلى الأندلس لتؤكد العلاقات الودية التي أقامها الناصر مع هؤلاء الأمراء بالمغرب ، وكانت هذه الرسل تأتي لتؤكد له طاعتها والتزامها وتبعيتها للدولة الأموية ، على الرغم من اعتناق بعضهم للمذهب الخارجي مثل أبي يزيد بن كيداد ولكن يبدو أن الناصر كان يرى أن المصلحة تقتضي التحالف معهم للقضاء على المذهب الشيعي .

هذه السفارات بشقيها الأوربي والمغربي تدلل على مدى العظمة والقوة التي وصلت إليها الدولة الأموية في عهد الناصر ، وقد جاءت هذه الوفود جميعها ، تعلن احترامها وتقديرها للخلافة ، وتريد إقامة علاقات ودية مع الناصر ، وحتى سفارة هوتو كانت اعترافا من الامبراطورية الرومانية بقوة الخلافة في الأندلس .

وفاة عبدالرحمن الناصر :

توفى الناصر لدين الله في سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م عن عمر يبلغ الثالثة والسبعين بعد حكم دام خمسين سنة (٣) . وهذه أطول مدة قضاها حاكم أموي على الأندلس ، بل وعلى العالم الاسلامي قاطبة في وقته .

وعلى الرغم من طول هذه المدة التي قضاها حاكما على الأندلس ، وما تحقق له

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢/٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٦/٣٥٩ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٤٠ ، المقري ، أزهار الرياض ، ٢/٢٨٢ .

فيها من انتصارات باهرة على أعدائه ، وما بلغته الأندلس في عهده من شأو بعيد في شتى مناحي الحياة ، فإن العيش لم يهنأ له فقد ذكر غير واحد : انه وجد بخط الناصر ، بأن أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا طيلة هذه المدة بلغت أربعة عشر يوما فقط (١) .

إنها مهمة جسيمة تحملها الناصر ، ومسئولية كبرى ألقيت على عاتقه فكيف له أن يهنأ بالعيش في صفاء وسرور وقد قضى نصف حكمه الأول في مطاردة المخالفين ، واعادتهم إلى الطاعة ، حتى تم له ماأراد ؟ وكيف له أن يهنأ بالعيش والنصاري يحيطون به من كل جانب ويتربصون بالمسلمين الدوائر ؟

لقد حقق الناصر للمسلمين في الأندلس مالم يحققه أحد من قبله من أمن وطمأنينة ورخاء ، ولذلك كان يسهر على رعاية هذه المصالح والانجازات التي تمت في عهده ، وليس بغريب أن تكون أيام سروره طيلة هذه المدة هي أربعة عشر يوما فقط .

مقارنة بين السفارات في الدولة العباسية والدولة الأموية في الأندلس :

إذا ما أجرينا مقارنة بين السفارات في الدولة العباسية ، والدولة الأموية في الأندلس نجد أن هناك تشابها كبيرا بين نظام السفارات ، واستقبال السفراء في كل من بغداد وقرطبة وقد سلكت الدولة الأموية في الأندلس مسلك العباسيين في المشرق عند استقبال السفراء ، حيث كانت الخلافة تبرز كل معالم الهيبة والفخامة للرسل ، وتستعد لاستقبال الرسل استعدادا فخما ، كما هو الحال لدى العباسيين في بغداد .

وقد قدم لنا الخطيب البغدادي وصفا لاحدى سفارات الروم إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله ، نلاحظ فيه مدى التشابه مع ماكان يجري في قرطبة عند استقبال السفراء. يقول الخطيب : « ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ، ففرشت الدار بالفروش الجميلة ، وزينت بالآلات الجليلة ، ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على

---

(١) تاريخ بغداد ، ١/١٠٠ .

طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ، ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة ، وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة ، وبين أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة . وقد اظهروا العدد المكسية والأسلحة المختلفة » (١) .

ويقول الخطيب أيضا : « ان رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ، ولما وصل إلى بغداد أنزل دار صاعد ومكث شهرين لايؤذن له في الوصول ، حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آلته فيه ، ثم صف العسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة ، وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار ثم أدخل في أزج تحت الأرض ، فسار فيه حتى مثل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه » (٢) .

« ثم رسم أن يطاف به في الدار وليس فيها من العسكر أحد البتة ، وإنما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودان ، وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خادم ، منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود ، وعدد الحجاب سبعمائة حاجب ، وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام . قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن ، والآلات فيها مرتبة كما يفعل لخزائن العرائس ، وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلايات على درج غشيت بالديباج الأسود ، ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه منها ، وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم ، عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها ، فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ماشاهده » (٣) .

ويمضي الخطيب في وصف تفاصيل هذا الاستقبال فيقول : أن عدد الستور التي علقت في القصر بلغت ثمانية وثلاثين ألف ستر ، وأدخل رسل صاحب الروم من دهليز

---

(١) تاريخ بغداد ، ١٠١/١ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٠١/١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٠١/١-١٠٢ .

باب العامة الأعظم إلى الدار المعروفة بخان الخيل ، وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام ، ثم أدخلوا إلى دار الوحش ، وأدخلوا إلى القصر المعروف بالفردوس ، وكان فيه من الفرش والآلات مالا يحصى ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه إلى ممر طوله ثلاثمائة ذراع ، وقد علق من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزرد وجعبة محلاة وقسي ، وكان الخدم يسقون الناس الماء المبرد بالثلج ولطول المشي فقد استراح الرسل في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا(١).

ونلاحظ على هذه السفارة ، أن هناك تشابها كبيرا بينها وبين السفارة التي جاءت إلى الخليفة عبدالرحمن الناصر في سنة ٣٢٤هـ ، من قبل صاحب القسطنطينية . وقد عمد الخليفة الناصر إلى ابراز كل مظاهر الفخامة والهيبة لرسل صاحب القسطنطينية حتى ينقلوا ماشاهدوه إلى ملكهم ، كما فعل المقتدر العباسي كذلك مع رسل الروم .

ويمكن القول أن الأمويين في الأندلس قلدوا العباسيين في هذا الجانب .

---

(١) انظر المصدر نفسه ، ١/١٠٢-١٠٤ .

خلافة الحكم المستنصر :

خلف الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر بالله ٣٥٠ - ٣٦٦هـ / والده عبد الرحمن الناصر بعد وفاته ،وكان ولي عهد والده ،فجرى على رسم والده فى الحكم ولم يفقد من ترتيبه الا شخصه (١) .

مراسم بيعة الخليفة المستنصر :

اعتلى الحكم المستنصر سرير الخلافة فى اليوم الثانى لوفاة أبيه فقام بأعباء الدولة خير قيام ، وأنفذ الكتب فى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس لبيعته واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه ،وتثقيف مملكته وضبط ثغوره وترتيب أجناده ،وأخذ البيعة أولا على صقالبة القصر من الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر ،فلما تمت بيعتهم بعث الى اخوته وكان عددهم ثمانية ،فأتوا جميعا لبيعته فى قصر الزهراء ،وجلس لهم الحكم فى البهو الأوسط من أبهاء القصر ،فوصل اليه الأخوة فبايعوه وأنعتوا لصحيفة البيعة والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ، ثم بايع بعدهم الوزراء وأبناؤهم واخوتهم ،وأصحاب الشرطة ،وطبقات أهل الخدمة ،وقعد الأخوة والوزراء والوجوه من يمينه وشماله ،الا عيسى بن فطيس لأنه كان قائما يأخذ البيعة على الناس (٢) .

وأجرى الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة وقد كان الفتيان مصطفين فى المجلس يمينا وشمالا كل على قدره فى المنزلة متقلدين سيوفهم لابسين البياض شعار الحزن ،ثم تلاهم الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية منتظمين فى الصطح ،ثم تلاهم بقية الصقالبة على مختلف مراتبهم ،يتقلدون سيوفهم ،ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم (٣) .

---

(١) المقرى ،نفح الطيب ،ج ١ ،ص ٣٨٢ .

(٢) المقرى التلمسانى ،نفح الطيب ،ج ١ ،ص ٣٨٦ - ٣٨٧ ،أزهار الرياض ٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ،نفح ،ج ١ ،ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ،أزهار الرياض ،٢ / ٢٨٧ .

وقامت التعبئة فى دار الجند ،والترتيب من رجالة العبيد ،عليهم الجواشن والألبية البيض ،وعلى رؤوسهم البيضات العقلبية ،وبأيديهم التراس الملونه والأسلحة المزينة انتظموا في صفين الى آخر الفصيل .(١)

وعلى باب السدة الأعظم البوابون وأعوانهم ،ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الاقباء ،واتصل بهم فرسان الحشم ،وطبقات الجند موكبا اثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء .(٢) فلما تمت البيعة أذن للناس بالانصراف الا الأخوة والوزراء وأهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى أن احتمل جسد الناصر الى قرطبة ودفن هناك .(٣)

كانت تلك مراسم بيعة الخليفة الحكم المستنصر ،ونلاحظ مدى مظاهر الفخامة التي صحبت البيعة ،ومن الواضح أنها أخذت طابعا آخر يختلف تماما عن طابعها فى عصر الأمارة ،فقد لاحظنا أن البيعة فى عصر الأمارة كانت تتم فى غاية من البساطة ،دون أن يصحبها أى مظهر من مظاهر الاحتفالات . لقد اتسم عصر الخلافة بمظاهر الأبهة والفخامة فى كل شىء، وقد رأينا أن هناك مراسيم خاصة باستقبال الوفود ،درج عليها الخليفة الناصر ،وقد أخذ الخليفة المستنصر بهذه الترتيبات منذ بيعته ، وهى ترتيبات تنم من العظمة والفخامة ومدى القوة التي وصلت اليها الدولة فى عصر الخلافة ، وكان المستنصر يرمى من وراء اظهار مراسم بيعته بهذه الصورة على مايبدو للدلالة على أن الدوله لم يطرأ عليها أى تغيير بموت الخليفة الناصر .

لاريب أن الناصر قد توفى وترك دولة ثابتة الأركان ،موطدة الدعائم وبذل جهدا جبارا حتى وصلت الدولة الى ماوصلت اليه ،فجاء الحكم

---

(١) المقرى ،نفح ،٣٨٨/١، ازهار ،٢٨٧/٢، وفى النفح (فصل) .
(٢) المصدر نفسه ،نفح ،٣٨٨/١، أزهار ،٢ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .
(٣) المصدر نفسه ،١ / ٣٨٨ ، ٢ / ٢٨٨ .

المستنصر ،ووجد السبل ممهدة له ،ولذلك لم يضف أى تغييرات جذرية على شكل الحكم القائم ،وسارت الدولة على حسب الرسم الذى وضع من قبل الناصر .

قال الشنتريني : " انتهت خلافة بنى مروان إلى الحكم تاسع الأئمة فيها ؛ فتناهت فى السرو والجلالة والكمال والأبهة ،ونظم رواة الأخبار وحملة الآثار من مناقبه ماطار كل مطار فى جميع الأقطار " .(١)

وكان المستنصر " من أهل الدين والعلم ،راغبا فى جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ،باحثا عن الأنساب ،حريصا على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درس نسبه ،أو جهله بقبيلته التى هو منها، مستجلباً للعلماء ورواة الحديث من جميع الآفاق ،يشاهد مجالس العلماء ويسمع ويروى عنهم " .(٢)

ووصف بحسن السيرة ،والإهتمام بجمع العلوم وتكريم أهلها ،وجمع من الكتب مالم يجمعه أحد من الملوك قبله ،(٣) ولم يسمع فى الإسلام بخليفة بلغ مبلغه فى اقتناء الكتب والاهتمام بها حيث وصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار الأخرى لكى يرسلوا له ماعندهم من الكتب .(٤)

وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ورجال يوجههم إلى الآفاق باحثين عنها ،وله جماعة من الوراقين ببغداد والمشرق والأندلس ،وكان مع هذا كثير الاهتمام بكتبه والتصفح لها والمطالعة

---

(١) ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) ،الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ،المجلد الأول ،القسم الرابع ،ص ٥٧ .

(٢) ابن الأبار ،الحلة السيراء ،١ /٢٠١ .

(٣) النويرى ،نهاية الأرب ،ج ٢٣ ،ص ٤٠٠ ،الضبى ،بغية الملتمس ،ص ١٨ .

(٤) ابن الأبار ،الحلة السيراء ،ج ١ ،ص ٢٠١ .

لفوائدها ،وقلما تجد له كتابا كان فى خزانته الا وله فيه قراءة ونظر من أى فن كان من فنون العلم . يقرؤه ويكتب فيه بخطه ويعلق عليه ، وكان موثوقا به مأمونا عليه ،وصار كل ماكتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ،ينقلونه من خطه ،ويحاضرونه به ،(1) وبلغ عدد الفهارس التى كانت فيها تسمية الكتب أربعا وأربعين فهرسة ،فى كل فهرسة خمسين ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط .(٢)

لقد اتجه الخليفة الحكم المستنصر وجهة اخرى ،وطرق جانبا هاما من جوانب الحضارة الاسلامية الأندلسية المشرقة ،وهى الاهتمام بالآداب والعلوم والمعارف ،وأنشأ مكتبة كبرى تضم نوادر الكتب التى ألفت فى الشرق والغرب ،وكانت هذه المؤلفات محل عناية الخليفة نفسه ،الذى كان مهتما بمطالعتها ،والبحث فيها والتعليق عليها بخطه . وصار الحكم حجة يأخذ عنه شيوخ الأندلسيين العلم ،كما بلغت أوراق الفهارس التى عليها أسماء الكتب فقط حوالى ألفين ومائتى ورقة . ولنا أن نتخيل حجم هذه الخزانة العلمية الضخمة ومحتوياتها من الكتب . فبماذا نفسر هذا الاتجاه ؟

إن ذلك يفسر بالإستقرار الذى وصلت إليه الدولة فى عهد الحكم المستنصر ،ولم يعد هناك مايزعجها ويقلقها من اضطرابات وفتن وحروب وأن نظم الحكم قد استقرت تماما وتبلورت ،ومن ثم لجأ الحكم الى الاهتمام بهذا المنحى من مناحى الحضارة الاسلامية .

وكان نقش خاتمه " الحكم بقضاء الله راض "(٣)

---

(1) ابن الأبار ، ص٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٢) ابن حزم ،جمهرة أنساب العرب ،ص ١٠٠ ،ابن الأبار ،الحلة السيراء ١ / ٢٠٣ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٣٢/٢ .

ومن الأعمال الهامة فى عهد الحكم، ان أول شيء استفتح به خلافته هو النظر فى توسعة المسجد الجامع بقرطبة ،وهو أول عهد أنفذه بعد توليه، وقلد ذلك حاجبه جعفر المصحفى ،وكان المسجد قد ضاق بالمصلين ،فسارع الى توسعته ،ولما استكمل العمل فيه " أحضر الفقهاء والعدول والشهود وأعيان الناس ،ووجوههم وقضاتهم وأئمتهم . فحمد الله وأثنى عليه ، وجدد شكره على توفيقه ،لأجراء هذه البنية الكريمة على يديه ،وانه تلقى هذه النعمة الكريمة ،بأن حبس ربع جميع ماجرته اليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين ،فى جميع كور الأندلس وأقاليمها على ثغور الاندلس كافة ،تفرق عليهم غلات هذه الضياع عاما بعد عام على ضعفائهم ،الا أن تكون بقرطبة مجاعة ،فتفرق فيهم الى أن يجبرهم الله . وجعل القبض والنظر فى هذا الحبس الى حاجبه وسيف دولته جعفر ، وجعل دفع ذلك الى وزيره وكاتبه عيسى بن فطيس . وأشهد الحاضرين على ذلك ،وأشهد أيضا بعتق كل مملوك له من الذكران ،وخرج غازيا الى بلاد المشركين " .(١)

وفى سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٦م ،خاطب الخليفة الحكم العمال بكور الأندلس وعنفهم على جرأتهم ،وحذرهم من سطوته وعقوبته ،اذ اتصل به أن بعضهم قد استزادوا زيادات فاحشات ،يعاملون بها الرعية لهم ،فأنكر ذلك عليهم .(٢) وفى هذه السنة أيضا " أنفذ الخليفة الحكم كتبه الى القواد وللعمال بأقطار مملكته ،بانكار مااتصل به من أن بعضهم يسفك دماء بعض بلا عهد ولامشورة ،وأن ذلك عظم عنده ،وتبرأ الى الله ممن الدم عليه " .(٣)

وفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م " أنفذ الخليفة عزمه فى اسقاط سدس جميع مغرم الحشد الآزف حلول أدائه على جميع الرعايا بكور الاندلس ،

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٣٤/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٢، / ٢٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ٢، / ٢٤٠ .

.... شكرا لله تعالى على انظاره له وحسن بلائـه لديـه "[1] .

يتبين لنا من النصوص الآنفة مدى الاهتمام الذى كان يوليه الحكم لأعمال البر ، فقد اهتم بتوسعة مسجد قرطبة الذى ضاق بالمصلين ،وكان ذلك أول عمل قام به بعد توليه ،ثم أوقف ربع ماورثه من والده لتنفق على الضعفاء والمساكين بجميع كور الأندلس الا أن تكون هناك مجاعة بقرطبة ،فعندئذ تفرق بينهم جميعا . كما أن انفاذ كتبه لعماله وقواده فى كور الأندلس المختلفة ،وتحذيره ،وتعنيفه لهم من سوء معاملة الرعية وظلمهم ،أو سفك دماء بعضهم بعضا بلا عهد ولامشورة ،يدلنا على متابعته المستمرة لعماله والمراقبة الدائمة لهم ،والحرص على مصلحة الرعية .

مراسم استقبال الوفود والاحتفالات بالأعياد

كانت هناك رسوم خاصة باستقبال الوفود متبعة منذ عهد الخليفة الناصر ،وتجلت هذه المراسم بصورة كبيرة فى عهد الحكم المستنصر ، وتمثلت هذه الرسوم فى استقبال الوفود النصرانية التى كان يصحبها شئ من الفخامة والعظمة وذلك لاظهار هيبة الخلافة ،أو استقبال الوفود القادمة اليه من المغرب ،كما كانت هناك رسوم خاصة بالأعياد .

مراسم استقبال أردون بن أذفونش :

فى سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م جاء الى باب الحكم المستنصر ، الطاغية أردون ابن اذفونش المتملك على طوائف من أمم الجلالقة ،من غير أمان يعقد له ، أو ذمة تعصمه ،واحتال فى تأميل المستنصر بالله ،والأرتماء إليه ،وذلك عندما بلغه عزم الحكم المستنصر على غزوه فى هذه السنه ، فاقبل فى

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. عبد الرحمن الحجى ،نشر وتوزيع دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ،طبعة ١٩٨٣م ،ص ٢٠٧ .

عشرين رجلا من وجوه رجاله ،فأمر الحكم باستقبالهم أحسن استقبال ،وأمر بانزالهم في دار الناعورة ، وكان قد تقدم فى فرشها بأنواع الغطاء والوطاء ،وأكرم وفادتهم أيما اكرام . (١)

وبعد يومين من اقامتهم طلب الحكم استدعاء أردون ومن معه لمقابلته بعد اقامة الترتيبات اللازمه وتعبئة الجيوش والاحتفال فى ذلك من العدد والاسلحة والزينة . (٢)

ثم جلس لهم المستنصر بالله على سرير الملك فى المجلس الشرقى من مجالس السطح ،وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفا فى المجلس ، فيهم القاضى منذر بن سعيد ،والحكام والفقهاء . (٣) ثم آتى بأردون وأصحابه يحطهم جماعة من نصارى وجوه الذمه بالأندلس يؤنسونه ويبصرونه ،فيهم وليد بن خيزران قاضي النصارى بقرطبة ،وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما فدخل بين صفى الترتيب يقلب الطرف فى نظم الصفوف ، ويجيل الفكر فى كثرتها وتظاهر أسلحتها وراثق حليتها ،فهالهم ما رأوه فنكسوا رؤوسهم غاضين أجفانهم حتى وصلوا الى باب الأبهاء أول باب قصر الزهراء ،ثم أدخل أردون ومن معه الى القصر وأذن له بمقابلة الخليفة ،وانبهر أردون عندما رأى الخليفة وارتاع لهول مارأى ولكن الخليفة الحكم طمأنه وهدأ من روعه ،ولجأ الى تقبيل يد الخليفة عدة مرات . (٤)

وكان أردون يهدف من زيارته للحكم المستنصر آن يقدم له شكوى ضد ابن عمه شانجه المنازع له فى الملك ، والذى خلعه وتولى مكانه

---

(١) المقرى ،نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٣٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ،جـ ١ ،ص ٣٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٣٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٣٨٩ — ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .

ويريد من الخليفة اقراره على أهل ملته ومعاونته على أمر ابن عمه شانجه ، فطمأنه الخليفة بأنه سيعقد له كتابا ،يكون بيده يقرر به حد مابينه وبين ابن عمه ،وأنه سيرغمه على ترك كل البلاد التي يسيطر عليها لتكون بيده (١) .

لقد بلغ من عز الاسلام فى عصر الخلافة بالاندلس ،أن جاء ملوك النصارى بأنفسهم الى باب الخليفة بقرطبة ،يقدمون له الالتزام بالطاعة والولاء ،ويريدون حل نزاعاتهم الداخلية الخاصة بهم لدى الخليفة ، ويطلبون منه اقرارهم على أهل ملتهم ،ويعنى ذلك أن السيادة فى أراضى أسبانيا كانت للخلافة بعد أن كان النصارى يشكلون تهديدا خطيرا للدولة، وقد وعد الخليفة بحل هذا النزاع، بأنه سيعقد كتابا يحدد فيه الحدود الفاصلة بين المتنازعين . وقد بلغت دولة الاسلام من العظمة والجلالة والتنظيم لدرجة أن أردون عندما رأى كل هذه الترتيبات التي أعدت لاستقباله انبهر من هول مارآه . ويبدو أن هذا الترتيب والتنظيم شىء غير مألوف لديه على الرغم من تملكه على طائفة من قومه الجلالة مما جعله يصاب بالذهول والدهشة .

أما من جانب الخلافة فقد رتب الخليفة الحكم فى سنة ٣٦١هـ ،بعض الاشخاص من المسلمين الماهرين بالخدمة ،المعروفين بصدق اللهجة، للسفارة بينه وبين ملوك جليقية ،ولقاء قواميسها والتردد إليهم كل وقت لتعرف أخبارهم ،والتجسس لأنباثهم وحمل الكتب إليهم كل وقت،وعرفها منهم، فيصح الصحيح،وتحصن الفائدة (٢) .

رسل صاحب برشلونة :

فى شعبان سنة ٣٦٠هـ /٩٧٠م استقبل الحكم رسل صاحب برشلونه ،الذين جاؤوه وتقربوا اليه باهدائهم له ثلاثين أسيرا من أسرى المسلمين ،

(١) المقرى ، نفح ، ص ٣٩١ – ٣٩٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٢٦ .

فأمر الحكم بانزالهم بمنية نصر بشط النهر وأكرم مثواهم ،[(١)] " فلما كان يوم السبت لأربع خلون من شهر رمضان منها قعد لهم الخليفة الحكم على السرير فى محراب المجلس الشرقى المنيف على الرياض قعودا فخما كامل الترتيب كأفخم ماجرت به العادة فى أمثاله ،وتوصل الوزراء فقعدوا على مراتبهم ، وحجبه منهم من ذات اليمين الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن وتحته الوزير صاحب الحشم قاسم بن محمد بن طلمس ،ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان ،وتحته صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح "[(٢)] وتقدم الوفد الى الخليفة وقدموا بين أيديهم هدية مرسلهم وكانت ثلاثين أسيرا ،وقبلوا يد الخليفة ،وسألهم الخليفة من أحوالهم وأحوال بلدهم ،وانفض المجلس بعد أن كافأ الخليفة الرسل على هديتهم ،كما كافأ الأسرى بالصلات حتى يتمكنوا من الوصول الى ذويهم .[(٣)]

وجرى استقبال آخر لوفد طاغية برشلونة،بعد ماسبق من هذا التاريخ .[(٤)]

وفود اخرى :-

وفى شوال من عام ٣٦٠هـ/ جلس الخليفة الحكم على سرير الخلافة،فى المجلس الشرقى من قصر الزهراء،لاستقبال الوفود التى قدمت على بابه،يحيط به من الوزراء والحجاب كعادته . فاستقبل أولا رسول شانجه بن غرسيه أمير البشكنس ،واستقبل بعدهما حبيب بن طويلة وسعادة رسولا لرذلند ابن فلين قومس شلمنقة ،ثم استقبل بعدهما غرسية بن عتون رسول صاحب قشتيلة وألبه ،واستقبل أيضا بعض الوفود النصرانية الأخرى،التى جاءت جميعها لتؤكد رغبتها فى السلام،وخاطبهم الخليفة جميعا،وعادوا الى الى بلادهم مزودين بالهدايا .[(٥)]

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢١ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢١ — ٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٤١ — ٢٤٢ .

لقد كثرت الوفود النصرانية على بلاط الخليفة الحكم ،ويبـــدو أن هذه الوفود قد أدركت إدراكا تاما ،عظمة الخلافة، وقوة شوكتها ،فــرأت أن تهادن دولة الخلافة، وتطلب منها السلم، حتى تطمئن الى عدم مهاجمتها من قبل جند الخلافة ،وقد أجاب الخليفة الحكم هذه الوفود جميعها بمـا جاءت من أجله ،وكان استقباله لكل وفد على حده، حتى يتيح لكل منهـــم الفرصة في التعبير عمايريده بعيدا عن الوفود الأخرى .

رسوم الأعيـــاد :

كانت تجرى رسوم معينه فى أثناء الاحتفال بعيدى الفطر والأضحـــى حيث كان الخليفة يجلس على السرير بقصر الزهراء فى المجلس الشرقـــى لتلقى التهنئة ،وكان المجلس يعد بصورة فخمة مع التهيئة والتعبئة وفى نهاية التمام وجودة النظام ،ويتوصل اليه أخوته قبل جميع النـــاس ويقعدوا على مراتبهم بعد السلام عليه ،ومن ثم يصل الوزراء الى المجلـــس ويسلموا ويجلسوا على مراتبهم ذات اليمين ،ثم الحجاب من ذات اليميـــن واليسار ،ثم طبقات أهل الخدمة على منازلهم ومراتبهم ،ورجالات قريـــش الأسن فالأسن والموالى والحكام وقضاة الكور والفقهاء وأهل الشـــورى وغيرهم والعدول وبياض قرطبة ووجوهها .(1)

إن مظاهر الابتهاج بالأعياد فى عهد الحكم المستنصر لم تر لهـــا مثيلا طيلة تاريخ الدولة الأموية فى الأندلس وقد أعطاها الخليفة الحكم طابعا خاصا فى دولته ،وصارت الأعياد مناسبة من المناسبات الدينية التى يحشد فيها الخليفة مختلف طبقات أهل الخدمة من وزراء وحجاب وقـــواد وقضاة وجميع أهل الخدمة ووجوه الناس الذين يأتون للتهنئه بالعيـــد ، ويؤكدون التزامهم بطاعة الخليفة .

---

(1) انظر ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. الحجى ،ص ٥٩ ، ٨١ – ٨٢ ، ٩٣-٩٤، ١١٩ – ١٢٠ ، ١٣٦ – ١٣٧ ، ١٥٥ – ١٥٦ ، ١٨٤ – ١٨٥ .

المذهب العبيدي في المغرب وموقف الحكم منه :

بذل الحكم المستنصر جهودا كبيرة في محاربة المذهب العبيدي بالمغرب كما فعل والده من قبل ،وجاءه كثير من أمراء البربر يعلنون ولاءهم له ونبذهم لدعوة الشيعة ،كما وردت اليه الأخبار بمقتل بعض الموالين للدعوة العبيدية بالغرب .

ففي سنة ٣٦٠هـ /م جاءه الخبر بمقتل زيري بن مناد الصنهاجي، قائد معد بن اسماعيل الشيعي، صاحب افريقية قتله بعض أمراء البربر، الموالين للحكم، من بني خزر وغيرهم، وعد ذلك نصرا عظيما للحكم (١) .

وفي سنة ٣٦١هـ /م أمر الخليفة الحكم المستنصر الوزير الناظر بالحشم محمد بن قاسم بن طملس بالتهيؤ بالخروج الى مدينة سبتة بصورة عاجلة قائدا للجند وذلك لمحاربة حسن بن قنون الحسني ، الذي نبذ ولاية الأمويين وانحرف الى دعوة الشيعي معد بن اسماعيل صاحب افريقية ،فأوصاه بتقوى الله عزوجل ،والعزم الصادق على محاربة حسن بن قنون ،وأن يقيم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في أي أرض يغلب عليها بمشيئة الله تعالى ،ويظفر بأهلها ،ويمحو منها آثار الشيعة المارقة ويعلي سنة الأئمة الراشدين . وتكاملت الجيوش بعد وصول صاحب الشرطة قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بالاسطول فسار الوزير ابن طملس الى مدينة تطاون فألفاها خالية وتقدم منها الى مدينة طنجة (٢) ، التي فتحت في ذي القعدة من هذه السنة ،فتحها محمد بن رماحس قائد البحر بعد معركة دارت بينه وبين حسن بن قنون ،وفر على أثرها ابن قنون (٣) ،ثم خرج وجوه أهل طنجه وهم ينادون " الطاعة لله ولامير المؤمنين الحكم " (٤) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق الحجي ،ص ٢٦-٢٧، ابن عذاري ،البيان المغرب ج٢ص٢٤٢.
(٢) ابن حيان ، المقتبس ،ص ٧٩ – ٨٠ ، ابن عذاري ،البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ،ص ٨٩ ، ابن عذاري ،البيان ،ج ٢ ،ص ٢٤٥ .
(٤) ابن عذاري ، البيان ،ج ٢ ،ص ٢٤٥ .

وفى سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م استدعى الحكم الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن، وأرسله لأرض العدوة، لمحاربة حسن بن قنون الحسنى (الذى فر بعد هزيمته فى طنجة) وجهز جيشا عظيما لحربه ، وقبل أن يتحرك الجيش من قرطبة، جاءه كتاب من قبل قواده المقيمين بأصيلا، أنهم التحموا بحسن بن قنون، وألحقوا به هزيمة شنيعة، إذ قتلوا كثيرا من جنده ، وأسروا بعض قواده ، فكتب إليهم الحكم بأن يكفوا عن قتاله حتى يلتحق بهم الوزير القائد غالب ممدا لهم (١) •

وفى هذا الوقت جاءت رسل حنون بن ادريس، صاحب مدينة الأقلام بالعدوة، ورسول عبد الكريم، صاحب مدينة القرويين من مدينة فاس، يرغبان فى الدخول فى طاعة أمير المؤمنين الحكم، والقيام بدعوته فأكرمهما وأجمل لهما (٢) •

كما أرسل الخليفة الحكم صاحب الشرطة الوسطى والمواريث، قاضى اشبيلية، ووكيل الامير هشام ، محمد بن عبد الله بن أبى عامر ، وصاحب الشرطة الصغرى قاضى الثغر الأعلى محمد بن أبى الحسين والخازن أحمد ابن محمد الكلبى ، إلى مدينة أصيلا بالعدوة أمناء وممتحنين للقواد بها، وأوعز اليهم بتبليغ بعض اوامره فمضوا لسبيلهم (٣) •

لقد كانت الدعوة العبيدية تشكل خطرا كبيرا على الدولة الاموية السنية بالاندلس ، وقد لقيت دعوة الشيعة أرضا خصبة بالمغرب، وعلى وجه الخصوص بين قبائل البربر، التى اعتنق كثير من زعمائها المذهب الشيعى ، ولذلك لم يأل الخليفة الحكم جهدا فى محاربتهم بشتى السبل كما فعل من قبل والده الناصر ، وسعى لاقناع كثير من أمراء البربر بالانضمام اليه

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٠٢ – ١٠٣ ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ •

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ •

وكسبهم الى جانبه بقدر الامكان ببذل الاموال والصلات والكسى فى سبيل هذا الهدف وقد نجح فى ذلك نجاحا كبيرا ، فقد بعث الى قائده غالب ابن عبد الرحمن اثر هزيمة حسن بن قنون بمبلغ عشرة آلاف دينار لتوزيعها على أصحاب حسن بن قنون الذين دخلوا فى طاعة الحكم ،توزع عليهم بحسب مقاديرهم اضافة الى الكسوة الفاخرة والسيوف المحلاة (١) .

وجاءته وفود البربر الى العاصمة قرطبة بنفسها طائعة خاضعة راغبة فى الولاية للخلافة السنية ،نابذة لدعوة الشيعة وقد أكرم وفادتهم وأحسن اليهم . يقول ابن حيان : " وفى يوم الثلاثاء لست خلون منه (رمضان ٣٦٢هـ) عهد أمير المؤمنين الحكم الى الوزراء بالقعود فى بيتهم لرؤساء البربر القادمين من العدوة المتكامل عددهم فى هذا الوقت ومشاهدة توزيع الصلات والكسى عليهم التى أمر بها لهم ووسمها لكل واحد منهم ،ففعلوا وقعدوا لهم ،وكان الانذار قد نفذ الى جميعهم فحضروا ودعى بإمامهم أبى العيش أيوب بن بلال ،رئيس كتامة ،فدفعت إليه خرائط عدة من المال وأعداد من صنوف الخلع الرفيعة ،وحمل على فرس رائع بسرج معرق ولجام مفرغ ،وخلع على ابنه خلع فاخرة فخرجا وبين أيديهما خرائط المال ومناديل الخلع ،ثم دعى من معه من الرؤساء أولا فأولا فأسلمت اليهم صلاتهم وخلعهم وأفيضت فى جميع أصحابهم وأعوانهم حسب مقاديرهم " (٢)

وكذلك فعل الخليفة ببقية أمراء البربر وأمرهم بالأنصراف لسبيلهم وعقد سجلا لأبى العيش ابن ايوب على قومه (٣) . كما عقد سجلات أخرى على عدد آخر من زعماء البربر الذين جاؤوا اليه على نسخة أبى العيش ابن ايوب (٤) .

---

(١) ابن عذارى ،البيان المغرب ،ج ٢ ،ص ٢٤٧ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. الحجى ،ص ١١٠ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ١١٠ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ١١٤ . ومن هؤلاء الزعماء الذين عقد لهم على قومهم ؛ يحى بن فتوح على قبيلة أجاز ،والحسن بن مرحان على قبيلة عصمان، وابراهيم بن على على قبيلة نفيس ،وخلوف بن عمار على قبيلة صاسواه ،والقاسم بن نصر على بنى معار ،ونحيل بن على على قبيلة لهيصة وابن جلاد الكتامى على قبيلة بجرمه ،وخلاد بن سعيد على قبيلة مسالمة ومهارش بن عمران على قبيلة مرهاجة ،وأبو رسه بن الأحمن على قبيلة تورسه ،ومحمد بن أعصر على قبيلة الفلاسه ،وأبو موسى بن أبى زيد على قبيلة ميوسه ،وعيسى بن يملول على قبيلة بنى مغاور ،وعثمان ابن خليفة على قبائل عمارة ،وأبو دسيس بن طيوس على قبيلة ولوسة .

وبذلك تكون سياسة الاستئلاف التى سلكها الحكم المستنصر مع أمراء البربر قد أثمرت ،ودخل كثير من هؤلاء الأمراء فى طاعة الدولة الاموية ونبذوا المذهب الشيعى والتزموا بالمذهب السنى . فقد ورد على الخليفة الحكم فى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م كتاب من الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن أن صاحبى عدوة الأندلسيين من فاس وعدوة القرويين قد استجابا لدعوة الحكم والتزما الطاعة والبيعة التى أعطوها وعقدوها عن كتب امير المؤمنين الواردة عليهم ،المقروءة على عوامهم فى جوامعهم من احتمالهم الطاعة والدخول فى الجماعة واتباع السنة ،والعمل بمذهب مالك بن أنس أمام اهل المدينة ،واقامة النافلة فى شهر رمضان وتوقفهم عن العمل بالبدع والتبديل والتحريف الذى زرعته الشيعة عندهم وأنهم تقبلوا جميع ما أمروا بالتزامه من جميع ذلك ونبذوا ما عداه (1) . وتبعا لذلك كتب عبد الكريم بن يحى صاحب عدوة الاندلسيين كتابا بالبيعة للحكم المستنصر ومعه جماعة من الأندلسيين وبنى عمه ،وأكدوا فى هذه الوثيقة التى كتبوها التزامهم التام بالكتاب والسنة والبراءة من دعوة الشيعة والولاء التام للخليفة الحكم المستنصر (2) .

لقد حد الخليفة المستنصر كثيرا من نفوذ الشيعة بالمغرب ،وقد آتت التدابير التى اتخذها فى هذا الشأن أكلها ،وتوقف المد الشيعى نحو الأندلس ،كما تمكن من محاربة الشيعة فى أرضهم فهو وإن لم يستطع القضاء تماما على النفوذ الشيعى ، لكنه قلل كثيرا من أخطارهم ،وأبعد كثيرا من الموالين لهم ،وأصبح هناك وجود سنى بين أمراء البربر الموالين للأمويين بالأندلس .

---

(1) ابن حيان ، المقتبس ،ص ١٧٤ .
(2) المصدر نفسه ،ص ١٧٤ - ١٧٥ .

يقول ابن خلدون : " واتصلت أيام الحكم المستنصر ،وأوطأ العساكر أرض العدوة من المغرب الأقصى والأوسط ،وتلقى دعوته ملوك زناته ومغراوة ومكناسة فبثها فى أعمالهم ،وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بهـا دعوة الشيعة فيما يليهم ووفد عليه ملوكهم من آل خزر وبنى أبى العافية فاجزل صلتهم وأكرم وفادتهم (١) .

(٢)
توفى الخليفة الحكم ليلة السبت لثلاث خلون من صفر ٣٦٦هـ / ٩٧٦م . وبوفاته تنطوى آخر صفحة مشرقة من صفحات الأمويين الأقوياء بالأندلس ويبتدىء عهد آخر ملىء بالفتن والاضطرابات،حتى سقطت الخلافة الأموية فى الأندلس سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م (٣) .

---

(١) ابن خلدون ،تاريخ ٤، / ٣١٧ .
(٢) ابن عذارى ،البيان المغرب ٢، / ٢٣٣ .
(٣) انظر المقرى ،نفح ١، / ٤٣٨ .

المبحث الثالث

مدى التزام الحكم الأموى بالشريعة الاسلامية

مدى التـزام الحكـم الأمـوى بالشريعـة الاسلاميـة

من المسلم به أن اهم هدف للفتوحات الاسلامية فى المشرق أو فـى المغرب هو نشر رسالة الاسلام فى ربوع المعمورة وتبليغ الدعوة الاسلامية لكافة البشرية ليدخل الناس فى دين الله أفواجا . ولقد استطاع المسلمون أن يفتحوا الاندلس وينشروا الاسلام بين أهل الارض المفتوحة ،ووطـئت جيوشهم الى ماوراء جبال البرتات ،ثم تقهقرت بفعل بعض العوامـل وانحسرت فى الأندلس .

و لامعنى لدولة اسلامية فى الأندلس لاتقيم وزنا للشريعة الاسلاميـة بل تفقد الدولة معناها الحقيقى الذى من أجله أسست ،وهو نشر رسالـة الاسلام ،ولايتأتى هذا النشر الا بتمسك الدولة منهجا وسلوكا بالشريعـة الاسلامية التى من أجلها تم الفتح .

وكما هو معلوم فان الأندلس قد فتحت عام ٩٢ هـ / ٧١١م ،وتأسسـت الدولة الاموية فى الاندلس عام ١٣٨هـ / ٧٥٥ م على غرار الدولة الامويـة فى المشرق ،على مافيها من علات ،والتزم الامويون فى الاندلس بالشريعـة الاسلامية ،منهجا للحكم وسلوكا شخصيا لهم ،وأخذوا الرعية على ذلك . ومن خلال ما استعرضناه فى مبحثى الأمارة والخلافة يتجلى لنا بعد وقرب الحكـم الاموى من أحكام الشريعة الاسلامية .

ولكن الذى يجعل المرء يحار حقيقة ،هو هذه الصراعات التى لاتكـاد تنقطع بين المسلمين أنفسهم ،والتنازع والتناحر بينهم حتى ان المتأمـل فى هذه الصراعات يتساءل هل كان الاسلام لديهم مجرد اسم يحملونـه ؟ أم مجرد شعار يرفعونه ؟

لاشك أن الحكم الاموى فى الاندلس كان ملتزما بالشريعة الاسلامية التى من أجلها فتحت الاندلس ،ومن أجلها تأسست الدولة الاموية ،وماكان لحاكم أيا كان ،أن يحيد عن الشريعة الاسلامية فى ذلك الوقت .

يقول المقرى : " وأما قواعد أهل الأندلس فى ديانتهم فأنها تختلف بحسب الأوقات والنظر الى السلاطين ،ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وانكار التهاون بتعطيلها ،وقيام العامة فى ذلك ،وانكار أى تهاون فيه من أصحاب السلطان ،.... وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للأعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم "(١) .

واذا نظرنا الى سلوك الأمراء الأمويين فى الأندلس خلال الفترة ١٣٨ - ٣٦٦هـ ،نجد أن سلوكهم بصفة عامة ،كان سلوكا ملتزما بالاسلام وأحكامه والسلوك الشخصي للأمراء هو الذى يعكس لنا مدى التزام الدولة بالشريعة الاسلامية .

فالأمير عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة عندما قدم الى الأندلس لأول مرة ،بعد أن عبر البحر أتوه بخمر ،فقال:إني محتاج لمايزيد عقلي لالما ينقصه فعرف بذلك قدره "(٢) .

كانت تلك أول تجربة للأمير الشريد بعد أن وطأ أرض الاندلس ،وكأن الذين أتوه بالخمر يريدون اختباره ،فهل يستجيب لهم ويعاقر أم الكبائر وهو قادم لبناء دولة أساسها التشريع الاسلامى الذى يحرم الخمر ؟ لقد جاء رده سريعا بالرفض وفي ذلك دلالة على التزامه الشخصي بما نهى الله عنه . وحقيقة فان الأمر الذى كان يفكر فيه فى حاجة الى عاقل يزن الأمور بميزانها الصحيح ،ولاينجرف وراء أهوائه ونزواته الشخصية . وماذا سيكون مصير الأمة التى أتى من أجل توحيدها لو أنه انجرف وراء هذا التيار ؟

---

(١) نفح الطيب ١، / ٢٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ٤٢/٣، .

وهذا الرفض الذى أتى من الداخل له أبعاده ومراميه على المدى القريب والبعيد ، ومعناه أن الخمر لن يجد طريقا اليهم وقد كان وهذا ما أكده ابن حزم الأندلسي من أن امراء بنى أمية بالاندلس لم يشرب أحد منهم خمر العنب ـ عدا الحكم الربضى ـ وانما كانوا يشربون العسل المطبوخ وقال ان هذا أمر لاشك فيه عنده أصلا ولقد شاهد بعضه وصح عنده سائره (١) .

أكد ابن حزم الظاهري الاندلسي المتوفى عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م على اجتناب بنى أمية فى الاندلس لشرب الخمر ، وقد شاهد ذلك بنفسه ،فهو معاصر لأخريات أيام الدولة الأموية وسقوطها ،وماتلى ذلك من أحداث ،ولو ثبت ذلك عنده لما توانى لحظة فى ابرازه ، فهو معروف بجرأته وصلابته ، وحتى الحكم الربضى الذى استثناه من بين الأمويين كان سلوكه هذا قبل ثورة الربض ، وبعدها رجع وكفر عن ذنوبه وندم على ما اقترف وتاب عن ذلك كما رأينا فى مبحث الامارة (٢) .

ومن مظاهر التزام الأمويين بالشريعة الاسلامية أن الامير هشام ابن عبد الرحمن ، وهو ثانى الأمراء الأمويين، الذى عرف بهشام الرضا، لعدالته وفضله ، قد أخرج متصدقا يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (٣) .

وهذا استشعار منه بأهمية الزكاة كركن من أركان الاسلام ومالها من دور فى التآلف بين أفراد الامة الاسلامية .

---

(١) مجموعة رسائل ابن حزم ،رسالة نقط العروس ، تحقيق د. احسان عباس ٢ / ٧٣ .

(٢) انظر ص٤٤من هذا البحث .

(٣) النويرى ،نهاية الأرب ،ج ٢٣ ،ص ٣٥٨ .

ووصف ابن حزم الامير هشام بأنه : من أعدل الأمراء بعد الصحابة رضوان الله عليهم[1] . وقال عنه ابن عبد ربه : أنه كان شريف النفس كامل المروءة ،حاكما بالكتاب والسنة ،أخذ الزكاة من حلها ووضعها في موضعها[2] .

كان ابن عبد ربه المتوفى عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م ،من الذين عاشوا في كنف الدولة الاموية ،وعاصر عددا من الأمراء الأمويين الى أن توفى في خلافة عبد الرحمن الناصر . وعندما تأتي الرواية من شخصية معاصرة للأحداث ،فلا مجال للشك فيها . وقد أمدنا بنص واضح من أحد الأمراء الأمويين ،وقال عنه انه حاكم بالكتاب والسنه ، وأنه مهتم بالزكاة بصفة خاصة ،فيأخذها من مصادرها ويوزعها على مستحقيها كما أمرنا القرآن الكريم بذلك في كثير من آياته .

أما عبد الرحمن الأوسط ،الذي خلف والده الحكم بن هشام ،فقد كان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وغيرها[3] ، وكان أول مابدأ به حينما تخلى له والده عن الحكم ،عندما أقعده المرض ،أنه بدأ بتغيير المنكر وهدم فندقا كان معدا لبيع الخمر[4] . ولعل ذلك كان من أسباب ثورة الفقهاء على الحكم الربضى الذى وصف بأنه كان طاغيا ومسرفا وله آثار سوء قبيحة[5] . وهذا الفندق الذى هدمه ابنه عبد الرحمن من آثاره التى عناها المؤرخون .

أما الامير عبد الله فكان من أكثر الأمراء الأمويين التزاما بالاسلام ،وقال عنه ابن حيان : أنه من أصلح امراء بنى آمية بالاندلس

---

(١) رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، ص ٧٣ .

(٢) العقد الفريد ،ج ٥ ،ص ٢١٦ .

(٣) ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ .

(٤) ابن فضل الله العمري ،مسالك الابصار ،مخطوط ، ج ٢٤ ،ص ٣١٥ .

(٥) الضبى ، بغية الملتمس ،ص ١٤ .

وأمثلهم طريقة ،وأتمهم معرفة ،وأمتنهم ديانة حيث كان يتهجد بالليل وكانت نيته في ذلك نية المخبت الورع الراغب في الخير ، (١) قال بعض خاصته من فتيان قصره : " كان الأمير عبد الله كثير التلاوة للقرآن مثابرا على درسه لاينفك كل يوم من تقديم حزب منه ، يبدأ بالقراءة وكذلك ينظر في شأنه ، وكان حافظا له محبا لمن حفظه ،ومستثقلا لمن ضيعه يخل بالرجل الضخم عنده أنه لايحفظ القرآن أو بعضه ،ولو اجتمعت فيه كل خلة حسنة ،وكان بسيط اليد بالصدقات على الفقراء وأهل الحاجة وأولى الزمانة،يسهم لهم من مال الجبايات اذا وردت عليه ... وكان لايقدم أمرا ولايؤخره الا عن مشورة أهل العلم والفقه " (٢) .

وهذه صورة حية لأحد الأمراء الأمويين المتمسكين بكتاب الله حفظا وتلاوة وعملا ،ونموذج مشرف من نماذج عصر الامارة الأموية في الأندلس فكان لايكتفى بمجرد تلاوته فقط،وانما كان يتدبر آياته ليطبقها في حكمه اضافة الى ذلك فقد كان يحب الذين يحفظونه ،ويستثقل الذين يضيعونه مهما كان شأنهم . كما كان مهتما بالفقراء من رعيته وأهل الحاجة والمرضى المزمنين منهم،ينفق عليهم من بيت المال من مال الجباية ،وكان مهتما بمبدأ الشورى وهو من المبادئ الاسلامية الهامة في الحكم ،فكان لايقطع أمرا دون أن يرجع فيه الى الفقهاء وأهل العلم .

لقد قدم لنا ابن حيان نموذجا حيا لأحد الأمراء الأمويين الملتزمين بأحكام الاسلام منهجا وسلوكا ، وهذه صورة معاكسة تماما لأحد أسلافه ، وهو الأمير الحكم بن هشام ،وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه الصورة المشرقة على الامارة الأندلسية ،ولكنه بكل اسف ـ أبتلى بكثرة الفتن الداخلية ،التى هدته ،وهدت كيان دولته ،فضاعت الصورة المشرقة لعصر الأمير عبد الله ،وقد نغصت عليه هذه الفتن حكمه ،ولم يهدأ له بال الى حين وفاته على نحو مارأينا في السابق .

(١) ابن حيان ،المقتبس ،نشر ملشور أنطونية ،ص ٣٣ ،ابن فضل الله العمري ،مسالك الابصار ،مخطوط ،٢٤ / ٣٢٢ .

(٢) ابن حيان ،المقتبس ،المصدر السابق ،ص ٣٣ ـ ٣٤ .

وجاء عهد عبد الرحمن الناصر ليؤكد التزام الامويين بالشريعة الاسلامية في كل منحى من مناحى الحياة .

فمن أهم الأعمال التى قام بها الأمير عبد الرحمن والخليفة فيما بعد دفاعا عن الاسلام محاربته للفكر المنحرف الذى أدخله محمد بن عبد الله ابن مسرة (١) ، الذى أراد أن يهدم كيان الامة الاسلامية في الاندلس ،مستهدفا في ذلك عقيدتها .

قال ابن حيان : " كان مذهب الظنين المرتاب المنطوى على دخل السريرة محمد بن عبد الله بن مسرة الرابض للفتنة قد دب في الناس صدر دولة الخليفة الناصر لدين الله ، واستهواهم بفضل ما أظهره من الزهد وأبدى من الورع ،وتشدد في المكاسب ،وأيأس عن التجاوز ،وأوحش من الناس ،وآثر من الانتباذ عنهم حتى استوطن ضيعته ببعض قرى قرطبة مفضلا مكانه هنالك على مجاورة أهلها ،وشهادة جمعها ،فظل دعاته وأصحابه ينتابونه بمكانه ويتكررون عليه ويأخذون عنه ،فيمكنه توحده بهم من الاذاعة اليهم بما في نفسه مما لايمكن اذاعته بالمصر " (٢) .

وقال ابن الفرضي عنه :" اتهم بالزندقة فخرج فارا ،وتردد بالمشرق مدة ،فاشتغل بملاقاة أهل الجدل ،وأصحاب الكلام والمعتزلة ،ثم انصرف الى الأندلس فأظهر نسكا وورعا واغتر الناس بظاهره ،فاختلفوا اليه وسمعوا منه ،ثم ظهر الناس على سوء معتقده ،وقبح مذهبه ،فانقبض من كان له ادراك وعلم ،وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل فدانوا بخلته " (٣)

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح ،من أهل قرطبة ،يكنى أبا عبد الله . سمع من أبيه ،ومن محمد بن وضاح ،والخشني ،خرج الى المشرق في آخر أيام الامير عبد الله ،وكان له لسان يصل به الى تأليف الكلام ، وتمويه الالفاظ ،واخفاء المعاني . كان مولده في شوال من سنة ٢٦٩هـ، وتوفي في شوال سنة ٣١٩هـ . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم ١٢٠٢ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق ب . شالميتا ، ص ٢٠ .

(٣) تاريخ علماء الاندلس ٢، / ٦٨٧ ، ترجمة رقم ١٢٠٢ .

وكان منهجه القدح فى السنة والتأويل فى القرآن الكريم ،وتضعيف أحاديث الشفاعة وغير ذلك من آراء المتكلمين والفلاسفة ،واتبعه نفر من الناس ،استهواهم بعذوبة حديثه وشككهم فى اعتقادهم ،وصدهم عن سبيل السنة ،وأبعدهم من الجماعة ، وأصبح بعضهم دعاة وأئمة فى مذهبه (١) .

وكانت وفاته فى سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م (٢) ، واستمر اتباعه فى دعوته على الرغم من وفاته ، مما ولد ذعرا لدى أهل السنة بقرطبة الذين هرعوا الى الخليفة الناصر لدين الله وابلغوه بخطورة دعوة ابن مسرة على عقيدة الامة (٣) ، فاستجاب الناصر لدعوة علماء قرطبة ، وأصدر امرا بملاحقتهم ومنع نشاطهم ،والاغلاظ لمن عثر عليه منهم ،والقضاء عليهم وآخرج كتابا فى التنديد بمذهبهم ليقرأ على الناس فى كافة الافاق بالاندلس (٤) .

ويبدو أن هذه الحركة كانت من الخطورة بمكان حيث أن آثارها استمرت حتى أخريات أيام الناصر لدين الله ،ففى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م ،امتنى الفقيه محمد بن يبقى زرب (٥) بطلب أصحاب ابن مسرة والكشف منهم ،واستتابة من علم أنه يعتقد مذهبهم ،وقد ألف كتابا حسنا فى الرد عليهم ،وقد جئ له فى هذه السنه بمجموعة منهم واستتابهم ،ثم خرج الى جانب المسجد الجامع الشرقي بقرطبة ،وجلس هناك وأحرق بين يده كل ما عثر عليه من كتبهم ،وهم ينظرون اليه مع الحاضرين (٦) .

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق : ب شالميتا ، ص ٢٠ — ٢١ .
(٢) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ٢، / ٦٨٩ .
(٣) ابن حيان ،المقتبس ،ص ٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٤ — ٢٥ .
(٥) النباهى ،أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي ،تاريخ قضاة الاندلس المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، منشورات دار الافاق الجديدة ،بيروت — ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ،ص ٧٨ .
(٦) هو محمد بن يبقى بن زرب بن يزيد بن مسلمة . ولد سنة ٣١٧هـ تولى قضاء الجماعة بقرطبة ،وكان أحفظ أهل زمانه للمسائل على مذهب مالك وأصحابه . كان مشاورا فى الاحكام قبل توليه قضاء الجماعة ت ٣٨١هـ / ٩٩١م .
ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١٣٦١،ج ٢ ،ص ٧٧٥ — ٧٧٦، الضبى ،بغية الملتمس ،ترجمة رقم ٢٢٥ ،ص ١٤٦ — ١٤٧ .

قال ابن حيان بعد محاربة الناصر لدين الله لحركة ابن مصرة والقضاء عليهم : " فأصبح بنعمة الله التي نعترف بالعجز عن شكرها ، مقتفيا لآثار الخلفاء آبائه والأئمة من سلفه ،قائماً بالكتاب ،معلنا بالسنه ،مؤثرا لهما مجاهدا عليهما ... وهو مع ذلك لايزال موكل النفس والهمة ، يتفقد مصالح الأمة ،ويتعهد أمور الديانة باحثا عن سنن المسلمين وطرائقهم ،ومواطن اجتماعهم فى مساجدهم ،ومحافلهم بمن نصبهم من ثقاتهم وعيون بطانته ،ووكلهم بمباطنة الطويات ،وكشف السريرات، فكانت الأعمال معروضة عليه وخفيات السرائر مكشوفه له ،ومطويات بنات فكر البر والفاجر منجليات لعلمه ،والباطن والظاهر من مذاهب العوام موضوعات بين يديه ،ونعم الله فى كل ذلك تتواصل بتجدد الدين ،وقوام شرائعه ووضوح مهايعه (*) ، وتواضع الرقاب لتعظيمه وسلامة القلوب من الالحاد فيه ،وتردده غضا فى القلوب لايسأم ،وجديد على جدة الأيام لايمل ،وكتاب الله عزوجل محفوظ على أحسن تلاوته وأسلم حروفه ،وترك العناد والتجادل فيه والتزام الحكم به والرجوع اليه ،(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (**) ، بادخال الخاص والعام فى شوراهم ،ومايجرى بينهم على مكشوف السنة ،ومشهود ماحمل من كبير الأئمة مالك بن أنس امام أهل المدينة رضى الله عنه ،ومن الروايات المتفقة والأحاديث المنقولة بصحتها على ألسن الصحابة نجوم الهداية ،فطابت بذلك هذه البلدة وتزكى اهلها " (١) .

وبناء على ماذكره ابن حيان فى هذا النص المطول الذى أثبتناه لأهميته ،ومايحمله من دلالات واضحة على التزام الحكم الاموى فى الأندلس بالشريعة الاسلامية ،نستطيع القول أن الامويين فى الأندلس كانوا متمسكين تمسكا تاما بالشريعة حكما وسلوكا ودعوةً ،ولاشك أن هناك بعض الشوائب التى كانت تشوب سلوك بعضهم ،ولكن الاتجاه العام للدولة ،هو الالتزام بالشريعة الاسلامية ،وعدم الحيدة عنها مطلقا .

(*) المهيع طريق واسع منبسط ،وهاع : اتسع وانتشر . ابن منظور ،لسان العرب ،مجلد ٣ ،ص٨٥٦ .

(**)سورة المائدة ،الاية (٤٤) .

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ب . شالميتا ،ص ٢٣ - ٢٤ .

ونستخلص مماذكره ابن حيان آنفا : أن دولة الناصر لدين الله كانت قائمة على الكتاب والسنة كأساس للتشريع الاسلامي وأن الناصر كان يسير على سنة سلفه ولم يحد عنها شبرا ،ولم يؤثر أى منهج آخر على الكتاب والسنة وكان يجاهد فى سبيلهما ،وقد أبلى بلاءا حسنا فى محاربة الأفكار الهدامة التى حاولت النيل من الكتاب والسنة .

أما الخليفة الحكم المستنصر ،فقد كان من العلماء الموثوق بهم عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ،ينقلون ماكتبه ويحاضرون به (١) . يروى أنه لما زاد زيادته المشهورة فى المسجد الجامع بقرطبة امتنع الناس عن الصلاة فيها أياما ،فلما سأل عن العلة فى ذلك ، قيل له : انهم يقولون ماندرى من أين اكتسب هذه الدراهم التى انفقها فى هذه الزيادة ،فما كان منه الا أن استحضر الشهود ،وقاضى الجماعة منذر بن سعيد البلوطى، واستقبل القبلة ،وحلف باليمين الشرعية التى جرت بها العادة ،أنه ما أنفق فيها درهما الا من خمس المغنم ،وعند ذلك صلى الناس فيها عندما علموا بيمينه (٢) .

ويتبين لنا من هذا النص مدى تمسك الناس بدينهم ،لدرجة أنهم لايريدون الصلاة فى الزيادة التى اضافها الخليفة الى المسجد ،لأنهم لايعلمون من أين اكتسب الدراهم التى انفقت على الزيادة . هل هى من كسب حلال مشروع ،أم من كسب حرام ؟ ومع ذلك لم يغضب الخليفة لهذا التساؤل ،واعتبره من حقهم ،وقدم لهم الدليل والبرهان العملى على ذلك ،وعندما اطمأنوا وصلوا فى الزيادة .

واذا كان هذا شأنهم مع أميرهم ،حاسبوه حتى فى الزيادة التى أجراها على المسجد الجامع ،لاشك أنهم وخليفتهم ملتزمون بأحكام الاسلام فى شتى مناحى الحياة .

---

(١) ابن الابار ،الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٢) عبد الواحد المراكشى ،المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ،ص ٤٥٧ .

ومن مظاهر التزام الحكم الأموي بالشريعة في عهد الخليفة الحكم المستنصر ،ذلك الكتاب الذي وجهه الى شيخ قبيلة كتامة أبي العيش ابن أيوب الذين دخلوا في طاعة الدولة الأموية ،فقد جاء في هذا الكتاب : وأمره أن يجري في أحكامه على كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ،وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ،وأن يأخذ نفسه بمراعاتهما والاهتداء بهما ،وأن يقف عندما آمره به من استصلاح أحوال الرعية ،والعفاف عن أموالهم ،واستعمال العدل فيهم ،والأخذ لهم ومنهم وعليهم ،والتسوية فيه بين شريفهم ومشروفهم وقويهم وضعيفهم ،وفتح بابه ،ورفع حجابه ،ومباشرة أمورهم بنفسه ،وحملهم على واضح الديانة، ومناهجها المستقيمة ،وما عقده منها الكتاب والسنة ،ومراعاة الصلاة لأوقاتها ،واقامتها على كمالها بحدودها والآذان لها على حسب ماكان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين من بعده ،ماعليه جماعة المسلمين فيه ،والافطار عند رؤية الهلال كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وأن يأخذ زكواتهم من الحبوب والثمرات ،وصدقات مواشيهم على حدودها وشرائطها ،غير مقصر عنها ولامتجاوز لها ،ولامبدل لشيء منها.(١)

لقد رسم الخليفة الحكم في هذا الكتاب المنهج الواضح للشريعة الاسلامية ،لأحد أتباعه الذين دانوا له بالولاء بالعدوة ،وحدد له الطريقة التي ينبغي أن يسير عليها في ولايته لقومه . واذا كان هذا الكتاب بمثابة ميثاق أعطاه لاحد ولاته يتضمن منهجا شاملا وتصورا كاملا لمنهج الحكم على ضوء الشريعة الاسلامية ،فان هذا المنهج لابد أن يكون من خطه ورسمه عاملا بهديه ،ومقتديا به قبل آن يلزم غيره به .

ولما كره العلماء للخليفة الحكم شرب الخمر لحرمتهـا ،هم باستئصال شجرة العنب من الأندلس ،فقيل له : فإنها تعصر من سواهـا فأمسك من ذلك .(٢)

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق الحجي ،ص ١١١ – ١١٢ .

(٢) المقري ،نفح ٣، / ٢١٤ .

وكان المذهب المالكي هو أساس التشريع الاسلامي في الاندلس (١) .

دخول المذهب المالكي الى الأندلس :

كانت الاندلس منذ أن فتحت على مذهب الامام الأوزاعي (٢)، ثم انتقلت الى مذهب الامام مالك بن أنس وقد اختلفت الروايات حول دخول المذهب المالكي إلى الأندلس، فذهب البعض الى أن المذهب المالكي دخل الأندلس في عصر الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وذلك حينما سأل الامام مالك حجاج المغرب عن سيرته، فلما ذكر له أنه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله، قال : ليت الله زين حرمنا بمثله، فلما وصلت مقالته الى الداخل سر بها وجمع الناس على مذهبه (٣) .

وهناك من يرى أن دخول المذهب تم في عصر الحكم، ثالث الأمراء الامويين بالاندلس، وذلك برأى الحكم واختياره، واختلف في السبب الذى أدى به الى اختيار المذهب المالكي، فرأي يقول أن سببه : رحلة علماء الاندلس الى المدينة، فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه

---

(١) نشأ المذهب المالكي على يد امام اهل المدينة مالك بن أنس بن مالك ابن ابى عامر الأصبحى، الذى ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ، وتوفى بها سنة ١٧٩هـ على أرجح الاقوال، وقد بدأ مالك طلب العلم وهو صغير، وأخذ العلم عن ربيعة الرأى، وعن ابن هرمز، وعن ابن شهاب الزهرى وعن نافع مولى ابن عمر . كان يستند في مذهبه على تقديم كتاب الله أولا، ثم السنة النبوية الشريفة ثانيا، ثم الاجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنة، وبعد ذلك عند عدم هذه الاصول،القياس عليها والاستنباط منها، والعمل بأخبار الآحاد عند عدم الكتاب والتواتر لها، وهى مقدمة على القياس لاجماع الصحابة على العمليين . القاضى عياض، ترتيب المدارك، جـ ١، ص ٩٢ - ٩٤، ١٠٢، ١١٠، ١١١، ابن فرحون المالكى، الديباج المذهب، جـ ١، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) عياض، ترتيب المدارك، ١/٥٥، المقرى، نفح، ٣/٢٣٠، السلاوى الناصرى، الاستقصا، ١/ ١٣٩ .

(٣) السلاوى، المصدر نفسه ١ / ١٣٩ .

وجلالة قدره فأعظموه ،ورأى يقول بأن أهل الاندلس وصفوا سيرة أميرهم للامام مالك فلما أعلم بحسن سيرته قال :" نسأل الله أن يزين حرمنا بملككم "[١] .

ومعنى ذلك أن سيرة الحكم بن هشام هى التى وصفت للامام مالك ، وليست سيرة الامير عبد الرحمن ،وأرى أن هذا الرأى غير صائب لان سيرة الحكم كما رأينا لم تكن بالصورة المشرقة حتى يصفها أهل الاندلس للامام مالك ، اضافة الى شئ اخر هو أن وفاة الامام مالك كانت فى سنة ١٧٩هـ، وذلك قبل أن يتولى الامير الحكم الامارة بسنة ،وكانت ولايته فى سنة ١٨٠هـ .

ويقول ابن القوطية : أن زياد بن عبد الرحمن اللخمى فقيه الأندلس رحل بعد عام من ولاية الامير هشام الى الشرق ،فلما صار بالمدينة والتقى بالامام مالك بن أنس سأله عن هشام فأخبره عن مذاهبه فقال : " ليت الله زين سمتنا بمثله "[٢]. ويبدو أن هذا هو الأرجح فقد ذكر القاضى عياض : أنه رحل الى مالك من الاندلس زياد بن عبد الرحمن، والقرموس بن العباس والغازى بن قيس،ومن بعدهم فجاؤوا بعلمه الى الأندلس،وأبانوا فضله للناس،فعجل الأمير هشام بن معاوية يلزم الناس بمذهب مالك بن أنس وصير القضاء والفتيا عليه[٣] .

وعلى أية حال فانه من الراجح ان المذهب المالكى صار المذهب الرسمى للدولة الاموية فى الاندلس بدءا من عصر الامير هشام بن عبدالرحمن ثانى الامراء الامويين ،وقد كان هشام يقرب الفقهاء والعلماء ومن هؤلاء

---

(١) المقرى ، نفح ، ٣ / ٢٣٠ .

(٢) ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الاندلس ،ص ٦٢ .

(٣) عياض ،ترتيب المدارك ،جـ ١ ،ص ٥٥ .

الفقهاء المالكية الذين حظوا بالتقدير عنده ،زياد بن عبد الرحمن الذى أراد أن يوليه القضاء ،ففر هاربا بنفسه ،فقال هشام ليت الناس كزياد حتى أكفى أهل الرغبة فى الدنيا ،وكان يقول : " صحبت الناس ،وبلوتهم فما رأيت رجلا يسر من الزهد أكثر مما يظهر الا زياد بن عبد الرحمن (١) .

ويبدو ان الفقهاء قد وجدوا درجة كبيرة من الحظوة لدى الامير هشام الذى كان يقربهم ويستمع اليهم ولذلك لم يحتملوا تصرفات خلفه الحكم بن هشام فثاروا عليه . ومن هؤلاء الفقهاء الذين ثاروا على الحكم ،الفقيه عيسى بن دينار ،الذى قام بدور بارز فى بلورة الفقه المالكى فى الاندلس ،اذ رحل الى المشرق وسمع من ابن القاسم وصحبه ثم انصرف الى الاندلس ،حيث كانت الفتيا تدور عليه ،ولايتقدمه أحد بقرطبة وقد فر بعد فتنة الربض واختفى فترة من الوقت الى أن امنه الامير الحكم بن هشام ،توفى سنة ٢١٢هـ (٢) . وكان ابن وضاح يقول ان عيسى بن دينار : " هو الذى علم أهل الاندلس الفقه " (٣) .

وفى عصر الامير عبد الرحمن الاوسط بدأ المذهب المالكى فى الانتشار والتوسع ،ذلك أن الامير عبد الرحمن منح الشيخ يحى بن يحى صلاحيات واسعة فى تولية وعزل القضاة وكان يستشيره ولايحيد عن مشورته ،فأصبح شديد التمكن لديه وأثره على جميع الفقهاء (٤) . والشيخ يحى بن يحى من أعلام الفقه المالكى الاندلسى ،فقد سمع من زياد بن عبد الرحمن الموطأ ، وسمع من يحى بن مضر ثم رحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فسمع من مالك بن أنس ، الموطأ ،وقدم الاندلس بعلم كثير ،وصادت فتيا الاندلس بعد عيسى بن دينار تدور عليه (٥) ويعزو ابن حزم انتشار المذهب

---

(١) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،٢ /٢٧٩ - ٢٨٠ ،ترجمة رقم ٤٥٦ .

(٢) عياض ،ترتيب المدارك ،٣ / ١٦ - ١٧ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. محمود على مكى ،طبعة بيروت ،ص ٩٩

(٤) المصدر نفسه ،ص ٤٠ - ٤١ .

(٥) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،٢ / ٨٩٨ ،ترجمة رقم ١٥٥٤ .

المالكى فى الاندلس الى الشيخ يحى بن يحى لانه كان مقبول القول فى القضاة ،وكان لايلى قاضى فى اقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ولذلك تسارع الناس الى اعتناق المذهب المالكى أملا فى الوصول الى القضاء[1] . وهذا ليس بسبب كاف فى رأيى لان يتسارع الناس الى اعتناق المذهب المالكى ،حتى يصلوا الى مايريدونه من مناصب ،فليس ذلك وحده هو السبب ،وقد رفض كثير من هؤلاء الفقهاء أن يتولوا أى منصب قضائى وخير دليل على ذلك ماذكرناه من رفض زياد بن عبد الرحمن لمنصب القضاء الذى أراده له الامير هشام .

وقدم ابن خلدون تبريرا لانتشار المذهب المالكى السريع فى الاندلس وعزاه الى عدة أسباب فقال : " وأما مالك رحمه الله تعالى ــ فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس ،وان كان يوجد فى غيرهم الا أنهم لم يقلدوا غيره الا فى القليل ،لان رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز ــ وهو منتهى سفرهم ،والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ــ ولم يكن العراق فى طريقهم ،فاقتصروا على الاخذ عن علماء المدينة ،وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده ،فرجع اليه اهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته . وأيضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التى لاهل العراق ،فكانوا لاهل الحجاز أميل[2] .

قد يكون ماذكره ابن خلدون فيه شئ من الصحة من أن اهل المغرب والاندلس كان اتصالهم اتصالا مباشرا مع المدينة منبع المذهب المالكى وذلك من طريق رحلات الحج ،ولكن ليس هناك مايمنع اهل المغرب والاندلس

---

(١) ابن حزم برواية المقرى ،نفح ٢، / ١٠ .
(٢) المقدمة ،ص ٤٤٩ .

من الاتصال بعلماء آخرين في انحاء الدولة الاسلامية سواء كانوا فــي العراق أو في أي مكان آخر ،وليس كل العلماء القادمين من الاندلس الى المشرق كان هدفهم الحج فقط ،بل كان هدف أغلبهم علميا في المقــام الاول . وأما بداوة اهل الاندلس والحجاز فأمر غير مسلم به فالمدينــة هي عاصمة الدولة الاسلامية منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها، واستقراره فيها ،ولايعقل أن يظل أهلها على بداوتهم لاكثر من قرن ونصف تقريبا . والمدينة يومئذ هي دار العلم كما ذكر هو بنفسه .

وعلى كل استقر المذهب المالكي وثبت في الاندلس ،وساهم عدد كبيــر من علماء الاندلس في تثبيته وتوضيحه (*) .

ولقد ساهم عدد كبير جدا من الفقهاء الاندلسيين ممن لايتسع المجال لذكرهم في تثبيت المذهب المالكي بالاندلس .

وكان الاندلسيون متمسكين أيما تمسك بالمذهب المالكي ،حتى انهــم يقولون :" لانعرف الا كتاب الله وموطأ مالك " فان ظهر لهم حنفــي او شافعي نفوه ،وان عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربما قتلوه " (١) .

(*) فمن هؤلاء الفقهاء عبد الملك بن حبيب الذى رحل الى المشرق وسمع الموطأ من مجموعة من أعلام المالكية بالمشرق ،ثم انصرف الى الاندلس وجمــع علما عظيما ،وكان مشاورا مع يحى بن يحى ،وسعيد بن حسان ،وحافظا للفقه على مذهب المدنيين نبيلا فيه ،وله مؤلفات في الفقه والتواريــخ والآداب مثل الواضحه التي لم يؤلف مثلها ،والجوامع ،وكتاب فضائــل الصحابة رضي الله عنهم وكتاب غريب الحديث وتفسير الموطأ - ابن الفرضي تاريخ علماء الاندلس ،٢/٤٥٩ ،ترجمة رقم ٨١٤ .
ومنهم محمد بن عمر بن لبابه الذى روى من عدد كبير من تلاميذ الامـام مالك ،وكان اماما في الفقه مقدما على أهل زمانه ،في حفظ الــرأي والبصر بالفتيا ،درس كتب الرأي ستين سنه ،وكان مشاورا في أيــام الامير عبد الله ،وانفرد بالفتيا من أول ايام الناصر لدين اللــه ، وكانت وفاته سنة ٣١٤هـ . ابن الفرضي ،٢/٦٨٠ ،ترجمة رقــم ١٨٨٧ .
ومنهم محمد بن وضاح بن بزيغ (مولى عبد الرحمن بن معاوية) الذى رحل رحلتين الى المشرق ،وبلغ عدة الرجال الذين سمع منهم في الامصار مائــة وخمسة وسبعون رجلا ،وبمحمد بن وضاح وبقي بن مخلد ،صارت الاندلس دار حديث ،وكان عالما بالحديث ،بصيرا بطرقه متكلما على علله - ابــن الفرضي ،٢ / ٦٥٠ ،ترجمة - رقم ١١٣٤ .

(١) المقدسي البشاري ،أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،طبع في مدينــة ليدن ١٩٠٩م ،ص ٢٣٦ .

ودلالة على تمسكهم هذا بالمذهب المالكى فقد كتب الخليفة الحكم المستنصر الى احد الفقهاء كتابا جاء فيه : " وكل من زاغ من مذهب مالك فانه ممن رين على قلبه وزين له سوء عمله ،وقد نظرنا طويلا فى أخبار الفقهاء ،وقرأنا ماصنف من اخبارهم الى يومنا هذا ،فلم نر مذهبا أسلم منه .. " (١)

لقد وصلت قناعة الأندلسيين بالمذهب المالكى درجة كبيرة ،جعلتهم لايرون أن هناك مذهبا آخر أسلم منه.

وقد حاول الفقيه أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد (٢) ،ادخال بعض المصنفات الشافعية إلى الأندلس ،ولكن بعض فقهاء المالكية وقفوا ضد محاولاته ، وأنكروا عليه ذلك ،واستعدوا عليه الامير محمد بن عبد الرحمن ،الذي استدعاه ،وتصفح كتابه صفحة صفحة ،الى أن أتى الى آخره ،ثم قال للخازن: " هذا كتاب لاتستغنى خزائننا عنه ،فانظر فى نسخه لنا " ثم قال لبقى ابن مخلد : أنشر علمك ،وأرو ماعندك من الحديث (٣) .

وقرب الامير محمد أحد فقهاء الشافعية الاندلسيين ،وهو قاسم ابن محمد بن قاسم بن سيار،ت ٢٧٧هـ، الذى كان من أعلم علماء الاندلس ،ويذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد (٤) .

ولكن محاولات الشافعية نشر مذهبهم بالاندلس ــ لم تجد ازاء الموجة العارمة من فقهاء المالكية ولم يجد المذهب الشافعي انتشارا يذكر فى الاندلس .

---

(١) القاضى عياض ،ترتيب المدارك ،ج ١ ،ص ٥١ .

(٢) أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد ــ من أهل قرطبة له رحلة الى المشرق لقى فيها جماعة من الأئمة والمحدثين ،له عدد من المصنفات فى التفسير والحديث ــ كان مولده فى شهر رمضان سنة ٢٠١هـ ،وتوفى سنة ٢٧٦هـ.انظر ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ٢٨١،الضبى بغية الملتمس ترجمة رقم ٥٨٤ .

(٣) الضبى ،بغية الملتمس ،ص ١٥ .

(٤) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١٠٤٦، ٢/ ٥٩٧ ــ ٥٩٩ .

لقد حقق المذهب المالكي نجاحا كبيرا في الحياة التشريعية في الاندلس ،وأصبح سمة بارزة من سمات هذا المجتمع .

وقد شكل الفقهاء الأندلسيون الذين ذكرناهم ،والذين لم نذكرهم تيارا قويا في بسط أحكام الفقه المالكي على واقع الحياة والزموا الدولة باقتناع أمرائها ،أن تسير في كل نظمها وفق أحكام هذا المذهب .

ونظرا للمنزلة الرفيعة والمكانة السامية التي بلغها علماء الاندلس ،فقد اصبحت أحكامهم حجة بالمغرب ،وذلك لعظم أمرها ،حتى انهم يقولون في الاحكام : هذا ماجرى عليه عمل أهل قرطبة .(1)

---

(1) المقري ،نفح الطيب ١، / ٥٦٦ .

الفصل الثاني

النظام الاداري للدولة الاموية في الاندلس ١٣٨ – ٣٦٦هـ/٧٥٥ – ٩٧٦م

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : الوزارة والحجابة

المبحث الثاني : الدواوين والخطط

المبحث الثالث : الادارة الاقليمية وتنظيماتها

المبحث الاول

الوزارة والحجابة

أولا الوزارة :-

الوزارة فى اللغة : مشتقة من الوزر والوزر الملجأ ،وأصل الوزر الجبل المنيع ،وكل معقل وزر . والوزر الحمل الثقيل . والوزر الذنب لثقله وجمعها أوزار . وأوزار الحرب وغيرها الاثقال والالات .

والوزير حبأ الملك الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه ،وقد استوزره وحالته الوزارة والوزارة والكسر أعلى ،ووازره على الأمر أعانه وقواه (١)

والوزارة هى أم الخطط السلطانية ،والرتب الملوكية ،لان اسمها يدل على مطلق الاعانة (٢) .

وهى مؤسسة ادارية عباسية ،لان قواعدها لم توضع فى الدولة الاسلامية وتتقرر قوانينها الا فى دولة بنى العباس ،أما قبل ذلك فلم يكن لها وجود مقنن ،بل كان لكل واحد من الملوك حاشية وأتباع ،فاذا حدث أمر استشار ذوى الحجا والآراء الصائبة ،فكل منهم يجرى مجرى وزير فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة (٣) .

ولقد قسم فقهاء الاحكام السلطانية الوزارة على ضربين : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ . فوزارة التفويض أن يستوزر الامام من يفوض اليه تدبير الامور برأيه ،وامضاءها على اجتهاده (٤) .

---

(١) ابن منظور ،لسان العرب ،المجلد الثالث ،ص ٩١٨ ،محمد بن ابى بكر الرازى ،مختار الصحاح ، ص ٤٢٣ ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، اليمامة للطباعة والنشر ــ دمشق ــ بيروت ،الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

(٢) ابن خلدون ،المقدمة ،ص ٦٠٣ .

(٣) ابن طباطبا ،محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية ،دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ص ١٥٣ .

(٤) الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ٢٢ .

ويجوز لوزير التفويض أن يحكم بنفسه ،وأن يقلد الحكام ،كما يجوز ذلك للامام لأن شروط الحكم فيه معتبره • ويجوز له أن ينظر في المظالم ويستنيب فيها ،وأن يتولى الجهاد بنفسه ،أو يقلد من يتولاه ،وان يباشر تنفيذ الامور التى دبرها وأن يستنيب فى تنفيذها •(1)

وأما وزارة التنفيذ فهى أقل من وزارة التفويض لان النظر فيها مقصور على رأي الامام وتدبيره ،وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعية والولاة يؤدي عنه ما أمر ،وينفذ عنه ماذكر ،ويمض ماحكم ،ويخبر بتقليد الولاة ،وتجهيز الجيوش ،ويعرض عليه ماورد من مهم ،وتجدد من حدث ملم •(٢)

ويراعى في وزير التنفيذ : الامانه ،وصدق اللهجة ،وقلة الطمع حتى لايرتشى فيمايلى ولاينخدع فيتساهل ،وأن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء ،وأن يكون ذكورا لما يؤديه الى الخليفة وعنه ،لانه شاهد له وعليه ،وأن يكون ذكيا فطنا ،وأن لايكون من اهل الاهواء فيخرجه الهوى من الحق الى الباطل •(٣)

الوزارة في الدولة الأموية بالأندلس :

بعد أن استقرت الأمور للأمير عبد الرحمن بن معاوية ،وأصبح أميرا على الأندلس ،نقل الى ادارته معظم النظم الادارية الأموية التى كانت سائدة بالمشرق • أما الوزارة فلم تكن بالطبع ضمن النظم الأموية فى المشرق ،ولذلك لم تعرف الدولة في عهده هذا النظام •

ولذلك فان الداخل ،لم يكن له من يطلق عليه سمة وزير ،لكنه عين أشياخا للمشاورة والمؤازرة •(٤) فكانت قاعدة الوزارة في الأندلس فى عهد

---

(١) الماوردى ، الاحكام السلطانية ،ص ٢٤ — ٢٥ •

(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٥ — ٢٦ •

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٦ •

(٤) المقرى ،نفح الطيب ٣، / ٤٥ •

بني أمية ،مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة ،للاعانة والمشـاورة، ويخصهم بالمجالسة ،ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير، فيسميه الحاجب[١] .

تلك كانت قاعدة الوزارة وتشكيلها فى الاندلس بصفة عامة ،فهى عبارة عن هيئة استشارية يشكلها الامير من بين الشخصيات المعروفة ،يؤلفـون مجلسا يستفيد الامير من آرائهم وتوجيهاتهم ،ويختار الامير من بين هـذه الشخصيات ،شخصا يقوم مقام رئيس الوزراء يسمى بالحاجب .

وعلى الرغم من أن مفهوم الوزارة لم يترسخ فى عهد الامير عبدالرحمن الداخل ،الا اننا نجد أن بعض المصادر تطلق على بعض عماله اسم وزيـر ، ولكنه وزير للمشاورة والمؤازرة ،فيذكر ابن الابار : أن الامير عبدالرحمن ابن معاوية استوزر أبا عبده حسان بن مالك[٢] ، واستقوده ،واستعمله علـى اشبيلية ،كما تعرف ابنه عبد الغافر[٣] أيضا فى الوزارة للامير عبد الرحمن، وعهد اليه بخاتمه ، الى أن مات[٤] .

وخاطب الداخل ابن عمه عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ،الـذى أبلى بلاء حسنا فى المعركة التى جرت بين جيش الداخل من جهة ،وبيـن اليمانية وأهل اشبيليه من جهة اخرى ،فقال له : " يا ابن عم قد انكحـت ابني وولي عهدى هشاما ابنتك فلانه ،وأعطيتها كذا وكذا ،وأعطيتك كـذا ، ولاولادك كذا ،وأقطعتك واياهم كذا ،ووليتكم الوزارة[٥] " .

---

(١) المقرى ،نفح الطيب ٣، ٤٥/،د. عبد العزيز عتيق ،الادب العربى فى الاندلس ص ١٢٨ .

(٢) هو أبو عبده حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر . كان جده عبد اللـه مملوكا لمروان بن الحكم أبلى يوم وقيعة مرج راهط بلاء حسنا فأعتقه ،وكان دخول حسان بن مالك الى الاندلس سنة ١١٣هـ قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بخمس وعشرين سنه ،وكان أول من افضى اليه بدر مولى الداخل عند دخوله الاندلس ،برغبة عبد الرحمن بن معاوية العبور الى الاندلس . ابن الابار، الحلة السيراء ١، / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣) عبد الغافر بن حسان بن مالك . ولد بالمشرق،ونشأ مع عبدالرحمن بن معاوية وتأدب معه بالمشرق وهو أصغر أبناء حسان بن مالك ،وقد بعثه مع بـدر الى عبدالرحمن بن معاوية قبل دخوله الاندلس . ابن الابار،الحلة السيـراء ٢٤٦/١ .

(٤) ابن الابار ،الحلة ،ج ١ ،ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٥) المقرى ،نفح الطيب ٣، / ٥٩ .

فالوزارة اذن كمسمى كانت موجودة فى عصر الداخل ،ولكنها كمؤسسة لها أسسها واعتبارها لم تكن معروفة •

وفي عصر الامير هشام بن عبد الرحمن ،نجد أنه ولى عبد الله بن محمد بن أمية (١) ، الوزارة والكتابة ،ثم عزله (٢) •

والراجح أن الاندلس لم تعرف الوزارة بمعناها الحقيقى الا فى عصر الامير عبد الرحمن الاوسط ٢٠٦ – ٢٣٨هـ / ٨٢١ – ٨٥٢م ،فقد ذكر ابن القوطية أن عبد الرحمن الاوسط هو أول من رتب اختلاف الوزراء الى القصر والتحدث معهم في الرأى ،وكان له وزراء لم يكن لاحد قبله ولابعده مثلهم (٣) •

ويقول ابن حيان :" وكان قد اجتمع للأمير عبد الرحمن من سراة الوزراء أولى الحلوم والنهى ،والمعرفة والذكاء عصابة ،لم يجتمع مثلها عند أحد من الخلفاء قبلهم ولابعدهم " (٤) • وأفرد لهم الامير عبد الرحمن بيتا رفيعا داخل قصره خاصا بهم ،حيث كانوا يقصدونه ،ويجلسون فيه ،فوق أرائك قد نضدت لهم ،فكان يستدعيهم الى مجلسه اذا شاء فرادى أو جماعات ويخوض معهم فى الحديث فى أمور الدولة المختلفة ،ويناقشهم فيها ،ويقلب معهم الرأى فيما يجريه من أحكام ،وكانوا اذا جلسوا فى بيت الوزارة اخرج رقاعه ورسائله اليهم بأمره ونهيه (٥) •

من الواضح أن هناك تطورا كبيرا طرأ على الهيئة الاستشارية ،فى عصر عبد الرحمن الاوسط ،اذ لم تعد هيئة استشارية فقط ،وانما أصبحت هيئة وزارية منظمة ،لها بيت خاص بها داخل قصر الامير أشبه بمجلس الوزراء فى وقتنا الحاضر •

---

(١) عبد الله بن محمد بن أمية بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي حوثرة ،مولى معاوية بن مروان بن الحكم ،دخل جده أمية الى الاندلس فى طالعة بلج بن بشر ،وكتب لعبد الرحمن بن معاوية • توفى سنة ٢٤٦هـ • ابن الأبار ،الحلة السيراء ،٢/٣٧٣ ، ابن حيان ،المقتبس ،ص ٣١ •

(٢) ابن الأبار ،الحلة السيراء ،٢ / ٣٧٣ •

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس ،ص ٧٧ – ٧٨ ،ابن سعيد ،المغرب ،١ /٤٦ •

(٤) المقتبس ،تحقيق د• محمود على مكى ،ط بيروت ،ص ٢٩ •

(٥) المصدر نفسه ،ص ١٦٨ •

وكانت الوزارة تتألف من عدد كبير من الوزراء ،فقد بلغ عدد وزراء الامير عبد الرحمن الاوسط ستة عشر وزيرا فى بعض الأحيان ،وبلغ راتب الوزير منهم ثلاثمائة دينار فى الشهر (١) .

وهذا يوضح لنا التطور الكبير الذى أدخله الأمير عبد الرحمن على الوزارة ،حتى أصبح مجلس وزرائه ،يضم هذا العدد الكبير من الوزراء،كما أن راتب الوزير كان ضخما ،ممايفسر لنا أهمية هذا المنصب ،وأن الوزارة أصبحت مؤسسة لها كينونتها وذاتيتها .

وعلى الرغم من التطور الكبير للوزارة ،من إنشاء بيت للوزراء وراتب ضخم ،الا أنه يمكن القول أن الوزارة فى أكثر الأحيان كانت تشريفا أكثر من كونها وزارة تنفيذ أو تفويض ،وهذا لاينفى وجود وزارتى التنفيذ أو التفويض فى الدولة الأموية بالأندلس . وكان الى جانب هذا التشريف يمنح بعض الوزراء صلاحيات محدودة .

وفى عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣هـ/٨٥٢ - ٨٨٦م كان أول من ولاه الوزارة ،هو محمد بن موسى (٢) ،أول مصطنع له على عهد والده ، اذ رعى له قديم صحبته ،فولاه الوزارة فى أول يوم تولى فيه الامارة، ضربه من غير تدرج اليها ،فصار من الغريب أن علق به اسمها ،على بعد ما كان بينه وبينها ،مرتبة ووراثة . وقد اشتهرت ورثته بعد ذلك ببنى الوزير بقرطبة من بين،وتكررت فيهم هذه الخطة (٣) .

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د. محمود على مكى ،ص ١٦٨ ، ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب ،٢/٨٠ ،يجعل ابن عذارى عدد وزراء الأمير عبد الرحمن ،تسعة وزراء .

(٢) محمد بن موسى الاشبيلى ،كان من بيت من العرب يدعون ببنى موسى - نسبهم فى غافق ،ويدعى بنو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الذى كان عاملا على الاندلس . وزعموا أنهم من موالى بنى غافق . كان أول اتصال له بالامارة فى عصر الامير عبد الرحمن الاوسط ،وكان وكيلا للامير محمد فى عهد والده . ابن حيان ،المقتبس ،ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) ابن حيان ،المقتبس ،ص ١٣٩ .

لقد كانت الوزارة مرتبة سامية ،وكان لابد لمن يتولاها أن يتدرج فى سلم الوظائف والأعمال المختلفة ،حتى يكتسب خبرة كبيرة تؤهله لتولى هذا المنصب ،ولكن هذا الوزير خرق القاعدة المعمول بها فى هذا الشان،ليتولى الوزارة ضربة واحدة ،دون أن يتدرج فى الوظائف والأعمال الاخرى ٠

وبرز فى عصر الامير محمد أربعة وزراء امتازوا بالعقل ،وجودة الرأى وحسن السيرة ،وسداد المذاهب وهم عبد الله بن أمية الكاتب (١) ،ووليد ابن عبد الرحمن بن غانم (٢) ،وأمية بن عيسى بن شهيد (٣) ، ومحمد بن موسى الاشبيلى (٤)، وهو أجودهم رأيا (٥) ٠

ومن الذين تولوا خطة الوزارة للامير محمد بن عبد الرحمن ،تمام بن عامر (٦) ، وقد انتظمت وزارته من بعده لابنيه الاميرين المنذر وعبد الله (٧) ٠

ومن وزراء الامير محمد بن عبد الرحمن ،هاشم بن عبد العزيز (٨) ،وكان هاشم أرفع طبقة الوزراء قدرا ،وأرجحها وزنا ،وأجمعها لخلال الخير ، وأحواها لخصال النبل ،وأعلاها فى قداح الفضل ،اذ كان من أهل النباهة والوجاهة وشرف النفس وبعد الهمة ،وصحة العقد وكرم الصنيعة (٩) ٠

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٢٧٠

(٢) وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ولى للامير محمد بن عبد الرحمن خطتى الوزارة والمدينة وقاد جيش الصائفة لابنه عبدالرحمن بن محمد ،كان كاتبا أديبا مرسلا بليغا ٠ توفى فى شعبان سنة ٢٧٢هـ ٠ ابن الابار ،الحلة السيراء ، ٢ / ٢٧٤ ٠

(٣) لم أعثر له على ترجمة ٠

(٤) سبقت ترجمته ص ١٢٨٠

(٥) ابن حيان ، المقتبس ،ص ١٤١ ٠

(٦) هو تمام بن عامر بن أحمدبن غالب بن تمام بن علقمة ،مولى عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى ،وأم الحكم بنت أبى سفيان بن حرب أخت معاوية بن أبى سفيان ،عرف بها ابنها لشرفها٠ ولد ولد تمام بن عامر سنة ١٩٤هـ، وتوفى سنة ٢٨٣هـ ٠ ابن الأبار ،الحلة السيراء ١٤٣/١ – ١٤٤ ٠

(٧) المصدر نفسه ،ص ١٤٣ ٠

(٨) سبقت ترجمته ،ص ٩٣٠

(٩) ابن حيان ، المقتبس ،ص ١٥٩ ٠

وكانت أول ولاية أحظته بالامير محمد فبان فيها استقلاله ،خطة الخيل التى قلده اياها فبلى منه خلالا من العدل والنصح ،ثم رقاه الى خطة الوزارة ،وولاه كورة جيان فعلى يده بنيت أبذة وأكثر معاقلها المنيعة" (١) •

لقد عدد لنا ابن حيان ، المزايا التى كان يتمتع بها الوزير هاشم ابن عبد العزيز ،ومعنى ذلك ، أن اختيار الوزير ،كان يخضع لمعايير معينة وكان لابد من توفر الكفاءة الادارية اللازمة لهذا المنصب ،والتدريب المسبق فى الوظائف الاخرى ضرورة للترقى فى سلم الوزارة ،وكان للامير أن يضيف الى من ولاه خطة الوزارة خططا أخرى •

وعلى الرغم من هذه الصفات والمزايا الحسنه التى امتاز بها الوزير هاشم بن عبد العزيز ،والتى ذكرها ابن حيان ، الا اننا نجد ابن سعيد يصفه بصفات مناقضه لهذه الصفات ،ويرى بأنه كان تياها معجبا حقودا لجوجا فأفسد الدولة بتصرفاته ،وهو أول وزير تفويض فى عصر الامير محمد وقد استحوذ عليه استحواذا عظيما (٢) •

ويبدو أن الوزير هاشم بن عبد العزيز قد اصيب بشئ من الغرور بحكم منصبه ،مما أفقده بعض المزايا الحسنة التي كان يتمتع بها •

فقد كان الامير محمد يقدمه على العساكر ،فخرج مرة الى غرب الاندلس لقمع بعض الثورات هناك ،فأساء التصرف مع الجنود فى الحركة والنزول فأسلموه الى الأعداء وأخذ أسيرا وافتداه الامير محمد بمال عظيم ،كما أنه خرج مرة مع المنذر بن محمد الى ثغر سرقسطة فأساء الادب معه حتى أحقده ، وأتلف محبته لما صارت اليه الأمارة ،وثار الثوار فى الاندلس بسببه ، وتولى الامير محمد وقد خرقت هيبة الامارة من قبل الثوار ،وزال ستر الحرمة ،واستقبل المنذر ثم عبدالله نيران الفتنه الى أن خمدت فى عصر الناصر (٣)

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٦٠ •

(٢) ابن سعيد ،المغرب فى حلى المغرب ،١ / ٥٣ •

(٣) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ،١ / ٥٢ – ٥٣ •

لقد حمل ابن سعيد على الوزير هاشم بن عبد العزيز حملة شديدة ولكن ليس كل ماذكره ابن سعيد فى شأن الوزير هاشم مسلما بـه تماما ، ولايمكن أن يكون الثوار فى الاندلس جميعهم قد ثاروا بسبب هاشم ،كمايقرر ابن سعيد . فهؤلاء الثوار ،معظمهم كان من ذوى الاهواء الخاصة ،والحالة الوحيدة التي كان للوزير هاشم دور فيها هى حالة ابن مروان الجليقى (*) .

ومن الترتيبات التى ادخلها الامير محمد بن عبد الرحمن على الوزارة أنه عمد الى تقسيم مراتب أهل الخدمة ،وفصل خططهم النبيهه ،وقدم على الجميع متقلدى خطة الوزارة ،وأشعرهم التعظيم والتجلة ،ورجح أهل الشام من الوزراء على اصحابهم الاندلسيين فقدمهم فى الاذن عليه ،وأعلاهم فى الجلوس على أرائكهم ببيت الوزارة (١) . كما كان يشرف بنفسه على اعمال الوزراء والكتاب ،ويدقق فى اعمالهم وتصرفاتهم وحساباتهم (٢) .

اما فى عصر الامير عبد الله ٢٧٥ — ٣٠٠هـ ،فقد استوزر عددا من الوزراء ،بلغ عددهم في بعض الاوقات فى بيت الوزارة ثلاثة عشر وزيرا (٣) ، كما اجتمع فى بيت الوزارة فى وقت واحد ،أربعة وزراء من الموالى اقارب من بيت الزجالى ،وكان يضاف الى بعض الوزراء أعباء اخرى ،مثل القيادة ، أو ولاية المدينة ،أو غير ذلك ،وبعضهم كان يمنح اسم الوزارة فقط ، دون أن تكون هناك اعباء أخرى مضافة اليه (٤) .

(*) انظر ص ٤٥ من هذا البحث .

(١) ابن حيان ،المقتبس ،ص ١٣٧ ،ابن فضل الله العمرى ،مسالك الابصار مخطوط ،السفر ٢٤ ،ص ٣١٨ .

(٢) محمد عبد الله عنان ،دولة الاسلام فى الاندلس ،١ / ٢٩٠ .

(٣) العباس بن عبد العزيز المراونى ،سعيد بن محمد بن السلم ،عبد الملك بن عبد الله بن أمية ،حفص بن محمد بن بسيل ،محمد بن وليد بن غانم ،أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن ابى عبده ،وأبو العباس احمد بن محمد بن عيسى بن أبى عبده ،وعبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبده المعروف بدحيم ،أصبغ بن فطيس ،عبد الله بن محمد الزجالى ،سليمان بن وانسوس . أحمد بن هاشم بن عبد العزيز ،أمية بن علقمة .
ابن حيان ،المقتبس ،منشور ،ص ٥ — ٦ .

(٤) ابن حيان ،المقتبس ،نشر ملشور ،ص ٥ — ٦ .

فالوزير ابو عثمان عبيد الله بن محمد بن ابى عبده ،تصرف للامير عبد الله فى الكور ،وحجابة الاولاد ،والمدينة والخيل ،والقيادة ،ثم الكتابة الخاصة والوزارة ،وكان الى جانب أدبه وبلاغته أشتهر بالبأس والغناء فى الحروب (١) .

لقد تصرف هذا الوزير فى عدة اعمال للامير عبد الله ،ويبدو أنه اكتسب خبرات عالية ،وحقق نجاحا كبيرا جعل الامير عبد الله يرتقى به الى علم الوزارة .

اما الوزير سعيد بن محمد بن السليم فقد ولاه الامير عبد الله السوق ثلاثين يوما ،ثم قدمه الى الوزارة والحجابة فملك أمره خمس عشرة سنة (٢) .

ومن وزراء الامير عبد الله ،سليمان بن وانسوس البربرى ، المذكور بالادب والعقل وعزة النفس ،فقد حدث أن اساء اليه الامير عبد الله مرة فى مجلس الوزراء فغضب وخرج من المجلس دون أن يستأذن أو يعلم ،مما أغضب الامير عبد الله فأمر بعزله ،ورفع دسته الذى كان يجلس عليه ،وبقى كذلك مدة ثم أن الامير عبد الله تأثر لفقده ،وأراد استرجاعه ،وذلك لامانته ونصيحته وفضل رأيه ،فقال للوزراء لقد وجدت لفقد سليمان تأثيرا وان أردت استرجاعه ابتداء منا ،كان ذلك غضاضة علينا ،ولوددت أن يبتدئنا بالرغبة ،فأذن للوزير محمد بن الوليد بن غانم أن يكلمه فى هذا الامر فلما وقف بباب داره واستأذن عليه ،أبطأ عليه فى الاذن . وكانت رتبة الوزارة فى الاندلس ايام بنى أمية تقتضى الا يقوم الوزير الا لوزير مثله فيلقاه ،وينزل معه الى مرتبته ،ولايحجبه عنه لحظة ،فلما أذن له بالدخول وجده قاعدا ولم يقم اليه ،ولم يتزحزح من مكانه ،فعاتبه ابن غانم على هذه المعاملة ،ولما لم يجد منه اجابة مرضية يئس منه وخرج غاضبا الى

---

(١) ابن الابار ،الحلة السيراء ، ١ / ١٤٦ .

(٢) ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الاندلس ،ص ١١٥ .

الأمير فأخبره بخبره ،فما كان من الامير عبد الله الا أن ابتدأه بالمراسلة الشخصية حتى رده الى افضل مماكان عليه[(١)] .

ونستخلص مما سبق وجود بعض الوزراء الاقوياء الذين كان لهم تأثيرهم على الامراء ،وكانوا لايخشون قول الحق في وجه امرائهم ،ولما أحس الامير عبد الله بالحاجة الى خدمات هذا الوزير ،سعى لارضائه بنفسه ورده الى الوزارة ،لما كان يتمتع به من الامانة والنصيحة وجودة الرأي ،كمانستخلص بعض الرسوم الوزارية الاندلسية ،مثل عدم قيام الوزير الا لوزير مثله ، وعدم حجبه ،وكان لكل وزير فرش خاص به يجلس فيه ،وقد ظل مكان الوزير ابن وانسوس خاليا لفترة حتى رد اليه مرة أخرى .

وكان من بين التنظيمات الوزارية في عصر الامير عبد الله ،أن الوزراء كانوا يطلعون الخليفة بآرائهم كتابة في بطاقة . فقد حدث أن طالعه وزيره النضر بن سلمه[(٢)] برأيه في أمر في ورقة ،فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأي ،ورد عليه[(٣)] بأبيات شعرية تعبر عن عدم رضاه لرأي الوزير .

الوزارة في عصر الناصر وابنه الحكم المستنصر :

خلف عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ – ٣٥٠هـ / ٩١٢ – ٩٦١م جده الامير عبدالله في الحكم . وحينما تمت له البيعة كان أول من وزر له بدر مولاه اضافة الى ماكان يتولاه من خطة البريد ،وأضاف اليه بعض الخطط الاخرى . كما ولى موسى بن محمد[(٤)] الوزارة الى ماكان اليه من خطة المدينة[(٥)] .

---

(١) الحميدى ،جذوة المقتبس ،ص ٢٢٦ – ٢٢٧ ،ابن الابار ،الحلة السيراء ، ١ / ١٢٣ – ١٢٤ .

(٢) النضر بن سلمة بن وليد بن ابي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد الكلابي، من أهل قرطبة ،يكنى: أبامحمد ،استقضاه الامير محمد مرتين – توفى سنة ٣٠٢هـ . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة ١٤٩٧ ،٨٦٧/٢ .

(٣) المقري ،نفح ،٣٥٣/١ .

(٤) هو موسى بن محمد بن حدير الحاجب ،رئيس كان في ايام عبد الرحمن الناصر من أهل الادب والشعر ،ومن اهل بيت رياسة وجلالة ،الحميدي ،جذوة المقتبس ترجمة رقم ٧٨٧، ص ٣٣٧،الضبي ،بغية الملتمس ،ترجمة رقم ١٣٢٠ ،ص ٤٥٥ .

(٥) ابن عذاري ،البيان المغرب ،١٥٩/٢ ،ابن الابار ،الحلة السيراء ،٢٥٢/١ – ٢٥٣

وكان بدر ينفرد بالولايات فتكتب السجلات فى دارة ،ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج اليه ،فيبعث بها الى العمال لتنفذ على يديه[١] .

ونلاحظ أن عبد الرحمن الناصر سار على نهج بعض أسلافه فى تولية شخص واحد عدة أعباء ،كما هو الحال فى مولاه بدر الذى قام بهذه الأعباء خير قيام لكفاءته وحسن بلائه .

ولى سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م ،ولى الناصر لدين الله عبد الملك بن جهور[٢] الوزارة فى شوال من هذا العام ،وضم اليه الكتابة العليا ،كما صرف الوزير موسى بن محمد بن حدير عن ولاية المدينة[٣] .

ولى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ،ولى الناصر لدين الله خطة الوزارة اسحاق ابن محمد بن اسحاق بن الوليد[٤] الذى كان موصوفا بالرأى والغناء ،وعزل عبد الملك بن جهور من الوزارة والكتابة معا ،فبقى معزولا سنتين وشهرا ، كما عزل عن الوزارة أيضا محمد بن عبد الله ،وعبد الله بن مضر ،وعيسى ابن احمد بن ابى عبدة[٥] .

ولى سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م أعاد الناصر لدين الله عبد الملك بن جهور الى الوزارة فى شوال ،وصرفه عن الكتابة العليا[٦] .

---

(١) ابن الأبار ،الحلة السيراء ،ج ١ ،ص ٢٥٣ .

(٢) عبد الملك بن جهور أبو مروان ،وزير جليل ،أديب شاعر كاتب فى ايام عبد الرحمن الناصر – الحميدى ،جذوة المقتبس ،ترجمة ٦٢٦،ص ٢٨٢ ،الضبى ، بغية الملتمس ،ترجمة رقم ١٠٦١ ،ص ٣٧٦ .

(٣) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ب . شالميتا ،ص ١٠٣ .

(٤) هو أسحاق بن محمدبن اسحاق بن ابراهيم بن الوليدبن ابراهيم بن عبد الملك بن مروان ،دخل جده أول الدولة الاموية . وظل بنوه فى عز وأكرام واستقرت الرياسة فى اسحاق الذى سكن اشبيلية أيام الفتنه عند ابن حجاج . ولما استولى الناصر على اشبيلية رحل اسحاق الى قرطبة فاستوزره الناصر واستوزر بنيه الذين ورثوا مكان ابيهم بعد وفاته . ابن خلدون العبر ،٤ / ١٨٧ .

(٥) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ب . شالميتا ،ص ١١٠ – ١١١ .

(٦) المصدر نفسه ،ص ١٤٢ .

لقد أجرى الأمير عبد الرحمن خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه ،حركة تنقلات واسعة فى الوزارة ،فكانت هناك حركة عزل وتعيين وتغيير فى المواقع على مدار هذه السنوات ،فالمصادر تحدثنا بأنه ولى فلانا الوزارة مع خطة من الخطط أو عزل فلانا من الوزارة ،ولكن ليست هناك أيه ايضاحات بخصوص هذه التعديلات الوزارية المستمرة وأسبابها ،ولكن أرجح أنه نظرا للأوضاع التى كانت مضطربة فى كثير من أصقاع الاندلس ،فى بداية عهد الناصر ،نراه يلجأ الى هذه التعديلات المستمرة ربما خوفا من استبداد أحد من الوزراء ،بما عهد اليه من عمل ،كما تجدر الاشارة الى أنه ليست هناك أي تفصيلات عن عمل الوزراء .

وفى صفر من عام ٣١٧هـ ،عزل الناصر فطيس بن أصبغ عن خطة الوزارة وأعاد عيسى بن احمد بن أبى عبده الى الوزارة ،وقدم عبد الملك بن عمر ابن شهيد (١) الى خطة الوزارة فى ربيع الاخر من هذه السنة ،فبلغ عدد الوزراء فى هذه السنة سبعة وزراء (٢) .

ظهور لقب ذى الوزارتين فى عهد الناصر :

أول من حمل هذا اللقب فى الأندلس هو الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٣) الذى تصرف للناصر فى ولاية الكور والوزارة وقاد الصوائف ،وكان من اهل الادب البارع (٤) .

---

(١) هو عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد أديب شاعر ،من بيت أدب ووزارة وجلالة . الحميدى ،جذوة المقتبس ،ترجمة رقم ٦٣٤ ص ٢٨٦ ، الضبى ،بغية الملتمس ،ترجمة رقم ١٠٧٢ ،ص ٣٨١ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،ص ٢٥٢ .

(٣) أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ذو الوزارتين من أهل الادب البارع له قوة فى البديهة ،كان فى ايام عبد الرحمن الناصر . الضبى ،بغية الملتمس ،ترجمة رقم ٤٣٧ ،ص ١٩٠ .

(٤) ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج ١ ،ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

وكان أحمد بن عبد الملك بن شهيد قد اهدى للناصر هدية فخمة (١) في سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م اجمع المؤرخون على انه لم يهاد أحد من ملوك الاندلس بمثلها ،فأعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا ،وأردف مع هديته رسالة حسنة للناصر لدين الله ،معترفا فيها بالنعمة والشكر عليها ،وقد استحسن الناس هذه الرسالة وكتبوها ،وتبعا لذلك زاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا ،وأسمى منزلته من سائر الوزراء ،وضاعف له رزق الوزارة فبلغ ثمانين الف دينار أندلسية ،كما ثنى له العظمة لتثنيته له الرزق ،فسماه ذا الوزارتين لذلك ،وكان اول من سمى بذلك في الاندلس ،وأمر بتعدير فراشه في بيت الوزارة ،وتقديم اسمه في زمام الارتزاق في أول التسمية فعظم مقداره في الدولة (٢) .

وسمى ابن شهيد بذي الوزارتين امتثالا لاسم صاعد بن مخلد (٣) وزير بني العباس ببغداد (٤) .

---

(١) أورد ابن خلدون تفاصيل هذه الهديه كالتالي : خمسمائة الف مثقال من الذهب العين ،أربعمائة رطل من التبر ومصارفه ٤٥ الف دينار ،مائتا بدرة من سبائك الفضة ،أثنا عشر رطلا من العود الهندي ،مائه وثمانون رطلا من العود العمقي المتخير ،مائة رطل من الشبه المنقى . مائة اوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه ،خمسمائة أوقية من العنبر الاشهب المفضل في جنسه ،ثلاثمائة أوقية من الكافور المترفع الذكاء .
اضافة الى الانواع المختلفه من الالبسه الحريرية والصوفية وغيرها من الفرش والمصليات الفاخره وأنواعا مختلفة من الاسلحة والخيول والرقيق والجواري . وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه . قيمته خمسون ألف دينار . تاريخ ابن خلدون ٤، / ١٧٢ - ١٧٨ .
وتدل هذه الأرقام التي أوردها ابن خلدون على مدى الغنى الذي بلغته الدولة في عصر الناصر وبلغه الوزير ابن شهيد .

(٢) المقري ،أزهار الرياض ،جـ ٢ ،ص ٢٦١ - ٢٦٢ ،نفح الطيب ١، / ٣٥٦ .

(٣) صاعد بن مخلد : من أهل بغداد كان نصرانيا فأسلم على يد الموفق العباسي ،واستكتبه الموفق سنة ٢٦٥هـ ،ووجهه في المهمات ،ولقب بذي الوزارتين . كان من رجالات الناس حزما وضبطا وكفاية وكرما ونبلا ،كثير الصدقات والصلوات ليلا ونهارا . وقع بينه وبين الموفق وحشة فسجنه في سنة ٢٧٢ هـ وقبض أمواله وظل في السجن الى ان توفي سنة ٢٧٥هـ ،الزركلي الاعلام ٣/ ١٨٧

(٤) المقري ،نفس المصدرين السابقين ٢، / ٢٦٢ ١، / ٣٥٦ .

كان ابن شهيد يتمتع بكفاءة ادارية مالية جعلت الخليفة يصدر امرا بتسميته بذي الوزارتين (١) . ومعنى ذلك أنه وزير السيف والقلم . ولقد وصفه ابن خاقان بقوله : " مفخر الامامة ،وزهر تلك الكمامة ،حاجب الناصر عبد الرحمن ،وحامل الوزارتين على سموهما فى ذلك الزمان ، استقل بالوزارة على ثقلها ،وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها ،والتفات مقلها ،فظهر على أولئك الوزراء ،واشتهر مع كثرة النظرة " (٢) .

لقد منح الناصر وزيره ابن شهيد بعض الصلاحيات التى جعلته يتفوق على بقية الوزراء ،ويتضح ذلك من قول ابن حيان السابق أن الناصر زاد وزيره هذا حظوة واختصاصا ،كما يتضح ذلك من قول ابن خاقان : أنه استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها .

هذا التفوق الذى أحرزه ابن شهيد كان مدعاة للحسد والتنافس بينه وبين الوزراء الاخرين .

ومن هؤلاء الوزراء المنافسين لابن شهيد ،عبد الملك بن جهور ، الذى كان مشاركا له في التدبير ،ومتوليا معه الامر ،فكان كل واحد منهما يتربص بالاخر ،ويبحث له عن نقيصة لذمة بها (٣) .

ولما عزل الناصر جميع وزرائه فى سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م بغتة لسبب انكره عليهم وصرفهم به جميعا ،لم يبق من هؤلاء الوزراء الا وزيران ،من بينهما الوزير أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ذو الوزارتين (٤) ،معايدل على المكانة التى بلغها الوزير ابن شهيد لدى الناصر ،والحظوة التى نالها عنده .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٩٩ .
(٢) ابن خاقان ،مطمح الانفس ومسرح التأنس ،ص ١٦٦ ، المقرى ،نفح الطيب ، ١ / ٣٨٠ .
(٣) المقرى ،نفح الطيب ١، / ٣٨١ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ،ج ٥ ،ص ٤٧٠ .

وقام الناصر بتولية وزراء آخرين مكان الوزراء المعزولين ، ولاهم دفعة يوم عزل اولئك دفعة واحدة ، وقام باعادة اربعة من هؤلاء الوزراء المعزولين الى خطة الوزارة بعد أن حسن رايه فيهم ، وولى أيضا عددا من الوزراء الاخرين وبلغ عدد وزراء الناصر في هذه السنة اربعة عشر وزيرا (١) ، وفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م تكامل عدد الوزراء في بيت الوزارة في خلال اربعة وستين يوما حيث بلغ جملتهم ستة عشر وزيرا ، ولم يعهد مثل ذلك لبني امية (٢) .

ولما توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م خلفه ابنه الحكم المستنصر ، وجرى على رسمه ولم يفقد من ترتيبه الا شخصه (٣) . فاستوزر جعفر بن عثمان المصحفي (٤) الذي كان مؤدبا للحكم وواليا على جزيرة ميورقة في ايام الناصر ، وكاتبا خاصا للحكم المستنصر ، فامضاه على كتابته الخاصة مع الوزارة (٥) . كما تولى الوزير جعفر بن عثمان الوزارة مع المدينة في سنة ٣٦١هـ/٩٧١م حيث كلفه الخليفة الحكم مع صاحب الشرطة بنقل دار البريد التي كانت تقع غربي قصر قرطبة وفي صدر السوق الى دار الزوامل بطرف السوق (٦) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، ص٤٧٠-٤٧١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨٧ . والوزراء هم : احمد بن عبد الملك بن شهيد المحلى الوزارة ، سعيد بن ابي القاسم عبد الحميد بن بسيل ، خالد بن امية بن شهيد ، عبد الملك بن جهور ، عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف ، جهور بن عبيد الله بن أبي عبده ، عيسى بن فطيس بن اصبغ ، أحمد بن محمد بن مبشر ، محمد بن عبد الله بن حدير ، عبد الله بن بدر بن أحمد ، سعيد بن الجساس ، محمد بن هاشم التجيبي ، عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ، أحمد بن محمد بن الياس .
(٣) المقري ، نفح الطيب ، ٣٨٢/١ .
(٤) هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كسيله ، من برابر بلنسيه ، ينتمي الى قيس بالمحالفة كان من اهل العلم والادب البارع وله شعر كثير رائع يدل على طبعه وسعة ادبه . كانت بينه وبين الوزير محمد بن ابي عامر منافسة شديدة مما ادى بابن أبي عامر أن يدبر مؤامرة لقتله في عهد الخليفة هشام بن الحكم وكان ذلك لي سنة ٣٧٢هـ . انظر الحميدي ، جذوة المقتبس ، ترجمة رقم ٣٥٣ ، ص ١٨٧ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ٦١٤ ، ص ٢٥٧ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٢٥٧/١ ومابعدها ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٥٤ .
(٥) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٢٥٧/١-٢٥٨ ، ابن عذارى البيان ٢٥٤/٢ .
(٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٦٦ .

ومنذ عصر الخليفة الحكم المستنصر نجد أن الوزارة صارت مرادفة لبعض الخطط ،فمن قبل نجد أن المصادر تذكر على سبيل المثال ان فلانا ولى الوزارة والمدينة ،اما فى عصر المستنصر فيقال الوزير صاحب المدينة ،والوزير القائد الاعلى ،والوزير الناظر فى الحشم والوزير الكاتب .(١)

وقد توسعت مهمة هؤلاء الوزراء بدرجة كبيرة ،وعلى وجه الخصوص مهمة الوزير القائد ،أو الوزير القائد الاعلى . فكان الوزير القائد الاعلى مسئولا عن صد الاخطار الخارجية التى تهدد الخلافة ،كما هو الحال فى الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن (٢) ،الذى ذهب فى سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م ، لصد أخطار هجمات المجوس الأردمانيين فى غرب الأندلس ،وعاد منتصرا من هذه الغزوة ليقدم تقريرا الى الخليفة بالأعمال التى قام بها فى هذه الغزوة .(٣)

وكان على الوزير القائد أيضا أن يشرف على الأعمال العسكرية التى تتم فى أرض العدوة ،وكان يقوم بنفسه بقيادة الجيوش لمحاربة المذهب الشيعى فى المغرب ،وقد قام الوزير محمد بن قاسم بن طملس بدور رائع فى هذا المجال .(٤)

وفى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م تم للوزير القائد الاعلى غالب بن عبد الرحمن استنزال بنى ادريس الحسنيين ملوك الغرب من معاقلهم ،والاتيان بهم الى

---

(١) انظر المصدر نفسه ،ص ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ١١٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ .

(٢) هو غالب بن عبد الرحمن الناصرى . احد أمراء البحر ،ومولى الخليفة عبد الرحمن الناصر ،أضحى أيام الحكم المستنصر من أكابر رجالات الدولة ثم صار حاكم الثغر الاعلى ،مقره مدينة سرقسطة قتل فى معركة حربية سنة ٣٧١هـ . المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٢٤ ،هامش رقم (٣) .

(٣) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٦٦ — ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٩٠ — ٩١ ،ابن عذارى ،البيان ،٢ / ٢٤٥ — ٢٤٦ .

الاندلس ،ليقدموا الطاعة للخليفة الحكم ،الذى امر باستقبال الوزير القائد الاعلى استقبالا فخما (١) .

ونتيجة للاعمال العسكرية التى قام بها الوزير القائد الاعلى غالب بن عبد الرحمن فى أرض العدوة ،وفى الثغور الاندلسية ،فقد امر الخليفة الحكم بتقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين ،وذلك تشريفا وتكريما له ،وسماه ذا السيفين ،وصدر فراشه ببيت الوزارة ،ومهد باقرار هذه التسمية عليه مع سماته المتقدمة ،فأصبح يسمى بالوزير القائد الاعلى ذي السيفين (٢) .

كان الوزير القائد الاعلى أشبه بوزير الحربية فى عصرنا الحاضر ، وقد كان لهذا الوزير دور كبير فى الدفاع عن أرض الاندلس فى هذا العصر كما كان له دور كبير أيضا فيما وراء الحدود الاندلسية فى أرض المغرب حيث قام بتنفيذ السياسة العسكرية للدولة هناك .

لقد كانت الوزارة فى أول عصر بنى أمية بالاندلس ،عبارة عن هيئة استشارية مهمتها تقديم النصح والمشورة للامير ،وذلك فى بداية الامر كما اشرنا الى ذلك ،ولكن بعد أن استقرت الدولة ،ظهر نظام وزارى اشبه بنظام الوزارات المعمول به اليوم اذ يقول ابن خلدون : " وأما دولة بنى امية فى الاندلس فأبقوا اسم الوزير فى مدلوله أول الدولة ،ثم قسموا خطته أصنافا ،وأفردوا لكل صنف وزير ،فجعلوا لحسبان المال وزيرا وللترسيل وزيرا ،وللنظر فى حوائج المتظلمين وزيرا وللنظر فى احوال

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ،ص ١٩٤ — ١٩٥ ،ابن عذارى ، البيان ، ٢ / ٢٤٨ .

(٢) ابن حيان ،المقتبس ،ص ٢٢٠ ،وقد امتثل الخليفة المستنصر بالله فى الباس مولاه غالب السيفين وتسميته بهما فعل الامير ابى أحمد الموفق بالله العباسي ولى عهد اخيه المعتمد على الله عندما قلد مولاه اسحاق بن كنداج سيفين وخلع عليه خلعا فاخرة وأسمى درجته — المصدر نفسه ،ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

أهل الثغور وزيرا . وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضده لهم ، وينفذون امر السلطان هناك كل فيما جعل له .. " (١) .

لقد مر نظام الوزارة فى الاندلس بعدة مراحل الى آن وصل الى ماوصل اليه من تطور كبير ،وقد ذكرنا أن الذى جعل للوزراء بيتا يجتمعون فيه هو الامير عبد الرحمن الاوسط ،أما الذى قسم عمل الوزراء فهو عبد الرحمن الناصر . والوزراء في دولة بنى امية بالاندلس كانوا وزراء تنفيذ فى أغلب الاحيان .

واذا ما أجرينا مقارنة بين الوزارة العباسية ،والوزارة الاموية الاندلسية نجد اختلافا كبيرا بين الوزارتين ،فالوزارة العباسية كان يتولى امرها وزير واحد فقط في معظم الاحيان (٢) . أما الوزارة فى الاندلس فهى وزارة متعددة الوزراء كما مر بنا ،ويمكننا القول بأنها اكثر تطورا من نظام الوزارة العباسى في هذا الجانب .

وفى الاندلس نجد أن هناك مايسمى ببيت الوزراء الذى يجتمعون فيه . وفى المشرق أيضا نجد أنه كان للوزير العباسى دار مفردة فى دار الخلافة وهى دار الوزارة ،يجلس فيها الوزير لمزاولة اعماله ،وكان يقف على باب دار الوزير كثير من الحرس (٣) .

اما من ناحية الرسوم الوزارية فان الوزارة العباسية كانت اكثر تطورا من نظيرتها الاموية الاندلسية فى هذا الشأن (٤) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٢) مثل ابى سلمة الخلال أول وزير فى الدولة العباسية . أنظر الجهشيارى ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ) الوزراء والكتاب ،تحقيق مصطفى السقا وآخرون ،مصر ١٣٥٤هـ /١٩٣٨م ،ص ٨٣ ،وخالد بن برمك وزير السفاح ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ١٥٦ .

(٣) د. توفيق سلطان اليوزبكى ،دراسات فى النظم العربية والاسلامية ،مؤسسة الكتب للطباعة والنشر ،جامعة الموصل ،١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ،ص ٩١ .

(٤) انظر المرجع نفسه ،من ص ٩٠ – ٩٣ .

ثانيا : الحجابـــة

تعني الحجابة في الدولة الاموية والعباسية في المشرق ، الشخـــص الذي يحجب السلطان من العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم علـــى قدره في مواقيتـــه[(١)] .

صفــــــات الحاجب :-

أشار هلال بن المحسن الصابئ الى صفات الحاجب فقال : " سبيـــل الحاجب ، أن يكون نصفا مكتهلا ، قد أحكمته الامور وحنكته ، أو شيخـــا متماسكا قد عجمته الدهور وعركته . وله عقل وحزم يدلانه على صواب مـــا يأتي ومايذر ، فهو صبحان له مسالك مايورد ويصدر ...[(٢)] " .

وليس للحاجب ان يقبل على احد ممن يكون السلطان معرضا عنـــه ولا أن يرضى ممن يكون السلطان ساخطا عليه ، ولا أن يوليه من البر والاكـــرام ، ماكان يوليه من قبل[(٣)] " .

وكانت الحجابة من أولى النظم التي نقلها عبد الرحمن الداخل الـــى الاندلس بمفهومها المشرقي[(٤)] ، فكان أول من حجب له تمام بن علقمة مـــولاه ثم يوسف بن بخت الفارسي[(٥)] مولى عبد الملك بن مروان ، ثم عبد الكريم بـــن مهران[(٦)] ، ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث[(٧)] ، ثم منصور فتاه[(٨)] .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٩ .

(٢) الصابئ : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ) رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي – بيروت – لبنان ، الطبعة الثانيـة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٧١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٤٩ .

(٥) هو أبو الحجاج يوسف بن بخت ، دخل الاندلس في طالعة بلج ، وكان احـــد القائمين بأمر عبدالرحمن بن معاوية ، فاستحجبه واستخلفه وقتا على قرطبة كانت وفاته بطليطلة . ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٢ / ٣٧٥ .

(٦) من ولد الحارث بن ابي شمر الغساني ، المقري ، نفح ، ٣ / ٤٥ .

(٧) عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبلة بن الايهم الغسانـــي وابوه مغيث فاتح قرطبة . المقري ، نفح ، ٣ / ٤٥ .

(٨) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، المقري التلمساني ، نفح الطيـب ، ٣/ ٤٥ .

أما الامير هشام بن عبد الرحمن فقد كان له حاجب واحد هو عبدالرحمن ابن مغيث (١) ، وكان للامير الحكم بن هشام حاجب واحد هو عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث (٢) .

وقد ظلت الحجابة بمفهومها المشرقي في العصور الاولى من تأسيس الدولة الأموية في الأندلس ،ولكنه تغير في عصر عبد الرحمن الأوسط مع التغير الذي طرأ على مفهوم الوزارة . وقد أشار ابن خلدون الى ذلك عندما تحدث عن الوزارة في الأندلس ، والتقسيمات التي أدخلت عليها فقال : " ... وأفرد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت ،فارتفع مجلسه عن مجالسهم ،وخصوه باسم الحاجب ،ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم " (٣) .

وبذلك ارتفعت منزلة الحجابة وسمت وتغير مفهومها ،فبعد أن كانت مهمته فقط هي تنظيم دخول الناس على الخليفة ، ارتقى ليصبح رئيسا للوزراء في الاندلس .

وكانت الوزارة تتألف من حاجب أشبه برئيس الوزراء ،ثم عدد من الوزراء فاذا اجتمع في الوزارة شامي وبلدي كان التقدم للشامي (٤) ،وقد أشرت الى ذلك عند الحديث عن الوزارة . وهنا يكمن الترابط الوثيق بين الحجابة والوزارة ، اذ الحاجب هو رئيس الوزراء .

---

(١) ابن عذاري ،البيان المغرب ،٢ / ٦١ .

(٢) المصدر نفسه ،٢ / ٦٨ . وهو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، وجده هو مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني الذي يسمى مغيثا الرومي وهو الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد واضطلع بفتح قرطبة . كانت وفاته في سنة ٢٠٩هـ في طريقه إلى غزو جليقية . انظر ،ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د. محمود علي مكي ،حاشية رقم ٨٢ ؛ ابن الأبار ،الحلة السيراء ،١٣٥/١ ،حاشية رقم ١ ،ابن عذاري ،البيان المغرب ،٢ / ٨٢ .

(٣) ابن خلدون ،المقدمة ،ص ٢٤٠ .

(٤) ابن الأبار ،الحلة السيراء ،١ /١٢٠ ،هامش (٣) .

كان من حجاب الامير عبد الرحمن الاوسط ،عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ،الذى كان حاجبا لوالده الحكم فأقره عليها[1] ،وكان عبد الكريم اكمل من حمل هذا الاسم ،وأجمعهم لكل خصلة حسنة[2] ،فلما توفى عبد الكريم بن مغيث فى صدر عهده تنافس الوزراء كلهم فى خطة الحجابة ،كل يريد أن يكون هو الحاجب ،ولايريد تولية غيره عليه ،مما أغضب الامير عبدالرحمن وأقسم ان لايولى واحدا من الوزراء الحجابة ،وأمر بالاقراع بين الخزان وكان عددهم أربعة فوقع الاختيار على سفيان بن عبد ربه[3] ،فولى الحجابة أعواما حتى توفى[4] .

لقد كان منصب الحجابة من أرفع المناصب فى الدولة ،ولذلك نجد أن الوزراء كلهم كانوا يتنافسون على هذا المنصب ،كل يريد ان يتولاه مما جعل الامير عبد الرحمن يعرض عن تولية أى من الوزراء المتنافسين ويأتى برئيس لهم من خارج المجلس ،وهو سفيان بن عبد ربه .

وكان سفيان بن عبد ربه من كبار رجالات الدولة ،وأهل الخدمة ،من ذوى الكفاءة والعفة والامانة ،وكان قد تولى الخزانة الكبرى ايام الامير الحكم فهو أول من استخزن بالاندلس ،ولم يزل يتنقل فى مراتب الخدمة الى أن نال مرتبة الحجابة[5] .

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٤٢.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. مكى ،ص ١٦٥ ، ابن سعيد ، المغرب ١ /٥٠ .

(٣) هو سفيان بن عبد ربه المصمودى . ينتسب الى مصمودة ، من بيوتات البربر بالاندلس . توفى فى سنة ٢١١هـ ،فى دولة الامير عبد الرحمن ابن الحكم . أنظر ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ،ص ٥٠٠ ، ابن حيان ، المقتبس ،ط بيروت ،ص ٧٨ .

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ،ص ٧٧ — ٧٨ ، ابن حيان ،المقتبس تحقيق ،د. مكى ،ص ١٦٧ ، وذكر ابن القوطية أنه مهران بن عبد ربه ولكن الصحيح هو سفيان بن عبد ربه كما ذكر ابن حيان الذى نقل ذلك عن الرازى . انظر المقتبس ،ص ١٦٥ .

(٥) ابن حيان ، المصدر نفسه ،ط . القاهرة ، ص ١٦٥ .

ومن حجاب الأمير عبد الرحمن الاوسط ،عيسى بن شهيد (1) ، الذى كان مقربا منه قبل أن يتولى الامارة ،فلما صار الامر اليه قدمه فى عليه خاصته ،فولاه خطة الخيل ،ثم استوزره وولاه النظر فى المظالم ،وتنفيذ الاحكام على طبقات أهل المملكة ،ثم ولاه الحجابة بعد وفاة سفيان ابن عبد ربه ،وكان من خيرة الموالى الذين امتازوا بالعلم والحصافه والوقار والمعرفة والحزم والجزالة كما كان قائدا للصوائف . وكان ذلك مدعاة لان يحقد عليه نصر مولى الامير عبد الرحمن الغالب عليه من بين سائر خدمه ،اذ استغل فرصة مرض الأمير عبد الرحمن الذى حجبه فيه ،ليخرج امرا من مولاه باعفاء عيسى بن شهيد من الحجابة مع ابقائه في الوزارة وتولية عبد الرحمن بن رستم مكانه (٢) .

وفطن الأمير عبد الرحمن لذلك بعد آن نهض من مرضه ،وجلس لكى يدخل اليه وزراؤه ،وأهل خدمته للسلام عليه ،فرأى أن عبد الرحمن بن رستم يتقدم الوزراء ،وجلس فوق ابن شهيد ،فأنكر ذلك وتغير وجهه ،ولما جلسوا بين يديه سأل عيسى بن شهيد عن شئ ما باعتباره الحاجب ،ولكن عيسى رد عليه بأنه ليس الحاجب ،فلما انصرف الوزراء استدعى الامير عبد الرحمن نصر ،وسأله عن هذا التغيير الذى جرى آثناء مرضه ،فرد نصر بأن وصية خرجت منه عندما كان عليلا ،بعزل ابن شهيد عن الحجابة ،وتولية ابن رستم مكانه ،فأنكر الامير عبد الرحمن ذلك عليه ،وأغلظ له القول ،ثم عفا عنه ،ورد عيسى الى الحجابة مرة اخرى ،وقد ظل حاجبا الى وفاة الامير عبد الرحمن (٣) .

(١) عيسى بن شهيد بن عيسى . دخل والده الاندلس آيام عبد الرحمن بن معاوية وقال الرازى : ان جده مولى معاوية بن مروان بن الحكم . وكان عيسى منقطعا الى الامير عبد الرحمن بن الحكم ،بعهد والده الحكم ،وقد ظل حاجبا للامير عبد الرحمن الى ان توفى ،ثم ظل حاجبا لابنه الامير محمد لمدة خمسة اعوام ،الى ان توفى عيسى فى سنة ٢٤٣هـ . ابن الابار ،الحلة السيراء ، ١ /٢٣٧ - ٢٣٨ ،ابن حيان ،المقتبس ،ط بيروت ،ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،ط بيروت ،ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ،ص ٢٧ .

لقد استطاع نصر مولى الامير عبد الرحمن المتنفذ فى شئون الدولة ، أن يحيك مؤامرة فى الظلام لعزل الحاجب ابن شهيد ،وهذا التصرف من قبل نصر ،يدلنا على مدى الحقد الذى كان يكنه للحاجب ابن شهيد ،الذى بلغ درجة رفيعة فى الدولة ،بكفاءته وأمانته ونزاهته • وقد تولى منصبا رفيعا قبل الحجابة ،وهو النظر فى المظالم وتنفيذ الاحكام على طبقات أهل المملكة ،وفى رأيى أن منصبا كهذا لايمكن أن يعطى الا لشخص امتاز بما امتاز به ابن شهيد • وكان نصر يريد شخصا يتصرف وفق ارادته ولكن سرعان ما أحبط الامير عبد الرحمن هذه المؤامرة ،بعد أن نهض من مرضه •

قال ابن القوطية عن ابن شهيد :" ولم يختلف مختلف من شيوخ الاندلس ،أنه لم يخدم بنى أمية بالأندلس أكرم منه عناية ،وأكثر مطاما ، وكان عبد الكريم بن مغيث الكاتب فى هذه الصفة ،الا أنه كان يقبل الهدية والمكافأة على قضاء الحاجة ،وكان عيسى بن شهيد لايقبل شيئا من ذلك "(١) •

ويضيف ابن حيان الى ذلك قوله : وكان يهجر من يعرض اليه الهدية أو المكافأة ،ولايرضى فيمن يتقلده من صنائعه ويشمله بنعمته الا بغاية التشريف(٢) •

ولما ولى الأمير محمد بن عبد الرحمن الامارة أقر كل عمال والده على ما تركهم عليه من خططهم ومراتب خدمتهم(٣) ، فكان عيسى بن شهيد ضمن

---

(١) تاريخ افتتاح الاندلس ،ص ٨٨ – ٨٩ •

(٢) ابن حيان ،المقتبس ،ط بيروت ،ص ٣٠ ،ويورد ابن حيان قصة عبد الواحد ابن يزيد الاسكندرانى الذى قدم الى الاندلس وهو يشدو شيئا من الغناء وتعلق بحبل ابن شهيد الذى امره بالامساك عن الغناء والتحقق بأدبه والتنبه لخطه ففعل يزيد ذلك ،ولزم ابن شهيد الذى قدمه الى الامير عبد الرحمن فأنس به ،وصار من خاصة رجاله ،فاستخدمه فى اعماله ، وتقلب فى منازل الخدمة ،حتى خوله المدينة ،ثم رقاه الى الوزارة والقيادة ،ص ٣٠ •

(٣) ابن حيان ،المصدر نفسه ،ص ١٣٥ •

العمال الذين اقرهم الأمير محمد فحجبه لمدة خمسة اعوام الى ان توفى في سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧م (١) .

وحجب له بعد وفاة عيسى بن شهيد ،عيسى بن الحسن بن أبى عبدة (٢) الذى وصف بأنه كان رثيثا بعيدا عن الرشاقة فى الخدمة ،ولكن موارده فى اموره ومصادرها كانت تجرى على غاية التصحيح ،وكانت آراؤه فى غاية التهذيب والصواب (٣) .

ولما تولى الامير عبد الله وجد على حجابة أخيه المنذر ،عبد الرحمن ابن أمية بن عيسى بن شهيد ،فأمضاه عليها مدة ثم عزله ،وولى سعيد بن محمد بن السليم مكانه ثم عزله ايضا ،ولم يول أحدا مكانه الى وفاته واكتفى ببدر الوصيف عن منصب الحاجب (٤) .

ولما تولى الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) الامارة ،ولى يوم مبايعته بدرا مولاه الحجابة والوزارة (٥) . وكان الحاجب بدر هو المدبر الاول لدولة الامير عبد الرحمن (٦) ، وكان له دور كبير فى معظم الاعمال العسكرية التى قام بها الناصر منذ توليه الامارة حتى وفاة الحاجب بدر فى سنة ٣٠٢ هـ / ٩٢١ م (٧) .

فعندما استسلمت اشبيلية للامير عبد الرحمن فى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م ،جاءت بعض رسل أهل اشبيلية الى قرطبة ليلا يطلبون من الحاجب بدر بن احمد

---

(١) ابن حيان ،المصدر السابق ،ص ٢٧ .

(٢) من اسرة آل عبده المشهورة التى خدمت الدولة الاموية فى مجالات شتى ولكنى لم أعثر لعيسى على ترجمة فى المصادر المتوفرة لدى .

(٣) ابن حيان ،ص ١٥٢ .

(٤) ابن حيان ،المقتبس ،نشر ملشور أنطونية ،ص ٤ ـ ٥ .

(٥) ابن عذارى ،البيان المغرب ،٢ / ١٥٩ ،ابن الابار ،الحلة السيراء ١ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٦) ابن حيان ،المقتبس ،ج ٥ ،ص ١٧٣ .

(٧) المصدر نفسه ،ص ١٧٣ ،وانظر الصفحات ١٤٥،١٤٩،١٥١،١٥٢ على سبيل المثال لمعرفة الدور العسكرى الكبير الذى قام به الحاجب بدر .

الذهاب معهم الى اشبيلية وتسلمها نيابة عن الامير بحيلة تم رسمها مسبقا ،فعرض الامر على الاميرعبد الرحمن الذى آذن له فى الذهاب معهم ، حيث تمكن بدر من دخول اشبيلية بعد استلامها ،وفق الخطة المرسومة ،فنظر فى مصالحها ،وعرض جميع فرسانها بتلقه ،وألحقهم فى الديوان بحسب مراتبهم واقام فيها سبعة أيام ،حتى قدم عليهم سعيد بن المنذر القرشي عاملا عليهم ،فأسلمه عمله ،وأقام معينا له اياما (١) .

والذى نلاحظه أن سلطات الحاجب بدر قد توسعت بدرجة كبيرة ،فنجده ينوب عن الخليفة فى تولية وال على كورة من الكور ،مع النظر فى مصالح هذه الكورة ،واعتراض فرسانها ،والحاقهم بالديوان بحسب مقاديرهم ،كل ذلك بالطبع نيابة عن الامير ،الذى منحه كل هذه الصلاحيات التى لم تمنح لاحد قبله حسبما رأينا فى السابق ،فكان الحاجب بدر نائبا عن الامير مباشرة ،ولم يقتصر دوره على مجرد الوساطة بينه وبين الوزراء ،وهو عمل الحاجب فى الاندلس .

وبعد وفاة الحاجب بدر ،ولى الناصر مكانه موسى بن محمد بن حدير (٢) ، الذى كان يخلف الامير عبد الرحمن فى القصر أحيانا عند خروجه للغزو (٣) ، وكان موسى من اهل الادب والشعر ومن اهل بيت رياسة وجلالة (٤) . وكان يحجب الناصر عند تعوده لسلام الاجناد ،ولوفود الاطراف ،ورسل الامم ،وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى على مراتبهم مع سائر الخدمة (٥) .

وكان الحاجب موسى بن محمد يتلقى بعض المكاتبات الواردة على الناصر لدين الله من بعض الامراء خارج الاندلس ،يؤكدون فيها ولاءهم لدولة الامير

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) ابن حيان ،المقتبس ،ج ٥ ،ص ١٧٣ ،ابن عذارى ،البيان المغرب ،٢ /١٨٢ ؛ ابن الابار ،الحلة السيراء ،ج ١ ،ص ٢٣٢ ،٢٣٣ .

(٣) ابن حيان ،المقتبس ،ج ٥ ،ص ١٦١ .

(٤) الضبى ،بغية الملتمس ،ص ٤٥٥ ،ترجمة ١٣٢٠ .

(٥) ابن الابار ،الحلة السيراء ،١ / ٢٣٣ .

عبد الرحمن (١)، ويتلقى كذلك مكاتبات بعض أهل المدن أو الكور، الذين يطلبون التوسط والاستشفاع لدى الناصر، كما فعل أهل طليطلة، عندما بلغهم عزم الناصر على غزو مدينتهم (٢).

واستمر الحاجب ابن حدير في منصبه حتى توفي في عام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م، فلم يول الناصر بعده أحدا الحجابة (٣).

لقد استغنى الناصر عن منصب الحجابة منذ عام ٣٢٠هـ كما هو واضح من النص، وظل المنصب شاغرا الى ان توفي في سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م، ولم تـرد اسباب واضحة من استغناء الناصر عن هذه الخطة، ولكن يبدو أنه جعل رئاسة الوزراء بيده اضافة الى أعبائه كخليفة للمسلمين.

وبتولي الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م، الخلافة أعاد منصب الحجابة مرة اخرى، فولي حجابته جعفر مولاه المعروف بالصقلبي الذي كلفه بادارة اعمال توسعة المسجد الجامع بقرطبة، وتأمين الصخور اللازمة لهذا البنيان (٤). وقد حجب جعفر للحكم المستنصر حتى توفي في سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م (٥)، فولى الخليفة جعفر بن عثمان المصحفي مكانه (٦).

وكان جعفر من أهل الشعر والادب البارع، وله شعر كثير يدل على طبعه وسعة أدبه (٧).

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٦٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٠، ٢٨١.
(٣) ابن الابار، الحلة، ١، / ٢٣٣.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢، / ٢٣٣، ابن سعيد، المغرب، ١، / ١٨٧.
(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. الحجي، ص ٦٦.
(٦) ابن سعيد، المغرب، ١، / ١٨٧، المقري، نفح الطيب، ١، / ٣٨٢.
(٧) الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٥٧، ترجمة رقم ٦١٤.

وسلك جعفر مسلك الوزير ابن شهيد ،فقام باهداء هدية ضخمة الى الخليفة الحكم المستنصر ولكنها لم تصل في حجمها وضخامتها هدية ابن شهيد (١) .

ويبدو أنه كان يريد التقرب والاستئثار بالخليفة الحكم المستنصر مثلما فعل ابن شهيد مع الناصر لدين الله ،وقد تحقق له ذلك . فكان المستنصر "عنه يسمع وبه يبصر" (٢) .

ومعنى ذلك أنه استأثر بالخليفة الى حد كبير ،فصار لايمضي الا قوله ولايرى الا مايراه ،وفوضه تفويضا كاملا في تصريف شئون الدولة . فأصبح هو المدبر الحقيقي والمتصرف في شئون الدولة منذ مرض المستنصر الى حين وفاته في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦م (٣) .

نستخلص مما سبق أن خطة الحجابة ،كانت من أعظم الخطط الادارية الاندلسية وأهمها ،وقد تطورت تطورا كبيرا في دولة بني أمية بالاندلس ،ولم يعد مفهومها قاصرا فقط على الشخص الذي يحجب الخليفة عن العامة والخاصة .

فقد كان الحاجب في الاندلس ،يخلف الخليفة أحيانا عند خروجه للغزو ،كما كان يكلف من قبل الخليفة بتنفيذ بعض المهام العسكرية والمدنية ،والرد على بعض المكاتبات التي تخص الخليفة .

وبذلك تكون الحجابة في الأندلس أكثر تطورا من الحجابة في المشرق .

---

(١) المقري ٣٨٢/١ . وتفاصيل الهديه : مائة مملوك من الافرنج بكامل أسلحتهم وخيولهم . ثلاثمائة خوذة ،ومائة بيضه هندية ،وخمسون خوذه خشبية ،وثلاثمائة حربة افرنجية ،ومائة ترس سلطانية ،وعشرة جواشن فضه مذهبه ،وخمسة وعشرون قرنا مذهبه من قرون الجاموس .

(٢) ابن خاقان ،مطمح الانفس ،ص ١٥٤ ، المقري ،نفح ، ١/ ٤٠٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ،٢ / ٢٥٣ .

المبحث الثاني

الدواوين والخطط

الدواويـــن والخطـــط

الديوان هو مجتمع الصحف وهو فارسي معرب (١) . واطلق اسم الديـــوان من باب المجاز على المكان الذى يحفظ فيه الديوان (٢) .

وأطلق الديوان في المشرق على عدد من الولايات والادارات الحكوميـة مثل ديوان البريد ،ديوان الخراج ،ديوان بيت المال وغير ذلـــك مـــن الدواويـــن .

اما النظام الاداري فى الاندلس ،فلم يعرف الدواوين كادارات حكومية بمعناها المشرقي ،وعرف بالمقابل نظام الخطط .

والخُطط (بضم الخاء) ومفردها خطة تعني في الاصطلاح الاندلســـي " نظم الحكم والادارة (In stitutions) ومايرتبط بهـــا مـــن تشريعات وأحكام ،ممايحقق للانسان الامن والعدالة والحكم الصالح . امـــا الخطط ومفردها خطه (بكسر الخاء) فهى تعنى الاماكن والاحياء " (٣) .

أما لفظ الديوان فى الاندلس ،فقد جاء ذكره عند الخشني القروى(ت ٣٦١هـ) اذ روى أن الامير محمد خرج غازيا فى سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م ،وفي اثناء غـزوه بلغته شكوى ،ضد قاضية بقرطبه ،فأمر صاحب المدينة أن يبعث اليه أربعـة من عدول قرطبة ،يقبضون الديوان منه ،ثم يجعل في بيت الوزراء (٤) . وكذلـك قام صاحب المدينة بقبض الديوان عند وفاة القاضي محمد بن سلمة في عصـر الامير عبد الله ،وجعله في مكان الحفظ والصيانه حتى اختار الامير شخصـا آخر للقضاء (٥) .

(١) ابن منظور ،لسان العرب ،المجلد الاول ،ص ١٠٣٩ .
(٢) د. حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن ،النظم الاسلامية ،مكتبة النهضـة المصرية ،ص ١٧٠ .
(٣) د. أحمد مختار العبادى وآخرون ،دراسات في تاريخ الحضارة العربيـــة الاسلامية منشورات ذات السلاسل ،الكويت ،الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ،ص ١٢٣
(٤) الخشني القروى (ت ٣٦١هـ) قضاة قرطبة ،تحقيق ابراهيم الابيارى ،دار الكتب الاسلامية ، القاهرة ،بيروت ،١٤٠٢هـ ،ص ١٦٩ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٠٠ .

ومن ذلك يتضح أن الديوان فى الاندلس ،كان يختص بالسجلات القضائية التي تحفظ فيها أموال الاوقاف والوصايا والتركات ،وغير ذلك ،ويكون القاضي مسئولا عنه .

وجاء ذكر الديوان ايضا فى معرض حديث ابن جلجل الاندلسى عن الطبيب أحمد بن حكم ابن حفصون ،الذى عاش فى عصر الخليفة الحكم المستنصر ،وقال عنه أنه أسقط من ديوان المتطببين (١) ،ونستدل من ذلك أنه كان هناك ديوانا للاطباء مختصا بهم ،يشرف وينظم مهنة الطب ،والذى لايبدى كفاءة عالية كان يسقط اسمه من الديوان .

هذه هى بعض الحالات التي ورد فيها ذكر الديوان ،اما أن يرد ذكره كديوان بيت المال ،ديوان البريد ،كما كان فى المشرق فان ذلك لم يرد فى النظم الادارية الاندلسية .

ونظرا لعدم وجود الدواوين كمسمى للنظم الادارية فى الاندلس فسيكون الحديث منصبا على الخطط فقط .

الخطط :ـ

عرفت الدولة الاموية فى الاندلس عددا كبيرا من الخطط الادارية التى تبلورت عبر عصور الدولة المختلفة . ويرجع تنظيم كثير من اعمال الدولة الادارية الى الامير عبد الرحمن بن الحكم (الاوسط) ٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ/، فهو أول من الزم الوزراء بالاختلاف الى قصره كل يوم للتحدث والتشاور معهم فى شئون الدولة المختلفة ،وقد جعل لهم بيتا رفيعا بقصره ،وجعل لهم فيه مجلسا يجلسون فيه على آرائك قد نضدت لهم (٢) .

وسنأخذ عصر الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ/٩١٢ـ ٩٦١م ، مثالا للتعرف على خطط الدولة المختلفة ومن ثم نتناولها بالحديث

---

(١) ابن جلجل الأندلسى :أبو داود سليمان بن محمد (توفى فى القرن الرابع الهجرى) طبقات الأطباء والحكماء ،تحقيق فؤاد سيد،مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٥٥م ،ص ١١٠ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،طبعة بيروت ، ص ٢٩ .

في الدولة الاموية بصورة عامة ،فعصر الناصر هو العصر الذي استقرت فيه خطط الدولة وتنظيماتها ٠

ذكر ابن عذارى أن الامير عبد الرحمن ولى يوم مبايعته بدرا مولاه الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل ، الى ماكان اليه من خطة البرد ، وولى موسى بن محمد الوزارة الى ماكان اليه من خطة المدينة ،وكان على الكتابة عبد الله بن محمد الزجالي ،فأقره عليها ،وأقر أحمد بن محمد ابن ابي عبده على القيادة ،وأقر قاسم بن وليد الكلبي على الشرطة العليا ، وكان مع ذلك خازنا ،فصرف الخزانة عنه وولاها عبد الملك بن جهور ،وولى الخزانة أيضا محمد بن عبيدة بن مبشر ،ومحمد بن عبد الله بن أبي عبده ٠ وولى عمر بن محمد بن غانم ،وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ،ومحمد ابن سليمان بن وانسوس خطة العرض ٠ وولى محمد بن عبد الله الخروبي خزانة السلاح مع العقل ٠٠٠ وولى فطيس بن أصبغ خطة البيازرة ،وصرفها عن الحاجب بدر بن أحمد ،الى اعمال وخطط ولاها من استحق عنده من مؤمليه ووجوه مواليه " (١) ٠

وفي سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م قدم الناصر محمد بن عبد الله الخروبي من ولاية السوق الى ولاية المدينة (٢) ،وعزل عنها موسى بن محمد بن حدير ،وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة الصغرى ووليها يحي بن اسحاق ،وولى المواريث قند ودرى موليا الناصر (٣) ٠

وفي سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م " أمر الناصر باقامة دار السكة داخل مدينة قرطبة ،لضرب الدنانير والدراهم وولى الخطة احمد بن موسى بن حدير " (٤) ٠

---

(١) البيان المغرب ٢، ١٨٥ / ١٨٥ – ١٩٥ ٠
(٢) المصدر نفسه ٢، /١٦٦ ٠
(٣) المصدر نفسه ٢، /١٦٧ ٠
(٤) المصدر نفسه ٢، / ١٩٨ ٠

وطبقا لما ذكره ابن عذاري فان الخطط في عصر الامير عبد الرحمن كانت هي : الحجابة والوزارة ،خطة الخيل ،خطة البريد ،خطة الكتابة خطة المدينة ،خطة القيادة ،خطة الشرطة العليا ،خطة الشرطة الصغرى ، خطة الخزانة ،خطة العرض ،خزانة السلاح ،خطة السوق ،خطة المواريث ،خطة السكة .

اضافة الى بعض الاعمال والخطط الاخرى التى لم يذكرها ابن عذاري فى مستهل ولاية الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) كخطة القضاء والرد والمظالم .

هذه هي الخطط الهامة والرئيسة فى دولة بني أمية بالاندلس ،وقد وجدت الى جانبها بعض الخطط العارضة الاخرى ،مثل خطة المقابلة التى نشأت فى عصر الحكم المستنصر (١) ،وخطة القطع فى عصر الامير عبد الله (٢) .

وكان لهذه الخطط الحكومية المركزية مكاتب مقامة بداخل القصر عند باب السدة بالقرب من قنطرة نهر قرطبة (٣) . " والسدة هنا معناها دواوين الحكومة واداراتها " (٤) .

وكان لهم " بيت " أو مجلس داخل القصر يجتمعون فيه جميعا مع الامير أو الخليفة للتشاور والتفاوض فى أمور الدولة كما ذكر ابن حيان .

ولقد تحدثت فى المبحث السابق عن الحجابة والوزارة ،وسأترك الحديث عن بعض الخطط الاخرى في هذا المبحث لاتحدث عنها فى مباحثها الخاصة بها . وسأتناول فى هذا المقام أولا :-

---

(١) القاضى عياض ،ترتيب المدارك ،٤ / ٥٦٦ .

(٢) ابن الابار ،الحلة السيراء ،ج ١ ،ص ٢٣٣ .

(٣) IMAMUDDIN S. M.: Muslim Spain, P. 47.

(٤) د. حسين مؤنس ،رحلة الاندلس ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ،ص ١٠٨ .

اولا : الكتابة .

يقول ابن خلدون : "هذه الوظيفة غير ضرورية فى الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما فى الدول العريقة فى البداوة التى لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وانما أكد الحاجة اليها فى الدولة الاسلامية شأن اللسان العربى والبلاغة فى العبارة عن المقاصد فصار الكاتب يؤدى كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية فى الأكثر" (١) .

وقد اهتمت الدولة الاسلامية منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الوظيفة ، واولتها اهتماما كبيرا لما لها من اثر فى حياة الأمة .

يقول القلقشندى : "اعلم ان هذا الديوان أول ديوان وضع فى الاسلام ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب امراءه ، واصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه . وكتب الى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم الى الاسلام ... وكان النبى صلى الله عليه وسلم نيف وثلاثون كاتبا" (٢) .

وتطورت الكتابة فى الدولة الإسلامية عبر عصورها المختلفة تبعا للتطور الذى طرأ على مؤسسات الدولة المختلفة . وقد شمل هذا التطور الدولة الأموية فى الأندلس التى قلدت فى هذا الشأن الخلافة العباسية ببغداد (٣) .

---

(١) المقدمة ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .
(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٩١/١-٩٢ . وانظر ايضا عبد الحى الكتانى ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ١١٨/١-١١٩ .
(٣) انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٩٢/١-٩٤ .

خطة الكتابة فى الاندلس :

كانت الكتابة فى الدولة الاموية فى الاندلس على ضربين "اعلاهما كاتب الرسائل ، وله حظ فى القلوب والعيون عند اهل الاندلس ، واشرف اسمائه الكاتب ، وبهذه السمة يخططه من يعظمه فى رسالة . واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة ، لايكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولامكانه من سلطانه من تسلط الالسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه " (١) .

وكاتب الرسائل هو الذى يتولى المكاتبات الرسمية فى الدولة . وتعرف هذه الخطة احيانا بخطة "الكتابة العليا" (٢) .

وكان كتاب الرسائل يختارون من اهل الادب والثقافة ، وممن ملكوا تقاليد البلاغة والفصاحة ، واتصفوا بالملكة البيانية (٣) .

يروى ابن بسام انه "لابد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه ، واذن ذكية تسمع منه حسه ، وانف نقى لاتدم انفاسه عند مقاربته له ، ولذلك استحسنوا من الكاتب أن يكون طيب الرائحة ، سليم الات الحواس ، نقى الثوب" (٤) .

"ولما كان الكاتب لسان الخليفة ، فان سمعة الخلافة والدولة ترتبط بما تتصف به الرسائل التى يدبجها الكاتب من فن ادبى وقيم جمالية ، وان اية عثرة قلم او سهو بال من خطا أو اعجام او تصحيف ينقص من قدر الخلافة " (٥) .

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، ٢١٧/١ .
(٢) فايز فلاح القيسى ، ادب الرسائل فى الاندلس فى القرن الخامس الهجرى ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص ٩٢ .
(٣) انظر المرجع نفسه ، ص ٩٢ .
(٤) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٢٤٣ .
(٥) فايز القيسى ، ادب الرسائل فى الاندلس ، ص ٩٤ .

ولذلك لابد من أن يتخير صاحب هذه الخطة من أرفع طبقات الناس ، وأهل المروءة ، والحشمة ، والعلم .[1]

الكاتب الثاني : كاتب الزمام .

"ولا يكون بالأندلس وبر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة إذ هذا العمل نبيه يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس ووجوههم".[2]

وكاتب الزمام هو الذي "يشرف على ادارة الأموال العامة والجبايات واحصاء الجند وتقدير ارزاقهم".[3]

اهتمام الامويين في الأندلس باختيار كتابهم :

اهتمت الدولة الاموية في الاندلس اهتماما كبيرا باختيار الكتاب . وكانت خطة الكتابة من أهم الخطط التي أولاها الأمير عبد الرحمن الداخل عنايته عند خلوص الامر له ، وتسلم زمام الحكم ، واستقراره بقرطبة . وكان أول من كتب له كبير نقبائه أبو عثمان ، وصاحبه عبد الله بن خالد ، ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان .[4]

وتوارثت أسرة أمية بن يزيد كاتب الداخل ، الكتابة من بعده ، فقد كتب ابنه محمد بن أمية للأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ – ١٨٠هـ) ، ثم للحكم بن هشام (١٨٠ – ٢٠٦هـ) .

---

(١) انظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٠٧ .
(٢) المقري ، نفح الطيب ، ص ٢١٧ .
(٣) د. أحمد السيد دراج ، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية ، منشورات رابطة العالم الاسلامي ، السنة الأولى ١٤٠١هـ ، العدد (٨) ، ص ٥١ .
(٤) المقري ، نفح ، ٤٦/٣ .
وكان أبو عثمان هو رأس الجماعة الذين توجه اليهم بدر مولى الأمير عبد الرحمن بالاندلس ، وتولى أمر الدعوة لابن معاوية حتى تأسست دولته . أما عبد الله بن خالد فهو صهره الذي آزره في أمر الدعوة لعبد الرحمن بن معاوية حتى تأسست الدولة وبعد فترة اعتزل أي عمل للسلطان ومات منفردا . وأما أمية بن يزيد فهو مولى معاوية بن مروان . وكان من ضمن مستشاري الداخل ويغفل أمره وآراءه وقد كتب قبله ليوسف الفهري .
انظر المقري ، نفح الطيب ، ٤٤/٣ ،٤٦ .

الا أن الحكم اتهمه بموالاته لعمه سليمان الثائر عليه فعزله عن الكتابة . وكان سليمان قد هم بالركون ، ولكن محمد بن امية دفعه الى المضى فى الثورة وكتب اليه ابياتا تشجعه على ذلك . وقد توفى محمد بن امية خاملا فى عصر الامير الحكم .(١)

ومن اسرة آل امية الذين تولوا الكتابة عبد الله بن محمد بن امية ، وتولى الكتابة للامير عبد الرحمن الاوسط .(٢)

ان ظاهرة توارث اسرة آل امية للكتابة ، وبعض الاسر الاخرى فى الاندلس ، ظاهرة تدل على ازدهار الكتابة وتطورها وقد تمسكت هذه الاسر بهذه الخطة واتقنتها واورثتها لابنائها .

ومن كتاب عبد الرحمن الاوسط عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث ، الذى جمعت اليه الكتابة مع الحجابة والقيادة ، ومحمد بن موسى بن محمد ، ومحمد بن سعيد الزجالى الذى يلقب بالاصمعى لذكائه وقوة حفظه . وكان اول من اصطنعه واستكتبه عبد الرحمن الاوسط ، وقد انجب محمد بن سعيد ولدين تولى كل منهما الكتابة .(٣)

وقبل ان يتولى محمد بن سعيد الزجالى الكتابة للامير عبد الرحمن الاوسط ، كان قد اتخذه كاتبا لوزرائه اشراكا لهم فيه على رسم من تقدمه ، ولكن محمدا حدت به همته الى الترفع عن ذلك للتفرد باعلى المنازل ، وكتب الى الامير عبد الرحمن كتابا يستعفيه من الكتابة لوزرائه يقول فيه : "ان من وسم بميسم كتابته - اعزه الله - وشرف باسمها لجدير ان يعتلى عن كتابة وزرائه ، ويزدهى بحصانة أسراره ، فتنبه

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ٧١/١-٧٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣١ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣١-٣٢ .

الامير عبد الرحمن الى ذلك ، وافرده لكتابته ، واتخذ للوزراء كاتبا مفردا لكتابتهم ، فجرى الامر على ذلك من بعد الامير عبد الرحمن الى آخر الدولة [(١)].

ويتضح لنا من هذا النص ان الامير عبد الرحمن الاوسط هو اول من اتخذ كاتبا خاصا في الاندلس ، وكانت مهمة الكاتب الخاص هي ان "يتلقى من الامير ومن الخليفة الردود على استفسارات المسئولين او القرارات التي يريد الامير او الخليفة اخطارهم بها ، سواء اكانوا في قرطبة او في عواصم الولايات والثغور وقد اطلق على هذا الكاتب في بعض الاوقات اسم صاحب الانشاء" [(٢)].

وقد تولت بعض النساء الكتابة الخاصة في عصر الخلافة . فقد تولت "مزنة" الكتابة للخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد كانت حاذقة من اخط النساء ، وتوفيت في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م [(٣)].

وحذا الحكم المستنصر حذو والده الناصر في تولية بعض النساء الكتابة . فقد كانت لبنى كاتبته ، حاذقة بالكتابة نحوية شاعرة بصيرة بالحساب ، لم يكن في قومهم انبل منها . وكانت عروضية خطاطة جدا ، توفيت سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م [(٤)].

وهذه اول مرة في تاريخ الدولة الاموية في الاندلس تتولى المراة منصبا اداريا .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٤-٣٥ ، ابن سعيد ، المغرب ، ٣٣٠/١-٣٣١ .

(٢) د. احمد السيد دراج ، صناعة الكتابة ، ص ٥٢-٥٣ .

(٣) ابن بشكوال : ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ) كتاب الصلة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، ترجمة رقم ١٥٣٠ ، ٦٩٢/٢ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ١٥٩٣ ، ص ٥٤٦ . ونجد في المشرق ايضا ان بعض النساء تولين الكتابة الخاصة فقد جاء في تاريخ بغداد ان كاتبة الامير العباسي ابراهيم بن المهدي تدعى ميمونة . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٨٣/١٠ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة رقم ١٥٢٩ ، ٦٩٢/٢ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ١٥٩٢ ، ص ٥٤٦ .

ويمكن ان نشبه الكتابة الخاصة "بالسكرتارية" في عصرنا الحاضر .

وكان للمنزلة الرفيعة التي بلغها محمد بن سعيد الزجالي لدى الامير عبد الرحمن ، وتوليه الكتابة للامير فقط دون الوزراء ، اذ لم يسبقه احد في هذا الامر ، كان ذلك مدعاة للحسد بين رجال الدولة واهل الخدمة ، ومن بينهم نصر مولى الامير عبد الرحمن والاثير لديه . فكتب الى الامير عبد الرحمن شاكيا له نصر ، وقال له : "قد علم ماخصني به دون نظرائي من المنزلة الرفيعة التي أصبحت علما من أجلها محسودا ، مرميا بالحدق ، تطلقني الالسن ، وتجول في الافكار وعندما استوى بناؤها ، وقام عمودها ، واسترخت إطنابها ، سعى في هدمها من لازال أؤثل شرف ذكره ، وأجل رفيع قدره" (١) .

وهو يشير بذلك الى انه اول من استفرد بالكتابة للامراء دون الوزراء ، وكأنه يفخر بذلك ، وهو الذى اثلها وارتقى بها واستوت في عهده ، واذا بنصر يريد هدمها حسدا منه مع انه لايزال يجل نصرا ويقدره .

ولما تولى الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م) ، أمضى رجال أبيه على الوزارة ، وعلى الكتابة عبد الله بن امية بن يزيد نحو العامين (٢) ، وكان يتولى الكتابة العليا مع الوزارة (٣) ، ولكن علة اصابته فاقعدته عن الركوب واقام بها قومس بن انتيتان النصراني في الخدمة فلما

---

(١) ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ٣٣٢/١ .
(٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٥ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٤٢ .

توفى عبد الله بن أمية ،قال الامير محمد : لو أن القومس كان مسلما ما استبدلناه ،فلما بلغه الخبر أشهد على اسلامه فولاه الكتابة (١) .

لقد كان قومس النصرانى يقوم بأعمال الكتابة للامير عبد الرحمن قرابة العامين أثناء مرض عبد الله بن امية ،ويبدو أنه كان مكلفا فقط بالكتابة دون أن تعهد اليه الخطة حسب مايفهم من حديث الامير عبد الرحمن " لو آن القومس كان مسلما ما استبدلناه " فلما بلغ هذا الخبر قومس أشهر اسلامه فولاه الامير محمد الكتابة مكان عبد الله بن أميه المتوفى .

وكان قومس مع بلاغته وجودة رسائله بصيرا بصناعة الكتابة الحسابية عارفا بمعانيها العويصه ،مدققا لحساباتها الصعبة ،برع من خصال ذلك كله الى رجحان وحصافة ببعثانه على التكلم فيما يأتى به هاشم بن عبد العزيز أثير الامير محمد من تيهه وصلفه .. فأكتسب بذلك عداوة هاشم بما شجي به منه " (٢) .

وأدخل قومس بعض التنظيمات على العمل حينما كان يقوم مقام عبد الله بن امية بن يزيد فى كتابة الرسائل ،وكان نصرانيا فى ذلك الوقت ،ومن هذه التنظيمات ; آنه سن لكتاب السلطان وآهل الخدمة تعطيل الخدمة فى يوم الاحد من الاسبوع ،والتخلف عن الحضور الى قصر الامير محمد وقد كان نصرانيا ،دعا الى ذلك لنسكه فيه ،فتبعه جميع الكتاب طلب الاستراحه من تعبهم والنظر فى امورهم ،فانتحوا ذلك ومضوا عليه (٣) .

ويفهم من ذلك ان الادارات الحكومية كانت تعمل على مدار الاسبوع دون ان تكون هناك راحة خلال الاسبوع ،الى آن جعل لهم قومس عطلة الاحد.

---

(١) ابن القوطية ،تاريخ ،ص ٩٥ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ،ص ١٤٢ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٣٨ .

وكان هاشم بن عبد العزيز يحقد على قومس لتوليته الكتابة ،ويشكك فى صحة اسلامه ،ويؤلب عليه بعض الذين يحسدونه ،ويرون أنهم أحق بهذا المنصب منه . فقد ذكر ابن القوطية أن محمد بن الكوثر وهو احد بلغاء الاندلس ـ دخل على هاشم بن عبد العزيز فقال له هاشم : " إن من عجائب الزمان أن يكون مثلك فى قدرك وأبوتك ومنصبك خلوا من الخدمة ،ويكون صاحب قلم بنى امية الاعلى ،وكاتبهم العظيم القومس النصرانى ابن انتيان المشتكى من هذا الى الله تبارك وتعالى ". وأوغر بذلك صدر ابن الكوثر الذي رفع الى الامير محمد احتجاجا بعدم تولية الكتابة العليا لقومس النصرانى مع وجود من يصلح من أمثاله هو نفسه ،وحامد الزجالى ،وغيرهم من أهل الاجتهاد ،فعزل قومس عن الكتابة وولى مكانه حامد الزجالى .(١)

ورث حامد الزجالى مكان ابيه محمد بن سعيد الزجالـــى مـــن الادب والمعرفة والبلاغة والكتابة فسلك سبيله فى خدمة السلطان ،وارتقى فوق ذروة أبيه بخطة الوزارة ،وكان أديبا حليما عفا جميل الخصال ،الا انه كان يعاب بالبخل والاقتصاد .(٢)

ولما توفى الزجالى استشرف الى خطة الكتابة العليا التى فى يده قوم من جلة الموالى من الوزراء وغيرهم ،وخاطب كثير منهم الامير محمد يعرضون أنفسهم لتوليها ،ولكنه بعث الى عبد الملك بن عبد الله بن امية الذى لم يكن اهلا لها فولاه الكتابة مما أثار عليه الوزير هاشم ابن عبد العزيز ،وكره الى الامير استكتابه لعدم مقدرته وكفاءته ،فرد الامير محمد على هاشم قائلا : " مهلا ياهاشم . فقد علمنا أنك مااقلت الاابالنصيحة لنا والرغبة فى رفعة خدمتنا ،غير أن مذهبنا أن نقصر لخططنا هـــذه النبيهة على ابناء موالينا وأهل السوابق فى خدمتنا ،وأن نخلفكم فيمـن

---

(١) ابن القوطية ،تاريخ ،ص٩٦ ـ ٩٧ . وهو حامد بن محمد بن سعيد الزجالى من بنى يطفت ورث الكتابة من ابيه . كانت وفاته سنة ٢٦٨هـ . ابـــن حيان ،المقتبس ،طبعة بيروت ،ص ٣٢ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،ص٣٦ .

بعدكم بما خلفنا به فيكم من قبلكم ،ولو كنا فارقنا المذهب لما اتصلت النعم في طلحاء موالينا وذوي القدمة في خدمتنا ،ولاستولى على هذه اهل التحرك من ابناء السوق وأبناء الناس أولى الامراق الدنية ،فترذل وتسوء منها العاقبة ،وهذا امر يجب عليك أن تقف على مقدار النعمة فيه عليك ، وعلى ذويك ،وتقل عليه اعلامة " فاعتذر له هاشم عن ذلك وشكره واستصوب رأيه وتوقف عن ذكر ابن أمية .(١)

ويروى ابن عذارى فى شأن عبد الملك بن أمية وهاشم بن عبد العزيز أن الامير محمد ولاه الكتابة اصطناعا له وعائدة عليه ورّد عليه يوما كتابا جاء فيه " لقد فهمنا عنك ولم نأت ما أتيناه عن جهل بك لكن اصطناعا لك وعائدة عليك . وقد أبحنا لك الاستعانة بأهل اليقظة من الكتاب فتخير منهم من تثق به وتعتمد عليه . ونحن نعينك على امرك بتفقد كتبك والاصلاح عليك ،الى ان تركب الطريقة وتبصر الخدمة ان شاء الله " .(٢)

لحسده على الخطة لشرفها من رأى نفسه أنه اولي بها لاستكمال أدواتها ،وكان اشد الناس عليه هاشم بن عبد العزيز الذى استدعاه الامير محمد وقال له : " لقد أكثر أهل خدمتنا وأكثرت من هذا الكاتب تذكرون جهله ... وقد ضممت اليه من الكتاب من يستعين به ،ويستظهر على خدمته بمكانه ،وانما تقفوا بخدمتنا ،وتسلك بمراتبنا طريق من ابتدأها وأسسها ووضع أهلها فيها . واذا كنا لانخلف أباءكم بكم ،ولانخلفكم بأبنائكم ،فمند من نصنع احساننا ونرب أيدينا أمند أبناء القرانين أو الجزارين أو امثالهم من الممتهنين ؟ وأنت كنت أحق بالحض على هذا ، وتصويب الرأى فيه ،لما ترجو من مثله فى أولادك وعقبك " فاعترف هاشم بخطئه وشكر الامير محمد على صواب رأيه .(٣)

---

(١) المصدر نفسه ،ص١٤٣ – ١٤٤ .

(٢) البيان المغرب ،٢ / ١٠٨ .

(٣) ابن عذارى ،البيان ،٢ / ١٠٨ .

لقد كانت خطة الكتابة العليا أو الرسائل من الخطط التي تتطلب كفاءة عالية ، وامتلاك الوسائل اللازمة لها ، وقد كان الاندلسيون كثيري الانتقاد لمن يتولى هذه الخطة ولايحسنها كما يقول المقري . وقد سببوا للكاتب عبد الملك ابن عبد الله بن امية متاعب جمة ، وكانوا يريدون ازاحته بشتى السبل .

ولما تولى المنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥هـ/٨٨٦ - ٨٨٨م) ولى الكتابة في فترة ولايته القصيرة اثنين من الكتاب هما سعيد بن مبشر ، وعبد الملك بن عبد الله بن امية[1] .

وفي عصر الأمير عبد الله كتب له عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة ، وعبد الله بن محمد الزجالي ، وعزل الأمير عبد الله ، الزجالي[2] من خطتي الوزارة والكتابة حينا من الوقت لموجدة وجدها عليه ثم عفا عنه وأعاده الى خطته ، وكان الزجالي محببا في الناس فأبدوا فرحا لرجعته[3] .

وعندما تولى الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) ، أقر عبد الله بن محمد الزجالي على الكتابة[4] ، ثم وليها بعد وفاته عبد الرحمن بن الحاجب بدر بن أحمد ، وفي سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م ولى الناصر عبد الملك بن جهور الوزارة وضم اليه الكتابة العليا مع الوزارة[5] .

وفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م ، عزل عبد الملك بن جهور عن الكتابة والوزارة وولى بعده الكتابة عبد الحميد بن بسيل[6] .

وفي سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م ، عزل الناصر لدين الله عبد الحميد بن بسيل من الكتابة العليا التي كان تقلدها بعد

---

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ١١٣/٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٦ .
(٣) ابن الابار ، اعتاب الكتاب ، ص ١٧٢ .
(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٥٩/٢ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب.شالميتا ، ص ١٠٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١١١ .

عبد الملك بن جهور اذ لم تطل ولايته اياها ، واعاد عبد الملك بن جهور الى الكتابة العليا .(١)

وفى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م ، صرف الناصر عبد الملك بن جهور عن الكتابة العليا وولاها عبد الرحمن بن الحاجب بدر بن احمد .(٢)

ويلاحظ ان الناصر لدين الله كان يستبدل عماله على هذه الخطة على الدوام ، ففى خلال الاعوام الاولى من سنى حكمه ولى على هذه الخطة ستة أشخاص تقريبا .

وتولى محمد بن عبد العزيز كتابة المحاسبة (الزمام) للناصر ونقل عنها فى سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م الى كتابة الحوائج .(٣)

تطور خطة الكتابة فى عصر الخلافة :

تطورت خطة الكتابة فى عصر الخلافة تطورا كبيرا ، واتسعت مسئوليات الكتاب ، وصار الكتاب وزيرا ضمن الوزراء وسمى بوزير الترسيل .(٤) ونظرا لاتساع مسئوليات متولى خطة الكتابة فان الخليفة عبد الرحمن الناصر قام بتوزيع اعبائه بين أربعة من وزرائه ، وذلك فى سنة ٣٤٤هـ .

يقول ابن عذارى : "وفيها ثقف الناصر امور الخدمة السلطانية ، ووزعها بين وزرائه ، فقلد الوزير جهور بن ابى عبدة النظر فى كتب جميع أهل الخدمة ، وقلد الوزير عيسى بن فطيس النظر فى كتب اهل الثغور والسواحل والاطراف وغير ذلك وقلد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالى النظر فى تنفيذ كل مايخرجه عن العهود والتوقيعات ، وينفذ به الامر او

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ١٣٤/٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ٤٦٢/٥ . والحوائج هى المفقودات أو الاشياء الضائعة التى لايعرف صاحبها . انظر عبد العزيز بنعبد الله ، معلمة الفقه المالكى ، ص ٢٦٠ .
(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

الـراى وغـير ذلـك ، وقلـد الوزيـر محمد بن حدير النظر فى مطـالب النـاس وحوائجـهم ، وتنجيز التوقيعات لهم . فالتزم القـوم ماالزموا ، فاعتدل بهم ميزان الخدمة ، وصلحت مطالب الرعية " .(١)

وبـذلك استقامت أمور الخدمة المدنية بتعبيرنا الحاضر وانضبطت أعمـال الدولة . وهذا الاجراء يدلل على ان الناصر كان يتمتع بكفاءة ادارية عالية .

وفى عمر الخليفة الحكم المستنصر تولى الكتابة الوزير الكاتب جعفر بن عثمان الذى كتب سجلا لقبيلة كتامة البربرية التـى جـاءت للدخـول فى طاعة الحكم المستنصر ، ونبذت دعوة الشـيعة ، فكـتب لهم كتابا طويلا بين لهم فيه مايجب اتباعه والسير عليه .(٢)

وتولى الوزير الكاتب جعفر بن عثمان انشاء كتاب يتعلق بمحاربـة الخليفة الحكم لدعوة الشيعة بالمغرب ، ودخول عدد من امراء العدوة فى طاعته .(٣)

وهكذا نجد أن خطة الكتابة او الرسائل قد تطورت فى ظل حكومـة الامـويين بـالاندلس خلال هـذه الفترة ، الى أن أصبح الكاتب وزيرا . وهناك عدد كبير جدا من الكتاب الذين برعوا فـى الكتابة ، وامتلكوا أدواتها ، وقد وصلت الينا اسماءهم الا أن المصـادر لـم تسعفنا كثيرا بتفصيلات وافية عن اعمال هـؤلاء الكتـاب واختصاصاتهم . وقد فقدت الكتب التى صنفت فى

---

(١) البيـان المغرب ، ٢/٢٢٠ .
(٢) ابـن حيـان ، المقتبس ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجى ، ص ١١١ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ١٧٨ .

الكتاب مثل : كتاب طبقات الكتاب بالاندلس للافشتين (١) . وغيره من الكتب الاخرى .

نماذج من الرسائل والتوقيعات :

تعددت انواع الرسائل الرسمية في الاندلس خلال هذه الفترة فنجد الرسائل السياسية والادارية والتنظيمية وغيرها وقد تميزت هذه الرسائل بقصرها وبلاغتها وبعدها عن التكلف . وكان بعضها عبارة عن توقيعات قصيرة يوقعها الامير بنفسه .

فمن هذه التوقيعات ماكتبه الامير عبد الرحمن بن معاوية الى سليمان بن يقظان الاعرابي - وهو الخارج عليه بسرقسطة - على كتاب منه سلك به سبيل الخداع : "اما بعد فدعني من معاريض المعاذير ، والتعسف عن جادة الطريق ، لتمدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة ، او لالقين بنانها على رضف المعصية نكالا بما قدمت يداك ! وما الله بظلام للعبيد" (٢) .

وكتب امية بن يزيد كتابا عن الداخل الى بعض عماله ، يستقصره فيما فرط من عمله ، فاكثر واطال الكتاب . فلما لحظه الامير عبد الرحمن امر بقطعه ، وكتب بخط يده "اما بعد فان يكن التقصير لك مقدما ، فعد الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا وقد علمت بما تقدمت فاعتمد على ايهما احببت" (٣) .

---

(١) هو محمد بن موسى بن هاشم النحوى المعروف بالافشتين (ت٣٠٩هـ) ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٨٨ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٥٨/٢ ، المقرى ، نفح ، ٣٩/٣ "لازوين بنانها على رضف المعصية " .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٥٨/٢ .

وجرت بينه وبين مولاه بدر عبدد من المكاتبات لما غضب عليه وأبعده من المشاركة فى سياسة الدولة ، اذ كان بدر يرسل اليه بين الحين والاخر مدلا عليه ،ومذكرا اياه بدوره الذى قام به ،حتى استتبت الامور له ، ورد عليه كتابا من كتبه جاء فيه :

" وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك ،والعجب أنك متى أردت أن تبتنى لنفسك عندنا متاتا أتيت بما يهدم كل متات مشيد مماتمن به ،مما قد أضجر الاسماع تكراره وقدحت فى النفوس اعادته ،مما استخرنا الله تعالى من اجله على امرنا باستئصال مالك ،وزدنا فى هجرك وابعادك ،وهضنا جناح ادلالك ،فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى نبلغ منك مانريد ان شاء الله تعالى ،فنحن أولى بتأديبك من كل أحد ، اذ شرك مكتوب فى مثالبنا ،وخيرك معدود فى مناقبنا " (٢)

وجاء في كتاب آخر له : " لتعلم أنك لم تزل بمقتك ،حتى ثقلت على العين طلعتك ،ثم زدت الى أن ثقل على السمع كلامك ،ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك ،وقد أمرنا باقصائك الى أقصى الثغر فبالله الا ما أقصرت ولايبلغ بك زائد المقت الى أن تضيق بك معى الدنيا ،ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان ،وماتقولوه عليك ،ومالك عدو أكبر من لسانك ،فما طاح بك غيره ،فاقطعه قبل أن يقطعك " . (٣)

كان الداخل يقوم بمهمة الكتابة بنفسه على الرغم من وجود عدد من الكتاب الذين كتبوا له ،وذلك فى الحالات التى يرى أنه لابد أن يتولى

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٥٨ .

(٢) المقري ،نفح ، ٣ / ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ،٣ / ٤١ .

الكتابة بنفسه ،فسليمان بن يقظان الاعرابى كان من أخطر الثوار عليه لاستعانته بقوة خارجية و هو ، النصارى ،أما بدر مولاه ،فكان له دور مشهود فى كل الاتصالات التي جرت بين الداخل ،وبعض موالى الامويين فى الاندلس ،قبل أن يأتي الداخل الى الاندلس ،وساهم مساهمة كبرى فى كل الاحداث ، التي تمت قبل أن يتولى الامير عبد الرحمن الامارة ، والى ان تولاها ،فلذلك أراد الادلال بموقفه هذا عليه ،فجاءت ردوده حاسمة له ، وكتاباته بليغة ،وقاطعة ،مما أفقد بدر الامل في استرداد موقعه الذى فقده نتيجة سوء تصرفاته .

. . . .

ومن كتب عبد الرحمن الاوسط كتابة الى أهل جزيرتى " ميورقة ومنورقة " الذين كتبوا اليه يشكون من نكاية المسلمين بهم فرد عليهم قائلا :أما بعد فقد بلغنا كتابكم ،تذكرون فيه امركم ،واغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم ،واصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم ،والمبلغ الذى بلغوه منكم ،وما أشفيتم عليه من الهلاك . وسألتم التدارك لامركم ، وقبول الجزية منكم ،وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروههم ،والوفاء بما تحملونه من أنفسكم . ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم وقمعكم عن العود الى مثل الذى كنتم عليه . وقد اعطيناكم عهد الله وذمته " .(١)

لقد كانت الكتابة أهم وسيلة اعلامية تستطيع الدولة أن تبلغ بها ما تريد ابلاغه ،من اوامر ونواهى ،وعهود ومواثيق ،وغير ذلك ،وقد كتب اهل هاتين الجزيرتين يشكون الى الامير عبد الرحمن ،نكاية المسلمين بهم ،فكتب اليهم كتابا ،أوقف بموجبه حرب المسلمين لهم والكف من أذاهم على ان يلتزموا بأداء الجزية .

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب،ص ٢/ ٨٩ .

ومن التوقيعات البليغة ايضا ، ماوقعه الامير عبد الله لاحد مماليكه الذي اعتذر اليه مما وقع فيه من تقصير ، فوقع له "وان مخايل الامور لتدل على خلاف قولك ، وتنبيء عن باطل تنصلك ، ولو بؤت بذنبك ، واستغفرت لجرمك لكان احجى لك ، واسدل لستر العفو عليك" (١) .

ومن كتب الناصر التي انفرد بها كتابه الى احمد بن اسحاق القرشي، الذي سخط عليه ،وهو يحارب محمد بن هاشم التجيبي بسرقسطة : " أما بعد: فانا كنا نرى الاستحماد اليك استصلاحا لك ،فأبى الطبع الغريزي الا ما استحكم منه فيك ... فالفقر يصلحك والغنى يطغيك ،اذ لم تكن عرفته ولاتعودته ،أو ليس كان ابوك فارسا من فرسان ابن حجاج ،أخسهم حالا عنده وأنت يومئذ نخاس الحمير باشبيلية ،فاقبلتم الينا فآويناكم ونصرناكم ، وشرفناك ومولناك ،واستوزرنا أباك ،وقلدناك أعنة الخيل أجمع ،وفوضنا اليك امر ثغرنا الاعظم ،فتهاونت بالتنفيذ لنا وقلة المبالاة بنا ،ثم مع هذا الترشح للخلافة فبأى حسب أو اى نسب " (٢) .

وكتب الناصر الى محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الذى امتنع عليه بحصن لقنت ": ولما رأيناك قد تذرعت باظهار اتقاء الله رأينا ان نعرض عليك أولا مالابد لك منه أخرا ،وليس من اطاع بالمقال كمن اطاع بعد الفعال " (٣) . فما كان منه الا ان بادر مستسلما الى قرطبة .

وكتب اليه ابن عمه سعيد بن المنذر وهو محاصر لابن حفصون يذكر له تلون ابن حفصون ،فأجابه بكتاب جاء فيه : " مهما تحققت من غدر بني حفصون ومكرهم فزد فيه بصيرة واثبت على تحقيقك ،ومهما ظننت فصير ظنك تحقيقا ،فانهم شجرة نفاق ،اصلها وفروعها تسقى بماء واحد ،فاهجر فيهم المنام والدعة فالعيون اليهم تنظر والاذان نحوهم تسمع ،فمتى استنزلتهم من معقلهم أغناك ذلك عن مكايدة غيرهم " (٤). فلم يزل بهم حتى غلب عليهم .

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ٢٦ .

(٢) مجهول ،اخبار مجموعة ،ص ١٣٨ .
(٣) ابن سعيد ،المغرب في حلى المغرب ،١ / ١٨٤ .
(٤) المصدر نفسه ،١ / ١٨٤ - ١٨٥ .

نلاحظ أنه كان للكتابة أثرا نفسيا قويا على الجهة الموجه اليها الكتاب . فقد كان للعبارات القوية والمختصرة التى وجهت الى الشيخ الممتنع بحصن لقنت ، اثرها فى أن يسارع ويبادر الى الاستسلام بقرطبة . كما كان لكتاب الناصر الموجه الى ابن عمه أثر كبير فى ان يصبر على محاصرة بنى حفصون ، حتى تمكن من هزيمتهم .

ومن الكتب السياسية القوية ، ذلك الكتاب الذى وجهه الخليفة الحكم المستنصر الى نزار العبيدى (١) ، صاحب مصر الذى كتب الى المستنصر يسبه ويهجوه ، فرد عليه الحكم : "اما بعد : فانك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام" فاشتد ذلك على نزار وافحمه عن الجواب (٢) .

هذه بعض النماذج لمكاتبات الدولة الرسمية خلال هذه الفترة . وقد ظلت الكتابة الديوانية بسيطة خالية من السجع الذى تأخر استخدامه فى الكتابة الديوانية فى الاندلس ، وتميزت به الفترة التالية لعصر الخليفة الحكم المستنصر (٣) .

ثانيا : خطة البريد .

البريد كلمة فارسية معناها "بريده ذنب"وعربت الكلمة فسمى البغل بريدا ،والرسول الذى يركبه بريدا ،والمسافة التى يعدها

---

(١) نزار العبيدى : ابو المنصور نزار الملقب العزيز بالله ، ابن المعز بن المنصور ابن القائم بن المهدى تولى الامر بعد وفاة أبيه المعز سنة ٣٦٥هـ وتوفى سنة ٣٨٦هـ .
ابن خلكان : ابو العباس احمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ) ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٣٧١/٥ ومابعدها .
(٢) ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .
(٣) انظر د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى - عصر الدول والامارات (الاندلس) ، ص ٣٩٣ ، د. احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسى - عصر سيادة قرطبة ، ص ٣٢٨ .

بريدا ، اذ كان يرتب في كل سكة بريدا ، وبعد مابين السكتين فرسخان (١) .

والبريد في الاصطلاح : هو جعل خيل مضمرات في عدة اماكن ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها ، وقد تعب فرسه ، ركب غيره فرسا مستريحا ، وكذلك يفعل في المكان الاخر والاخر حتي يصل في اسرع وقت ممكن (٢).

ومعلوماتنا من البريد في الاندلس ضئيلة للغاية ، على الرغم من ضخامة الاحداث في الاندلس ، والتي كانت تتطلب بلاشك شبكة بريدية منتظمة ، لنقل الاخبار من أقاليم الدولة المختلفة ، الى العاصمة قرطبة . فلقد اغفلت المصادر الاندلسية الحديث عن البريد اغفالا يكاد يكون تاما ، وحتى ابن حيان مؤرخ الاندلس الذى له اهتمام كبير بالنظم الاندلسية ، لم يمدنا الا بمعلومات قليلة لاتكفى لتكوين صورة متكاملة عن نظام البريد في الاندلس .

قال ابن حزم الاندلسي : " اما البريد فيلزم الامام ان يرتب قوما من فرسان الجند ، ويقدم عليهم رجلا منهم موثوقا من اهل السياسة ، والدلالة في الطرق والتبصر بالقبائل ، يزيد في ارزاقهم ، ويكونون مرتبين في كل قاعدة من قواعد بلاده (٣) " .

ويفهم من خلال ماذكره ابن حيان ، أن الدولة الاموية في الاندلس ، قد اهتمت بنظام البريد منذ وقت مبكر من تاسيس الدولة . فقد كانت هناك

---

(١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، طباعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (بدون تاريخ طبع) ص ٤٢ .

(٢) ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٠٦ .

(٣) ابو علي محمد بن سعيد بن حزم ، (شذرات من كتاب السياسة) مستخرجة من مخطوطة الشهب اللامعة في السياسة النافعة المعروف بسياسة ابن رضوان ، ص١٠٢ ، نشره محمد ابراهيم الكتاني ، في مجلة تطوان المغربية العدد الخامس ، ١٩٦٠م .

دارا للبريد أنشأها الامير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ،وكانت هذه الدار تقع بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها . وقد امر الخليفة الحكم المستنصر في سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م بنقل هذه الدار من مكانها الى دار الزوامل التي بالمصارة (١) .

وهذه اشاره واضحة تدلنا على اهتمام الامويين بأمر البريد منذ تأسيس دولتهم . ويبدو أن موقع الدار صار غير مناسب نتيجة للاتساع في المباني ،فأصدر الخليفة الحكم المستنصر امرا بنقلها من مكانها الى مكان آخر .

وكانت هذه الدار قد احترقت في سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م ضمن الحريق الذي أصاب سوق قرطبة ،فأمر الناصر باعادة بناء دار البريد على رسم رسمه دل على فضل معرفته وحكمته ،فسما بناؤها ،ونصبت ابوابها على ماحد ، ورفعت فوقها علية توفي عليها ويؤمن معها الاضرار (٢) .

ويرجع الى عبد الرحمن الداخل أمر تنظيم البريد وجعله ميسورا مستمرا بين قرطبة وبقية المدن والاقاليم ،وجعل للبريد محطات وفرسانا تختص به ،وأصلح طرق المواصلات الرومانية القديمة لتيسير مهمته (٣) .

وكان للبريد دور بارز في حسم الخارجين على سلطان الدولة ،فالخليفة الحكم بن هشام (الربضي) ١٨٠ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢١م ،كانت له ألف فرس معدة بجانب القصر ،فكلما حمل اليه البريد خبرا بأمر أو خارجي عاجله قبل علمه ،فلا يشعر الا وقد احيط به (٤) .

---

(١) المقتبس ،تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ،ص ٦٦ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق ب . شالميتا ، ص ٣٨٣ .

(٣) ابراهيم ياسر الدوري ،عبد الرحمن الداخل في الاندلس ،دار الرشيد - بغداد - ١٩٨٢م ،ص ٢٧٢ .

(٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ،ص ١٤ .

وعهد الخليفة الحكم المستنصر الى الوزير القائد ،غالب بن عبد الرحمن عند فتحه لحصن الكرم بالعدوة ،ومحاربة حسن بن قنون ، ان يرتب البريد قبله ،وأن يرتب فى العسكر لديه ،بمدينتى طنجه وأصيلا منها مايراه الوزير القائد كافيا بالركض بالاخبار لانتظام الناحية ، لتعجل باتخاذ الدواب لها ،وتعهد الى الخارجين بالعسكر عنه بدفع اجر خدمته لكل شهر ،والى الخازن باجراء العلوفة على الدواب والنفقة على الفرانقين (١) .

ووردت الينا أسماء بعض الشخصيات التى تولت خطة البريد فى عصرى الامارة والخلافة مثل بدر بن احمد الذى ولاه الامير عبد الله خطة البريد ضمن خطط آخرى (٢) ،وقد استمر بدر واليا على البريد حتى فى عصر الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) (٣) .

ومن الذين تولوا هذه الخطة " خلف " صاحب البريد ،والتى كانت داره بالجرف (٤) ، و " شنيف " صاحب البريد فى عصر الناصر (٥) ،و " فائق " صاحب البريد والطراز فى عصر الحكم المستنصر (٦) .

وذكر الرحالة ابن حوقل أن فى كل مدينة من مدن الاندلس مخلفين على رفع الاخبار يقال لاحدهم مخلف (٧) .

وكانت مهمة هؤلاء المخلفين على مايبدو ،هى تزويد العاصمة قرطبة بالاخبار والمعلومات التى تحدث فى المدن الاخرى ،ولايتأتى ذلك الا فى ظل نظام بريدى منتظم ،وشبكه واسعة تتولى نقل هذه الاخبار الى العاصمة بسرعة وانتظام .

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ١٣٦ ،والفرانق ،هو القائم بأمر البريد ،المصدر نفسه ،ص ٩٠ ،هامش رقم (٢) ،أو الحامل للخرائط ، الخوارزمى ،مفاتيح العلوم ،ص ٤٢ .

(٢) ابن الابار ،الحلة السيراء ،ج ١ ،ص ٢٥٢ .

(٣) ابن عذارى ،البيان المغرب ٢، / ١٥٩ .

(٤) ابن جلجل الاندلسى ،طبقات الاطباء ،ص ٩٧ .

(٥) المصدر نفسه ،ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٦) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٦٣ ، ١١٩ ، ١٧٣ .

(٧) ابن حوقل ،صورة الارض ،ص ١١١ .

يتضح مماسبق أن خطة البريد كانت من الخطط التى أولاها الامويون فى الاندلس عنايتهم البالغة ،فعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة عـن البريد فى المصادر الاندلسية ، الا انها تكشف لنا أنه كانت هناك شبكـة بريدية منتظمة ،استخدمتها الدولة عبر عصورها المختلفة لنقل المعلومـات والاخبار بين اقاليم الدولة المختلفة ،والعاصمة قرطبة .

وقد شهدت الدولة الاموية بالاندلس اضطرابات كثيرة بين الحين والحين عبر عصورها المختلفة ،ولم تهدأ هذه الاضطرابات الا بمجئ عبد الرحمـن الناصر وكانت تلك الاحداث تتطلب بلا ريب ان تكون العاصمة مرتبطة بالاقاليم ارتباطا وثيقا لمعرفة كل مايدور فيها .

ثالثا : خطتا الشرطة والمدينة :

من الخطط التى لصاحبها سلطة اصدار الاحكام فى الاندلس ،خطتـى الشرطة والمدينة (١) .

أولا الشرطـة :-

- الشرطة فى اللغـة :

أشرط فلان نفسه لكذا وكذا : أعلمها له واعدها ،ومنه سمى الشـرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ، الواحد شرطة وشرطى والشرطة فـى السلطان : من العلامة والاعداد . ورجل شرطى وشرطى منسوب الى الشرطـة ، والجمع شرط ،سموا بذلك لانهم اعدوا لذلك وأعلموا أنفسهم بعلامات (٢) .

---

(١) ابن سهل : ابو الاصبغ عيسى بن سهل الاسدى ،الاحكام الكبرى ،مخطـوط برقم ٢٠٠ ،مصور بالميكروفيلم ،مركز البحث العلمى ،جامعة ام القرى ص ٢ .

(٢) ابن منظور ،لسان العرب ،ج ٧ ،ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

وقال الزبيدي : والشرطة أيضا طائفـــــة مـــن أعوان الــــولاة معروفـــــة [(١)] .

الشرطة في الاندلس :

تشير بعض المصادر الى أن صاحب الشرطة هو صاحب المدينة نفسه ، فابن سعيد يقول : " وأما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطه الـــى الان معروفة بهذه السمة ، ويعرف صاحبها في آلسن العامة بصاحب المدينـــــة وصاحب الليل ، واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمـــن يجب عليه دون استئذان السلطان ، وذلك قليل ، ولايكون الا في حضرة السلطان الاعظم وهو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الامور الشرعيـــة راجع اليه ، وقد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي [(٢)] .

وأكد ابن سعيد على ان صاحب الشرطة هو صاحب المدينة عندما ذكـــر أن الامير عبد الرحمن الاوسط : " هو الذي ميز ولاية السوق من احكـــام الشرطة المسماة بولاية المدينة ، فأفردها وصير لواليها ثلاثين دينارا في الشهر ولوالي المدينة مائة دينار [(٣)] " .

وعلى الرغم من الارتباط الوثيق بين صاحب الشرطة والمدينـــة ، الا ان صاحب الشرطة يختلف عن صاحب المدينة ، لان كثيرا من النصوص تشير الـــى صاحب للشرطة وصاحب للمدينة في وقت واحد . وقد ذكر ابن سهل في النـــص الذي ذكرناه سابقا صاحب الشرطة وصاحب المدينة ، ضمن الحكام الســـت الذين تجرى على ايديهم الاحكام [(٤)] .

ويرى د. محمد عبد الوهاب خلاف : أن صاحب المدينة هو الذي يرأس صاحب الشرطة [(٥)] ، وهو الذي يستخدم سلطة جهاز الشرطة في التحقيقات المدنية .

---

(١) الزبيدي ، محب الدين أبو الفيض الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهـــر القاموس ، مصر ١٣٠٦هـ ، ٥ / ١٦٧ .

(٢) ابن سعيد برواية المقري ، نفح الطيب ، ١ / ٢١٨ .

(٣) المغرب في حلى المغرب ، ١ / ١٤٦ .

(٤) ابن سهل ، الاحكام الكبرى ، مخطوط ، ص ٢ .

(٥) د. خلاف ، صاحب الشرطة في الاندلس ، مقال بمجلة أوراق – المعهد الاسباني العربي – مدريد – العدد الثالث ، ١٩٨٠م ، ص ٧٢ .

ومما يؤكد لنا أن صاحب الشرطة غير صاحب المدينة ماذكره ابن حيان أن صاحب المدينة كان يحجب الحكم المستنصر عن ذات اليمين فى الاحتفالات الرسمية ويجلس تحته اصحاب الشرطة (١) ٠

وأشار ابن سعيد الى خطة اخرى لها علاقة بحفظ الامن والنظام وهى خطة الطواف بالليل ،وقال انهم : " يعرفون فى الاندلس بالدرابين، لان بلاد الاندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة ،ولكل زقاق بائت فيه ، له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد ،وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم ، واعيائهم فى امور التلصص (٢) " ٠

وأرى أن هذه الخطة تتبع للشرطة ،وتقع تحت اشرافها المباشر ، فهؤلاء الدرابين هم عبارة من (دوريات) مكلفة بمهمة الحراسة الليلية فى الازقة والدروب فى المدن ٠ ويبدو أن المجتمع الاندلسى الذى كان خليطا من شتى الاصناف يعج بعدد كبير من الاشرار واللصوص ،فوضعت خطة الطواف بالليل لمراقبة الازقة والطرقات ،ومنع اللصوص والاشرار من الاعتداء على منازل العامة ٠

ويعرف الدرابون فى المشرق بالعسس ،وبالقيروان بالعساس او الحراس (٣) ٠

ويرى ابن عبدون وجوب ان يكون صاحب الشرطة (الحاكم) رجلا خيرا عفيفا ،غنيا ،عالما ،متحنكا فى علوم الوثائق ،ووجوه الخصومات ،ويكون ورعا لايرتشى ولايميل ،ويجرى فى حكمه وأمره الى الحق والاعتدال ،ولايخاف فى الله لومة لائم ،ويكون اكثر جريه فى حكمه الى الاصلاح بين الناس ويضرب له فى بيت المال أجرة ،تقوم به لاستلزامه ذلك وتركه مايلزمه من معيشته والنظر فى اموره (٤) ٠

---

(١) المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٨١ ٠

(٢) نفح الطيب ،١ / ٢١٩ ٠

(٣) محمد الشريف الرحمونى ،نظام الشرطة فى الاسلام ،الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م ،ص ١٧٣ ٠

(٤) ابن عبدون ،محمد بن أحمد بن عبدون ،رسالة فى القضاء والحسبة ،ضمن ثلاث رسائل اندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ،تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة — ١٩٥٥م ،ص ١١ ٠

ونظراً لأن صاحب الشرطة هو الذى يتولى التحقيق فى القضايا فقد اشترطت فيه هذه الشروط حتى لايفلت أحد منه .

وحدد ابن عبدون لصاحب الشرطة مكان حكمه ،ورأى أن يكون فى المسجد الجامع ،أو اى موضع اخر يحدد له الحكم فيه ،ولايحكم فى بيته لان ذلك مدعاة لدخول أهل الباطل عليه ،كما أنه لايحكم فى القضايا الكبرى التى هى موضع فرصة للخصماء ،ولعن يطلب الاباطيل من الناس ، وعليه أن يحضر مجلس القاضى كل يوم ،ويستشيره فى القضايا الكبرى التى تقابله ،ويكون تحت رقابة القاضى بصفة مستمرة .(١)

أنواع الشرطة :

وتنقسم الشرطة فى الأندلس الى نوعين : شرطة كبرى وشرطة صغرى،(٢) واستمرت كذلك الى ان استحدث الناصر لدين الله خطة الشرطة الوسطى فى سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م ،يقول ابن حيان : و " فيها اخترع الناصر لدين الله فى خطط الملك خطة الشرطة الوسطى بين الشرطتين العليا والصغرى ، ولم تكن قبله ،فكان أول من رسمها وثلث عددها ،ولم يكن قبله سوى اثنتين ،فتصرفت فى دولته واستمرت بعده ،وترتب رزقها وسطا بين العليا والصغرى " .(٣)

أما الشرطة الصغرى فيبدو أنها قد استحدثت فى أخريات عصر الامير الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢١م . فقد ذكر القاضى عياض ان حارث بن أبى سعد كان مفتيا فى آخر أيام الحكم بن هشام ،وهو جد بنى حارث بقرطبة وهو أول من ولى الشرطة الصغرى بالاندلس ، ولم يزل عليها الى أن توفى فى سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٦م .(٤) وبعد وفاته ولى الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨هـ) ابنه محمد بن الحارث أحكام الشرطة الصغرى مكانه .(٥)

---

(١) ابن عبدون ، المصدر السابق ،ص ١١ .
(٢) ابن خلدون ،المقدمة ،ص ٢٥١ .
(٣) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق شالميتا ،ص ٢٥٢ ،وانظر ابن عذارى ،البيان المغرب ،٢ / ٢٠٢ .
(٤) عياض ،ترتيب المدارك ،ج ٣ ،ص ٢٢ .
(٥) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة ١١٠٥ .

وولى الحكم المستنصر ،على بن محمد بن ابى الحسين الشرطة العفرى مجموعة له الى عمل القضاء بالثغر ،وبلغ رزقه ثلاثين دينارا (١) .

أما محمد بن عبد الله بن ابى عامر فقد كان يلى للحكم المستنصر الشرطة اضافة الى السكة والقضاء باشبيلية وكثيرا من الخطط الاخرى (٢) .

وكان يعهد إلى صاحب الشرطة فى عصر الناصر بعض المهام العسكرية ، فقد أمر الناصر صاحب الشرطة القائد درى بن عبد الرحمن مولاه بالذهاب الى ابن الزيات الخارج بالجزيرة ،وكان بعيد الشأو فى الضلالة حليفا لآل حفصون الفسقة . فلما آن والى عليه درى بعسكرى خرج هاربا أمامه ، فدوخ درى ناحيته ،وظفر فى وجهه هذا (بهابل) أحد قواد ابن حفصون، وسبعة من اصحابه النصارى الذين أتوا ممدين لابن الزيات،فأسرهم درى وأوثقهم بالحديد،وقدم بهم قرطبة ،فصلبوا فى المرج بالشط أسفل باب القصر (٣) .

تطور خطة الشرطة :

وتطورت خطة الشرطة تطورا كبيرا فى عصر الحكم المستنصر ،فأصبح صاحب الشرطة قائدا للبحرية ،فقد كان عبد الرحمن بن رماحس هو صاحب الشرطة العليا وقائد البحر (٤) .

وكان صاحب الشرطة العليا يتولى قيادة الصوائف أحيانا ،ففى سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م ،قاد صاحب الشرطة العليا صائفة هذه السنة لتتبع اخبار المجوس الأردمانيين (٥).

وفى النصف من شعبان سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م ،أنفذ الخليفة الحكم المستنصر صاحب الشرطة الوسطى والمواريث ،محمد بن عبد الله بن ابى عامر

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٨١ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٦٩ – ١٧٠ .
(٣) ابن حيان ،المقتبس ،جـ ٥ ،ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ، ابن عذارى ،البيان ،٢ / ١٩٤.
(٤) ابن حيان ،المصدر السابق ،تحقيق الحجى ،٨٠ ، ٨١ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٩٢ – ٩٣ ، وانظر ابن عذارى ،البيان ،٢ / ٢٤١ .

وصاحب الشرطة الصغرى قائد الثغر الاعلى محمد بن عبد الله بن أبي الحسين ،والخازن أحمد بن محمد الكلبي ،الى مدينة آصيلا بالعدوة ،أمناء وممتحنين على القواد بها وآومز اليهم بأشياء يفضونها فمضوا لسبيلهم (١).

وقام صاحب الشرطة العليا الناظر فى الحشم قاسم بن محمد بن طملس فى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م ،بالخروج فى كتيبة من الخيل الى مدينة اشبيلية للقبض على قوم من مجرمى أهلها ،الذين فتقوا السجن بها ،وعصوا السلطان وكان السلطان قد أمر عامله عليها بضمهم إلى السجن لكثرة تخليطهم والخوف منهم ،فلما أعيا الخليفة أمرهم أرسل اليهم صاحب الشرطة العليا لتتبعهم والقبض عليهم ،وقد تم له ذلك إذ قبض عليهم جميعا ،وأفلت واحد منهم من القبض وأحضرهم الى قرطبة فسجنوا بالزهراء (٢).

وكان هناك عدد من أصحاب الشرطة فى عصر الخليفة الحكم ،وكان يبعث بهم إلى أهل الكور لاستنفار الناس للجهاد ،ففى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م: أخرج الحكم عدة من أصحاب الشرطة وكبار رجال المملكة الى كور الاندلس محركين لاهلها فى ارتباط الخيل المبتعثة للنهوض مع جيش الصائفة الآزف تجريدها فى هذه السنه على العادة ،منذ انتكاث اكثر طواغيت الجلالقة فى هذا الوقت وجيشانهم على أهل الثغرر الشرقية ،فجرد الحكم أحد اصحاب الشرطة العليا وبعث به الى كور الجوف ،وبعث بصاحب الشرطة العليا الآخر وقائد البحر إلى كور الشرق ،وكذلك بعث بأحد أصحاب الشرطة العليا إلى شنترين وذواتها ،كما بعث بصاحب الشرطة الوسطى إلى بقية كور الجوف و الغرب فى نفر سواهم (٣).

وكان يعهد إلى صاحب الشرطة العليا بالقبض على كبار رجالات الدولة الذين توجه اليهم بعض التهم ،مثلما عهد الخليفة المستنصر الى أحمد

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢١٦ .

أصحاب شرطته العليا ألقبض على ابن خال أبيه الخليفة الناصر لدين الله لامر انكره عليه ،فقعد صاحب الشرطة العليا داره ،وبين يديه عرفاء المحارس وعدة من الفرسان والفرانقين والشرط ،فقبض عليه وقيده وأرسله الى باب السدة بقصر الزهراء ،وسجن ببيت العمال على باب الجنان ،ولم يزل محبوسا الى أن عفى عنه الخليفة (١) . ويفهم من ذلك أن صاحب الشرطة العليا كان تحت تصرفه عدد من الاعوان مثل عرفاء المحارس ،والفرانقين والفرسان والشرط .

لقد توسعت اختصاصات صاحب الشرطة فى عصر الحكم المستنصر بدرجة كبيرة ،فلم يعد اختصاصه ينحصر فى مجال الامن الداخلى فقط ،وانما أسندت اليه مهام كبرى فى داخل الدولة وخارجها مثل قيادة الصوائف ، وملاحقة أعداء الدولة المتربصين بها من النصارى وغيرهم ،ومتابعة أوضاع الولايات التابعة للخلافة بالمغرب ،واستنفار الناس للجهاد ،والضرب على أيدى المجرمين العابثين بأمن الدولة فى داخل البلاد فى مناطق الاندلس المختلفة .

وفى عصر المستنصر أيضا ،كان صاحب الشرطة ينظر فى قضايا الزندقة والالحاد ويحكم فيها بنفسه مثلما حدث فى قضية الملحد أبى الخير ،فقد شهد عند قاسم بن محمد صاحب (٢) أحكام الشرطة بقرطبة ،أربعة وأربعون شاهدا ،بأنواع من الكفر وصنوف من الالحاد والفواحش على عين أبى الخير وبمحضره ،وعرفوه حتى شهدوا عليه بما ذكر عنهم من شهاداتهم فقبل قاسم بن محمد صاحب الشرطة شهادة ثمانية عشر شاهدا من هؤلاء الشهود ،وأجازها لمعرفته بهم ،وثبتت بهم عنده ماشهدوا به ،وشاور من حضره من الفقهاء

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ١٥٣ .

(٢) قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار . كان معتنيا بحفظ رأى مالك وأصحابه ،بصيرا بعقد الشروط ناقدا فيها تصرف فى القضاء بكورة أستجه ولبره ثم ولاه الحكم المستنصر الشرطة وقضاء كورة اشبيلية وكان محمودا فيما تولاه . ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١٠٧١ ، ٢ / ٦١٥ - ٦١٦ .

فى هذه القضية ،فأجاب بعضهم بأنه ملحد كافر يجب قتله من غير ان يعذر اليه بعد أن ينهى بذلك الى الخليفه الحكم ،وأشار بعض أهل العلم بأن يعذر اليه في ذلك ،فأخذ صاحب الشرطة قاسم بن محمد برأى من قال بقتله دون اعذار ،وكتب بذلك الى الحكم المستنصر الذى اقره فيما ذهب اليه فأمضى ذلك فيه وأمر بصلبه غضبا لله ولكتابه ولرسوله (١) .

هذه واحدة من القضايا التى كان صاحب الشرطة فى الاندلس ينظر فيها وهى قضية الحاد أبي الخير الذى شهد عليه عدد كبير من الشهود بذلك اضافة الى الزندقة ،ويبدو أن هذا الامر تكرر منه بصورة ملحوظة وتأذى منه الناس ،ولذلك رأى صاحب الشرطة بعد أن استشار أهل العلم بأن يقتل دون اعذار ،ووافقه الخليفة فيما ذهب اليه ،فقتل أبو الخير وصلب ليكون عظة لغيره من الناس .

ومماسبق عرضه من خطة الشرطة يتضح لنا أنها كانت خطة مستقلة بذاتها من خطة المدينة،وليست خطة الشرطة هى المدينة كما ذكر ابن سعيد.وليست هناك خطوطا أو فواصل واضحة نستطيع ان نميز بينهما ،ولكن على كل حال فان صاحب المدينة هو الذي يرأس صاحب الشرطة .

صاحب المدينة :

صاحب المدينة هو حاكمها (٢) . وكان بمثابة الحاكم والمشرف على الامن العام فيها ،وكان اصحاب الشرطة الثلاث : العليا والوسطى والصغرى يأتمرون بأمره ،ويخضعون له وان لم يكن هناك حتى الان تمييز واضح بين اختصاصات صاحب المدينة وأصحاب الشرط المذكورة (٣) .

(١) الونشريسى ،أحمد بن يحى المتوفى سنة ٩١٤هـ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والاندلس والمغرب ،أشرف على نشره د. محمد حجى ،دار الغرب الاسلامى ،بيروت ،١٤٠١هـ ،ج ٢ ،ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) ابن الأبار ،الحلة السيراء ،ص ٢٢٣ ،هامش ٢ .

(٣) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د. محمود على مكى ،ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ،حاشية ١٢٦ .

واشترط ابن عبدون فيمن يتولى المدينة أن يكون رجلا عفيفا ،فقيها شيخا ،لانه فى موضع الرشوة وأخذ أموال الناس ،وربما فجر ان كان شابا شريبا • ويجب للقاضى أن يستحلفه فى بعض الايام ،ويطلع على حكمه وسيرته ويجب ان لاينفذ أمرا من الامور الكبار الا بعد آن يعرف القاضى والسلطان بذلك (١) •

ونلاحظ التشابه الواضح فى الشروط التى اشترطها ابن عبدون لكل من صاحب الشرطة وصاحب المدينة •

وخطة المدينة من الخطط التى ظهرت فى عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط ،ربما كان عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى من أول من عهد اليهم بمنصب صاحب المدينة ،فكثير من الخطط بدأت فى الظهور والتبلور فى عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢) • وقد تحدث ابن حيان عن علاقة عبد الواحد الاسكندرانى بالامير عبد الرحمن فقال " ••• ثم استخدمه ونقله من منازل الخدمة حتى خوله المدينة ،ثم رقاه الى الوزارة والقيادة " (٣) •
والامير عبد الرحمن الاوسط هو الذى ميز ولاية السوق عن ولاية المدينة وجعل لوالى المدينة مائة دينار فى الشهر (٤) •

وفى عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ – ٢٧٣ هـ ،ولى المدينة الوزير أمية بن عيسى ،ثم الوليد بن غانم ،وكان الأمير محمد يديل بينهما فى ولاية المدينة لمعرفته بفضلهما، إذ كانا لاينفذان فى أحكام المدينة ، والأمور العظام فيها، إلا بما وافق الحق (٥) • " فكانت الرعية لهما على

---

(١) رسالة فى آداب القضاء والحسبة ،ص ١٦ •
(٢) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د• محمود على مكى ،ص ٢٧٥ – ٢٧٦ •
(٣) المصدر نفسه ،ط بيروت ،ص ٣١ •
(٤) ابن سعيد ،المغرب، ١ / ١٤٦ •
(٥) ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس ،ص ٩٨ ، ابن حيان ، المقتبس ص ١٧١ – ١٧٢ •

غايـــة التجلة والرهبة ،وأمور السلطان فيما يليانه تجرى على طريـــق السداد والاستقامة " (١) .

وقد ذكر للوزير أمية بن عيسى صاحب المدينة أن الوزير هاشم ابـن عبد العزيز طالب رجلا فى دار تجاوره فامتنع عليه فحبسه فى داره ،فمـا كان من أمية بن عيسى والى المدينة الا أن دخل بيت الوزارة وقال لاصحابه " بلغنى أن بعضهم منعه جار له داره فحبسه عند نفسه ،وبالله لئن صـح هذا عندى لاركبن الى الدار ولاغيرن على من فيها ولاهدمنها ،فأرعد هاشـم فى فراشه ،ودعا بوصيفه وقال له : انطع الى الدار وأطلق المحبوس " (٢) .

ونستنتج من ذلك ان صاحب المدينة كانت درجته تعدل درجة وزيـــر ، كما أن لصاحب المدينة السلطة فى حسم القضايا التى تتعلق بالـــدور باعتباره حاكم المدينة ،وكان أمية بن عيسى يتمتع بنفوذ كبير وشخصيـة قوية جعلته يهدد الوزير المتنفذ هاشم بن عبد العزيز الذى حاول ارغام أحد جيرانه على ترك داره له ،ولكنه امتنع عن ذلك فحبسه ،ثم اضطر الـى اطلاقه تحت تهديد الوزير صاحب المدينة أمية بن عيسى .

وكان من مهام صاحب المدينة تحصيل العشور من الناس فى وقت الحصاد يتضح ذلك مماجرى للفقيه الاعرج بن مطروح صاحب الصلاة وأمية بن عيســـى صاحب المدينة اذ كانت بينهما جفوة ،وكان أمية بن عيسى اذا مر علـــى الفقيه ابن مطروح وسلم عليه جاوبه بما يكره . فأمر أميه بن عيسى اهل احدى القرى بالتعدى على ضيعة ابن مطروح وقت الحصاد ثم يهبطون الـــى قرطبة ويدعون عليه العشور ففعلوا ذلك وأتوا به الى صاحب المدينة اميه بن عيسى ودار بينهما حديث فهم منه ابن مطروح خطأه ،واعتذر لصاحـــب المدينة ــ الذى فعل هذا تأديبا له ــ ورد اليه ما أخذ منه (٣) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. مكى ،ص ١٧١ .
(٢) ابن القوطية ،تاريخ ،ص ٩٨ ، ابن حيان ، المصدر السابق ،ص ١٧١ ــ ١٧٢
(٣) ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الاندلس ،ص ١٠٦ ــ ١٠٧ .

أما صاحب المدينة، الوليد بن غانم، فقد وافقت مجاعة سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣م، ولايته للمدينه، فاستدعاه الأمير محمد مع جملة الوزراء وأصحاب المشورة، واستشاره فى فرض العشور على الغلات، وتحريك الرعية بذلك، فأجمع الكل على أن يأخذ الامير الناس بذلك، يؤدونه من مدخور أطعمتهم ولكن الوليد بن غانم تصدى للأمير محمد وقال له : إنما العشور على الغلات اذا وهبها الله، وجب أداء فرضه فيها، واذا اجتثت أصولها، فلازكاة على من حرمها، وهذا العام لم تأت الزروع بشىء، فالرأى أن يعذر الناس فى ذلك، ولكن الأمير أمر عليه بأن لايترك الناس دون أخذها من مدخراتهم. فطلب ابن غانم بأن يعفى من ولاية المدينة فأعفى، وتقدم حدون بن بسيل الى الأمير محمد، يطلب منه أن يولى على المدينة، ويلتزم بأن يأخذ الناس على ما أراده الأمير، فولاه المدينة، وتولى ابن بسيل حفز الناس على دفع العشور، فما حصل على ايراد الربع منه، حتى ضرب الناس، وأهلك كثيرا من النفوس، فضج عليه الناس بالدعاء فى كل جمعة، فأماته الله بغتة، وأضحى حديثه فى الناس مثلا. ودعا الأمير محمد الوليد بن غانم، وأراد ارجاعه مرة أخرى الى ولاية المدينة، ليصلح ما أفسده ابن بسيل، ولكنه اعتذر أن يكون مكانه.(١)

وكان على والى المدينة أن ينفذ القتل فى بعض الفسقة والزنادقة، كما هو الحال فى صاحب الشرطة، الذى نفذ القتل فى أبى الخير الزنديق. ومن ذلك أن ابن أخى عجب، احدى جوارى الأمير الحكم المحظيات منده، قد تكلم بعبث من القول فى يوم غيم شهد به عليه، فأمر الامير عبد الرحمن بحبسه، فألحت عجب على الأمير عبد الرحمن لكى يطلقه، ولكنه امتنع، وقال لها : لابد من أن نكشف رأى أهل العلم فيه، فأمر صاحب المدينة باحضار الفقهاء، وشاورهم الأمير عبد الرحمن، فتوقفوا عن سفك دمه، وأفتى بعضهم بقتله، ومنهم ابن حبيب وأصبغ، فأمر الأمير بتنفيذ فتواهم، وأمر صاحب المدينة أن يخرج مع الشيخين ابن حبيب وأصبغ، ومعهم أربعين غلاما

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص ١٠٠، ابن حيان، المقتبس ط بيروت، ص ١٧٢ — ١٧٣.

لينفذوا فى الفاسق ما رأياه . فخرج عبد الملك وهو يقول : سب ربنا عبدناه . ان لم ننتصر له إنا لعبيد سوء . فنفذ فيه الحكم .(١)

وهذا الحكم مشابه تماما لقضية ابى الخير ،الذى اتهم بالزندقة والالحاد فى عصر الخليفة الحكم المستنصر ،وقد تولى تنفيذ الحكم فيه صاحب الشرطة ،وهنا يتولى صاحب المدينة تنفيذ الحكم فى قضية مشابهه مما يدل على التداخل والتشابه الشديد بين خطتي الشرطة والمدينة .

وتكررت الشكوى على الامير عبد الرحمن بولاة المدينة واحدا بعد آخر ،فأقسم ان لايوليها لرجل من اهل قرطبة ،وبحث عمن يستحق هذا من أهل الكور ،فأشير عليه بمحمد بن السلم ،ووصف بالحج وحسن العقل والتواضع فبعث اليه وولاه المدينة . فلما ركب أول يوم ولاه فيه المدينة الى القصر ،قيل له : قتيل بالقصابين فى " شيرة " - سلة كبيرة - فأمر باحضار القتيل ، ووضعه على الرصيف لعل احدا يمر به ممن يعرفه ثم امر بتقديم السله اليه فاذا بها " سلة " جديدة ،فأمر باحضار الحصارين ،وسألهم هل يعرفون عمل بعضهم البعض فأجابوا بنعم ،فلما قدمت اليهم " السله " قالوا هذه من عمل فلان ،وهو واقف بين الجماعة ، فأمر بتقديمه ،فقدم اليه ،وقال نعم هذه " الشيرة " اشتراها منى بالامس فتى عليه هيئة خدمة السلطان ، ووصفه كذا .فقال الشرط والمشترون هذه هيئة فلان الاخرس ،فأمر بالبحث منه ،وعثر عليه ، ووجدت ثياب القتيل عنده .فلما بلغ الخبر عبد الرحمن أمر بتوليته الوزارة مع المدينة ،فلما دخل بيت الوزارة صاروا كلهم تبعا له فى الرأى .(٢)

كان على والى المدينة أن يكون على درجة من الذكاء والفطنة ، والدقة فى التحري والتثبت فى القضايا ،وقد تمثلت هذه الصفات جميعها

---

(١) القاضي عياض ،ترتيب المدارك ،٣ / ٣٩ - ٤٠ ، النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) ابن القوطية ،مصدر سابق ،ص ٨٤ - ٨٥ .

فى والى المدينة الجديد محمد بن السلم ، وكان ذلك أول اختبار له فى ولايته ،ودقق كثيرا فى تحرياته حتى وصل إلى الجانى بيسر وسهولة .

وفى عصر الأمير عبد الله،ولى له المدينة،محمد بن وليد بن غانم، مع الوزارة ،ووليها كذلك أصبغ بن عيسى بن فطيس،مع الوزارة ،كما وليها النضر بن سلمة (١) .

ولما ولى الأمير عبد الرحمن بن محمد الأمارة،ولى يوم مبايعته موسى بن محمد بن حدير الوزارة،إلى ماكان اليه من خطة المدينة (٢) .

وكان الناصر لدين الله،يستخلف صاحب المدينة فى قصره، عند خروجه للغزو ،ويترك معه أحد أبنائه لتولى مهمة إدارة الدولة فى غيبته (٣) .

وولى خطة المدينة للناصر،عدد كبير من الشخصيات على فترات متقاربة، فقد كان الناصر دائم الاستبدال لولاته (٤) .

وفى عصر الحكم المستنصر أصبح هناك صاحب للمدينة بقرطبة ،وصاحب للمدينة بالزهراء،وذلك بعد انتقال الادارة الحكومية إلى الزهراء،وكثيرا ماتقابلنا عبارة صاحب المدينة بقرطبة،وصاحب المدينة بالزهراء . ففى سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م أمر الخليفة الحكم الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان ،بأن يتقدم الى أمناء العطب والنزائل بالوقوف يوما من كل جمعة يعينونه لايتعدونه ،بدور أولاد اخوته الأموات لتعرف أحوال أبنائهم وأهليهم،ومعرفة أخبارهم،ورفعها إليه،ليقابل ذلك بما يستحقونه (٥) .

---

(١) ابن عذارى ،البيان المغرب ، ٢ / ١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٥٨ .   (٣) المصدر نفسه ، ٢/١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢/١٦٦،١٩٣، ١٩٩، ٢٠٥ ،ابن حيان ،ج ٥ ،ص ٣١٤ ، ومن هؤلاء الولاة محمد بن عبد الله الخروبى ،عيسى بن أحمد بن ابى عبدة ، أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ،يحى بن يونس القبرسى ،عبد الحميد بن بسيل ،جهور بن عبيد الله .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٩٢ .

وكان صاحب المدينة بالزهراء هو محمد بن أفلح ،وقد عهد إليه الخليفة الحكم المستنصر بتأديب أحمد بن هاشم ،وابن مقيم،وابن العاصى، الذين نسبوا عنده إلى الغمص فى السيرة ،والتخطى بفضول القول ،فأحضرهم الى مجلسه بكرسى الشرطة بمدينة الزهراء ،فأقامهم بين يديه مقام خزاية وقرعهم ووبخهم على مابدر منهم ،وألزم ابن هاشم بعدم تخطى منزله ،ورمى الاخرين فى سجن الزهراء (١) .

ونفهم من ذلك أنه كان لصاحب المدينة مجلس ينظر فيه بادارة الشرطة .

ولما نالت دريا الكبير الصقلبى المعروف بالخازن موجدة من الخليفة الحكم المستنصر ،لتقصير معه فى خدمته ،أقصاه وأهانه ،وولى اذلاله صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح ،الذى أحضره الى مجلسه بكرسى الشرطة عند باب السدة بالزهراء ،وأوقفه بين يديه الى جانب الكرسى ، فوبخه وفنده وأوعده ،دون أن يغلظ له وهو ساكت كاظم ،فلما أنهى كلامه تولى عنه داخلا الى موضع سكناه بالقصر ،فصدر اليه الامر بعد ذلك بالانتقال من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة والتخلى عن الخدمة ،ونفذ العهد باسقاط رزقه الخلافى عنه وقصره على عشرة دنانير كل شهر تجرى عليه (٢) .

وعهد الخليفة الحكم إلى صاحب المدينة بالزهراء،محمد بن أفلح بالايقاع بعصبة من أهل قرطبة المستخفين بالطاعة ، العائلين بذرب الالسنة رموا بالاستخفاف ،والغمص للخليفة ، والرتوع فى أعراض الناس ،ونشر مثالبهم فى أشعار يجتمعون على صوغها،ويتبارون فيها ،فرأى الخليفة رفع أذاهم ،وقطع مضرتهم،بنفيهم من الأرض وإيداعهم السجن - فقام صاحب

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٠٣ .

المدينة بتنفيذ ما أمر به الخليفه ،وأودع السجن من عثر عليه منهم[1] •

تلك هي بعض المهام التي كان يقوم بها صاحب المدينة خلال هذه الفترة • ونلاحظ مدى التشابه بين مهامه،ومهام صاحب الشرطة ،ولانكاد نميز بينهما تمييزا تاما • ولكن من خلال ماذكرناه يبدو أن صاحب المدينة يتمتع بصلاحيات أوسع مما كان يتمتع به صاحب الشرطة، الذى كان يخضع له من الناحية الادارية • ويمكن أن نشبه صاحب المدينة "بمحافظى المدن فى عصرنا الحاضر •

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق الحجى ،ص ٧٣ — ٧٤ •

خطة المقابلة (*) .

خطة المقابلة من الخطط العامة التى انشاها الامويون فى الاندلس ، وقد نشات فى عصر الخلافة ، والذى انشاها هو الخليفة الحكم المستنصر .

فقد عنى الخليفة الحكم عناية كبيرة بالكتب والمكتبات وقد استفاض القول فى انه انشا مكتبة كبرى بالاندلس ، لم تكن مثلها لاحد قبله .

يقول المقرى : ان الخليفة الحكم المستنصر "اقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليها بضائعه من كل قطر . ووفد على ابيه ابو على القالى صاحب كتاب "الامالى" من بغداد فاكرم مثواه ، وحسنت منزلته عنده ، واورث اهل الاندلس علمه ، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه ، وكان يبعث فى الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ، ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه ... وجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والاجادة فى التجليد ، فاوعى من ذلك كله" (١) .

هذا الاهتمام الكبير بالعلم والعلماء ، والكتب والمكتبات ، دفع الخليفة الحكم الى انشاء خطة خاصة ، عرفت بخطة المقابلة ، وذلك للعناية بهذه الكتب .

(*) المقابلة فى المشرق : مجلس من مجالس الجيش وتهتم بتصفح السجلات التى تضم أسماء الجند وارزاقهم ومتطلباتهم .
انظر قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدى ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م ، ص ٢٣ .

(١) نفح الطيب ، ٣٨٦/١ .

ومنهم محمد بن أبي الحسين الذي كان عالما باللغة والأدب ، وقد أمره الخليفة الحكم المستنصر بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبي على القالي ، وابنه سيد في دار الملك التي بقصر قرطبة . ويروى عن ابن أبي الحسين قوله في ذلك : "وأحضر (الحكم) من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد ، فمر لنا صور من الكتاب بالمقابلة ، فدخل علينا الحكم في بعض الأيام ، فسألنا عن النسخ ، قلنا نحن : أما نسخة القاضي التي كتبها بخطه فهي أشد النسخ تصحيفا ، وخطأ وتبديلا ، فسألنا عما نذكره من ذلك ، فأنشدناه أبياتا مكسورة ، وأسمعناه ألفاظا مصحفة ، ولغات مبدلة ، فعجب من ذلك ، وسأل أبا علي فقال له نحو ذلك ..." (١) .

ويظهر من سيرة هؤلاء العلماء الذين تولوا هذه الخطة أن متوليها لابد أن يكون من علماء اللغة العربية ، المتطلعين فيها ، حتى يتسنى لهم القيام بأداء هذه الوظيفة خير قيام .

وقد ارتبطت خطة المقابلة بالخليفة الحكم ارتباطا وثيقا نظرا لاهتماماته العلمية ، ولذلك أستطيع القول أن هذه الخطة على الرغم من أهميتها إلا أنها كانت من الخطط الطارئة .

---

(١) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ترجمة رقم ٣٩ ، ص ٥١-٥٢ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ٩٤ ، ص ٧١ .

نظام التعليم :

اهتمت الحكومة الاموية فى الاندلس بالعلم ، والعلماء ، وطلاب العلم ، وشجعت على التعليم ، وذلك انطلاقا من حث القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة على العلم والتعلم . قال تعالى : {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات} (١) . وقال جل شانه : {هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون} (٢) . وقال عز وجل : {انما يخشى الله من عباده العلماء} (٣) .

وقال رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (٤) .

وقد رعى أمراء وخلفاء بنى أمية فى الاندلس العلم والعلماء رعاية كاملة ، ولدينا شواهد كثيرة تدل على هذا الامر . فقد ضمت الاندلس منذ وقت مبكر ، عددا من العلماء الذين رحلوا الى الاندلس ، او نشاوا فيها ، ووجدوا كل رعاية واهتمام من قبل الحكام الامويين ، كما كان لهم دور مشهود فى ازدهار العلم وتقدمه .

ومن هؤلاء العلماء ، ابو موسى الهوارى ، عالم الاندلس الذى رحل من المشرق ، واستقر بالاندلس فى عصر الامير عبد الرحمن بن معاوية ، وكان قد جمع علم العرب الى علم الدين وكان ابو موسى الهوارى اذا دخل قرطبة من قريته "موررر" التى كان فيها سكناه لم يفت احد من مشايخ قرطبة حتى يرحل عنهم (٥) .

(١) سورة المجادلة ، الآية ١١ .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٩ .
(٣) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .
(٤) ابن ماجه ، المقدمة ، ص ١٧ .
(٥) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٥٦ ، الزبيدى طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

وكـان الأمير هشام بن عبد الرحمن ، من الامراء الامويين الذين لقى العلماء والفقهاء في ظل امارته ، عناية كبيرة ، ودعمـا وتشجيعا . وقد ذكرت من قبل ان الامير هشام كان يقرب العلمـاء والفقهـاء ، وان المـذهب المـالكي قد دخل الاندلس وانتشر في عهده (١) .

كمـا اتخـذت السياسة الاموية في عهده اجراء يشهد ببعد نظرهـا ، اذ جـعلت العربيـة لغة التدريس في معاهد النصارى واليهـود . وكـان لـذلك الاجراء على الرغم من بساطته ، اثر

في تفهم النصارى واليهود للدين الاسلامي لأنهم أجادوا اللغة العربية ،

وكـان مـن اثـره ايضا ان كثر اعتناق النصارى للاسلام بعد ان وقفوا على اصوله وتفاصيله ، وقربت مسافة الخلف بينهم وبين المسلمين ، ولـم يكـن ذلـك بعيـدا فـي الواقع عن السياسة الاموية (٢) .

أمـا الامـير الحـكم بـن هشام ، فقد كان "يؤثر الفقيه زيـاد بـن عبد الرحمن ، وحضر يوما عنده ، وقد غضب فيه على خـادم لـه لايصاله اليه كتابا كره وصوله ، فامر بقطع يده ، فقـال له زياد : اصلح الله الامير ، فان مالك بن انس حدثني فـي خـبر رفعـه ان "من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملاه الله تعـالى امنـا وايمانـا يـوم القيامـة" ، فـامر أن يمسك عن الخـادم ويعفـي عنـه ، فسكن غضبه ، وقال : آلله ان مالكا حدثك بهذا ؟ فقال زياد : آللـه ان مالكا حدثني بهذا" (٣) .

وهـذا يدلنا على مدى الاحترام والتقدير الذي كان يكنه الامـير الحكم لهذا الفقيه ، وعلى مكانة الامام مالك بن انس

---

(١) انظر المبحث الثالث من الفصل الاول .
(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ٢٩٩/١ .
(٣) المقرى ، نفح الطيب ، ٣٤١-٣٤٠/١ .

ـرحمه اللـه ـ في نفوس الاندلسيين ، فقد توقف الامير عن تنفيذ الحكم على خادمه عند سماعه لحديث مالك بن انس .

وعنـي الحـكم بتربيـة ابنه عبد الرحمن عناية كبيرة ، ويحدثنـا ابـن سـعيد عـن ذلـك فيقـول : "عنى أبوه بتعليمه وتخريجـه فـي العلـوم الحديثة والقديمة ووجه عباس بن ناصح (*) الـى العـراق ، فاتاه بالسند هند (**) وغيره منها ، وهو اول من ادخلهـا الاندلس ، وعرف اهلها بها ونظر هو فيها .. وكان من اهـل التـلاوة للقرآن والاستظهار للحديث .. يداخل كل ذي علم في فنه " (1).

وقـد "التـزم اكـرام اهـل العلم واهل الادب والشعر في دولته ، واسعافهم في مطالبهم كلها " (2).

امـا الأمـير محمد بن عبد الرحمن فقد كان "مكرما لأعلام الناس ، مقدما على طبقاتهم لذوى الفقه والعلم منهم ، يرفع مجالسـهم ، ويـزلف وسـائلهم ، ويسعف رعايتهم ، ويستشعر مع ذلـك الحـذر مع تحاسدهم ، والتوقف على السماع من بعضهم في بعض" (3).

وقـد سـعى اليـه الفقهـاء ، بالعـالمين بقـي بن مخلد (المتـوفى سنة ٢٧٦هـ) ، ومحمد بن عبد السلام الخشني (ت سنة ٢٨٦هــ) ، أشـد سعاية ، ورميا بالخروج عن السنة ، والركوب

(*) هـو عبـاس بن ناصح الثقفي الشاعر ، من أهل الجزيرة ، يكـنى : أبـا العـلاء . رحـل أبـوه صغيرا فنشا بمصر ، وتـردد بالحجاز طالبا للغة العرب . استقضاه الحكم بن هشام على شذونة والجزيرة .
ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم (٧٨٩).

(**) مـن اقدم الكتب التي ترجمت الى العربية من الهندية ، وقد تعلم منه العرب الحساب والاعداد الهندية المعروفة
ابن سعيد ، المغرب ، ١/٤٥ ، هامش (٣) .

(1) ابن سعيد ، المغرب ، ١/٤٥ .

(2) ابـن القوطيـة ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٧٥ ، وانظر ابن سعيد ، المغرب ، ١/٤٦ .

(3) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، طبعة بيروت ، ص ٢٤٥ .

للبدعة ، وتمالا عليهما الفقهاء بقرطبة ومن قلدهم من أهل العدالة ، واستعدوا عليهما السلطان ، فلحقهما ضر احل بهما الفاقة ، ولكن الامير محمد تثبت في أمرهما ، وامتحانهما الى ان ثبتت براءتهما .(١)

وكان للامير عبد الله بن محمد ، مجلس علمي من أعمر مجالس الامراء بالفضائل ، وانزهها من الرذائل ، واجمعها لطبقات اهل الادب والعلم .(٢)

ولما وفد ابو علي القالي ، صاحب الامالي والنوادر ، على الناصر من المشرق ، وكان من أحفظ اهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين ، أمر الناصر ابنه الحكم ، أن يتلقى أبا على أعظم تلق ، وان ينتخب عددا من وجوه أهل الكور ليكونوا ضمن مستقبليه ، ففعل الحكم ذلك تكرمة له .(٣) ويقال ان الناصر هو الذى استدعاه من بغداد .(٤)

وفي عصر الخليفة الحكم المستنصر نجد ان الرعاية للعلم والعلماء قد بلغت مدى كبيرا جدا ، وكان الخليفة نفسه عالما من العلماء ، ولذلك فقد اهتم اهتماما بالغا بالعلم والعلماء ، وتهيئة التعليم المجاني للمحتاجين . يقول ابن عذارى : "ومن مستحسنات افعاله وطيبات أعماله ، اتخاذه المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع ، وبكل ربض من ارباض قرطبة ، واجرى عليهم المرتبات ، وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ، ابتغاء

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٤٧ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشره ملشور ، ص ٣٤ .
(٣) المقرى ، نفح الطيب ، ١/٧٠،٧٢ .
(٤) المقرى ، نفح الطيب ، ١/٧٥ .

وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة ، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة " (١).

كما أنه حبس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين ، الذين كان قد اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة ، واشهد القاضي محمد بن اسحاق في هذا التحبيس ، فعظمت به المنفعة ، وجلت المنقبة ، وورث الله به القرآن امة لم يكن آباؤهم يعرفونهم لوراثته (٢).

ونتيجة لهذه الرعاية الكريمة من قبل الحكام الامويين في الاندلس ، للعلم والعلماء ، فقد ازدهرت العلوم بشتى أنواعها المختلفة ، ووجد العلماء تربة خصبة ، انتجوا فيها انتاجا غزيرا ، وقد كثرت في هذه الاونة الرحلة في طلب العلم الى المشرق (٣) ، وافاد الاندلسيون أيما افادة من هذه الرحلات التى انعكست على مؤلفاتهم . ومن العلوم التى ازدهرت خلال هذه الفترة :

(١) علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه :

لقد ازدهرت العلوم الدينية فى الاندلس ازدهارا كبيرا خلال هذه الفترة ، ونشط الاندلسيون فى تلقى هذه العلوم وتعلمها وتعليمها .

ففي مجال القراءات :

نجد ان الغازي بن قيس ، الذى كان ملتزما للتأديب بقرطبة ، ايام دخول عبد الرحمن بن معاوية ، قد رحل الى المشرق ، وادرك نافع بن نعيم ، وقرأ عليه وهو أول من ادخل

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٢٤٠ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٢٠٧ .
(٣) انظر المقرى ، نفح الطيب ، ٢/٥ ومابعدها .

قراءته الى الاندلس [1]. وكذلك كان ابنه عبد الله بن الغازى ، يعلم القرآن على رواية نافع بن نعيم [2].

ومن القراء المؤدبين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، الذى كانت له رحلة ، وقرأ القرآن على عثمان بن سعيد المعروف بورش صاحب نافع وقد استأدبه الأمير الحكم بن هشام لبنيه [3].

ومن القراء الذين برزوافى هذا المجال ، المقرىء احمد ابن محمد بن عبد الله المعافرى الطلمنكى ، وكانت له رحلة الى المشرق ، وانصرف الى الاندلس بعلم كثير ، وكان احد الائمة فى علم القرآن العظيم ، قراءته واعرابه ، وناسخه ومنسوخه ، ومعانيه [4].

وكان ابو موسى الهوارى من اوائل العلماء الاندلسيين ، الذين الفوا فى علم القراءات وله كتاب فى ذلك [5].

التفسير :

كان أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد ، من أوائل علماء التفسير بالاندلس ، وقد صنف كتابا فى تفسير القرآن ، قال عنه ابن حزم : "فمن مصنفات ابى عبد الرحمن بقى بن مخلد كتابه فى تفسير القرآن ، فهو الكتاب الذى اقطع قطعا لا استثنى فيه انه لم يؤلف فى الاسلام مثله ، ولاتفسير محمد بن جرير الطبرى ، ولاغيره" [6].

---

(١) الزبيدى ، طبقات النحويين ، ص ٢٤٥ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ترجمة (١٠١٣) .
(٢) الزبيدى ، طبقات النحويين ، ص ٢٥٩ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة (٦٣٢) .
(٣) الزبيدى ، طبقات النحويين ، ص ٢٧٠ .
(٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ترجمة رقم (٩٢) .
(٥) الزبيدى ، طبقات النحويين ، ص ٢٥٤ .
(٦) الضبى ، بغية الملتمس ، رقم (٥٨٤) ، ص ٢٤٥ ، المقرى نفح الطيب ، ١٦٨/٣ .

ويبدو ان هذا المصنف كان فى غاية من الجودة والاتقان مما جعل ابن حزم يؤكد تاكيدا جازما انه لم يؤلف مثله .

ومن علماء التفسير خلال هذه الفترة ، الشيخ ابى موسى الهوارى ، وله كتاب فى تفسير القرآن ، كان ابن لبابة يرويه عن العتبى [١] .

وكان القاضى منذر بن سعيد البلوطى ، ذا علم بالقرآن وتفسيره ، له فيه كتب مفيدة منها كتاب الاحكام ، وكتاب الناسخ والمنسوخ [٢] .

الحديث :

يعتبر بقى بن مخلد من اشهر المحدثين فى الاندلس ، فقد رحل الى المشرق ، فروى عن الائمة ، وأعلام السنة ، منهم الامام أحمد بن حنبل ، وأبوبكر عبد الله بن محمد بن ابى شيبة ، وجماعات أعلام يزيدون على المائتين ، وله فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على اسماء الصحابة رضى الله عنهم فروى فيه عن ثلاثمائة والف صاحب ونيف [٣] .

ومن علماء الحديث المشهورين خلال هذه الفترة ، محمد ابن وضاح ، الذى رحل رحلتين الى المشرق ، وبلغ عدة الرجال الذين سمع عنهم فى الامصار ، مائة وخمس وسبعون . وبمحمد بن وضاح ، وبقى بن مخلد صارت الاندلس دار حديث . وكان محمد بن وضاح عالما بالحديث ، بصيرا بطرقه ، متكلما على علله [٤] .

ومن علماء الحديث أيضا ، محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشنى ، كانت له رحلة الى العراق ، والى غيرها من البلاد واقام خمسا وعشرين سنة متجولا فى طلب الحديث ، ثم رجع الى

---

(١) الزبيدى ، طبقات النحويين ، ص ٢٥٤ .
(٢) الزبيدى ، طبقات النحويين ، ص ٢٩٥ .
(٣) الضبى ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم (٥٨٤) . وانظر : ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، رقم (٢٦٩) .
(٤) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، رقم (١١٣٤) .

الاندلس وجدت وانتشر علمه .[1]

ولم يكن استقرار هذه المصنفات التي ألفت في علوم الحديث او غيرها من العلوم الاخرى في الاندلس ، بالامر الميسور ، وقد سبق أن ذكرنا ان بقى بن مخلد ، ومحمد بن عبد السلام الخشني ، قد واجها صعوبات جمة في نشر علمهما ، ووقوف بعض العلماء عقبة أمامهما ، وكان لوقوف الامير محمد الى جانبهما أثر كبير في ازدهار علم الحديث بالاندلس . فقد قال الامير محمد لبقى بعد محاربة الفقهاء له : "انشر علمك وارو ماعندك من الحديث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك" ونهاهم ان يتعرضوا له .[2]

وكان من علماء الحديث الاندلسيين ، الذين كانت لهم رحلة الى المشرق ، قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف ، وقد سمع بقرطبة من بقى بن مخلد ، وابى عبد الله الخشني ، ومحمد بن وضاح ، ثم رحل الى المشرق ، وسمع من عدد كبير من المشارقة ، وعاد الى الاندلس بعلم كثير ، وسمع منه الامير عبد الرحمن بن محمد قبل توليه ، كما سمع منه ولي العهد الحكم ، وكان قاسم بن أصبغ بصيرا بالحديث والرجال نبيلا في النحو .[3]

ومن علماء الحديث ، محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافرى ، وقد رحل الى المشرق في العام الذى توفي فيه مالك بن أنس ، وكان الغالب عليه رواية الحديث والآثار وكانت وفاته سنة ٢٢١هـ .[4]

ومنهم ايضا محمد بن ابراهيم بن حيون ، من اهل وادى الحجارة ، سمع من ابى عبد الله الخشني ، وابن وضاح ،

---

(١) الضبي ، بغية الملتمس ، رقم (٢٠٢) .
(٢) الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٥ .
(٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم (١٠٦٨)
(٤) المصدر نفسه ، رقم (١١٠٠) .

وعبد الله بن مصرة ، ومحمد بن عبد الله بن الغازى ، وجماعة من نظرائهم بالاندلس ، ورحل الى المشرق فتردد هناك خمس عشرة سنة . وكان اماما فى الحديث ، عالما به ، حافظا لعلله بصيرا بطرقه . توفى سنة ٣٠٥هـ .(١)

ومن هؤلاء المحدثين ، محمد بن عبد الله بن سعيد البلوى ، من اهل قرطبة ، وكان كثير الكتاب للحديث ، حافظا لأخبار الشيوخ ، وكان عوام الناس والمحتسبة يجتمعون اليه ويسمعون منه . توفى سنة ٣٧٠هـ .(٢)

ومن علماء الحديث أيضا ثابت بن عبد العزيز السرقسطى وابنه قاسم ، وقد رحلا الى المشرق ، ولقيا رجال الحديث ورجال اللغة ، وجمعا هنالك علما كثيرا ، والف قاسم كتابا فى شرح الحديث سماه كتاب "الدلائل" وبلغ فيه الغايتين من الاتقان والتجويد ، حتى حسد عليه وذكر الطاعنون انه من تأليف غيره من أهل المشرق ، فمات قبل اكماله فاكمله ابوه ثابت بن عبد العزيز .(٣)

الفقـــه :

ذكرت من قبل ان الاندلس كانت على مذهب الامام الاوزاعى ثم اخذت بمذهب الامام مالك بن أنس بدءا من عصر الامير هشام ابن عبد الرحمن ، وقد نبغ كثير من تلاميذ الامام مالك ، أو تلاميذ تلاميذه فى الفقه المالكى ، وكان لهم شان كبير فى الاندلس ، وقد صبغوا البيئة العلمية الاندلسية بالصبغة المالكية ، واصبح المذهب المالكى سمة بارزة يميز اهل الاندلس عن اهل المشرق .

---

(١) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، رقم (١١٦٤) .
(٢) المصدر نفسه ، رقم (١٣٢٥) .
(٣) الزبيدى ، طبقات النحويين ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

وأول هؤلاء الفقهاء المالكية الذين كان لهم دور بارز في تأصيل الفقه المالكي في الأندلس ، الفقيه عيسى بن دينار "وكان لايعد في الأندلس أفقه منه في نظرائه" (١) . وكان محمد بن وضاح يقول : "هو الذي علم أهل الأندلس الفقه" (٢) . وله كتاب "الهداية" وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم ، وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب ، فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الأقضية وكتاب النكاح والطلاق" (٣) .

وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : "فقيه الأندلس عيسى ابن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحيى" (٤) .

ومن فقهاء المالكية الأندلسيين ، الفقيه عبد الملك بن حبيب ، وكان حافظا للفقه على مذهب المدنيين ، نبيلا فيه ، وله مؤلفات في الفقه والتواريخ والآداب كثيرة حسان منها : الواضحة ، لم يؤلف مثلها ، والجوامع ، وكتاب فضل الصحابة رضي الله عنهم ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب تفسير الموطا ..." (٥) .

ومن علماء الفقه المالكي بالأندلس ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي عتبة ، "وكان حافظا للمسائل ، جامعا لها عالما بالنوازل ، وهو الذي جمع المستخرجة وأكثر فيها من الروايات المطروحة ، والمسائل الغريبة الشاذة ، وكان يأتي بالمسألة الغريبة فاذا سمعها قال ادخلوها في المستخرجة" (٦) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٧٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .
(٣) المقري ، نفح الطيب ، ١٦٩/٢ .
(٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (٩٧٣) .
(٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (٨١٤) .
(٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم (١١٠٢) .

هؤلاء بعض العلماء الاندلسيين ، الذين كان لهم دور مشهود ، في اثراء الاندلس بعلومهم ومؤلفاتهم ، في القراءات والتفسير ، والحديث ، والفقه ، وتفيض المصادر الاندلسية ، وكتب التراجم ، في ذكر اسماء عدد كبير من هؤلاء العلماء الذين يصعب حصرهم ، وقد أسهموا جميعا بجهد مقدر في تقدم الحركة العلمية بالاندلس .

علوم اللغة والنحو :

وقد نبغ في علوم اللغة والنحو عدد كبير من الاندلسيين نذكر منهم :

جودي النحوي : وهو جودي بن عثمان ، من أهل موروز ، رحل الى المشرق ، فلقى الكسائي والفراء وغيرهما ، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي ، وله تاليف في النحو ، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق . توفي سنة ١٩٨هـ (١) .

الشمر بن نمير : كان من اهل العلم بالعربية واللغة ، عاش في عصر عبد الرحمن بن الحكم ، ورحل من قرطبة بعد التاديب بها الى المشرق (٢) .

خصيب الكلبي : كان خصيب ساكنا بموروز ، وكانت المشيخة من اهل موروز يذكرون أن القرانق كان ياتي من قرطبة من الامير محمد الى خصيب يستفتي في الكلمة من اللغة ، والمسالة من العربية ، وكان له كتاب مصنف في اللغة (٣) .

ابن أرقم : هو محمد بن محمد بن ارقم ، كان من أهل العلم بالعربية واللغة والكلام في معاني الشعر ، وكان مؤدبا للامير عبد الرحمن بن محمد ، ولما امر الناصر

---

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .
(٢) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .
(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٥٩ .

بانتساخ شعر أبي تمام الطائي ، أحضره لذلك مع جماعة من الأدباء .(١)

محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر : "كان من الأئمة في اللغة والعربية ألف في النحو كتابا سماه "الواضح" واختصر كتاب "العين" اختصارا حسنا وجمع في الأبنية وفي لحن العامة وفي أخبار النحويين كتبا مشهورة ، وفي غير نوع من الأدب ، وكان شاعرا كثير الشعر" .(٢)

وكان أول من أدخل كتاب "العين" الى الأندلس ، ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم ، وكانا من أهل العلم بالعربية ، والتفنن في ضروب اللغة .(٣)

وهناك عدد كبير من علماء النحو واللغة الأندلسيين ، الذين لم نذكرهم وقد أثروا الحياة العلمية الأندلسية بنتاج فكرهم ، بل تعدى علمهم نطاق الأندلس ليخرج الى المشرق . وقد صنف محمد بن الحسن الزبيدي الآنف الذكر مصنفه في طبقات النحويين واللغويين وافرد لأهل الأندلس طبقة خاصة .

علوم التاريخ والجغرافيا :

من العلماء الاخباريين الأندلسيين ، الذي كتبوا في تاريخ الأندلس ، أحمد بن موسى الرازي ، وكان نحويا لغويا ، وكاتبا بليغا ، غزير الرواية ، حافظا للأخبار ، وله كتاب في أخبار أهل الأندلس ، وتواريخ دول الملوك فيها ، بلغ فيه الغاية من الايعاب والتقصي . كانت وفاته في رجب من سنة ٣٤٤هـ .(٤)

---

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٨٢-٢٨٣ .
(٢) الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم (٨٠) .
(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين ، ص ٢٨٤ .
(٤) الزبيدي ، طبقات النحويين ، ص ٣٠٢ .

ومن العلماء الذين جمعوا بين التاريخ والجغرافيا ، محمد بن يوسف ابو عبد الله التاريخى الوراق ، الف بالاندلس للحكم المستنصر كتابا ضخما فى "مسالك افريقية وممالكها" والف فى اخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة[(١)].

العلوم التجريبية : الطب والهندسة والرياضيات والفلك .

والى جانب العلوم الدينية ، نجد العلوم التجريبية التى تقدمت تقدما كبيرا فى الاندلس ، ونبغ كثير من الاندلسيين فى علوم الطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والفلك ونجد فى بعض الاحيان شخصا واحدا يتفوق فى أكثر من علم من هذه العلوم .

الطب : "كان يعول فى الطب بالاندلس ، على كتاب مترجم من كتب النصارى ، يقال له الابريشم . ومعناه المجموع أو الجامع ، وكان قوم من النصارى يتطببون ، ولم تكن لهم بصارة بصناعة الطب والفلسفة والهندسة فى أيام عبد الرحمن ابن الحكم"[(٢)].

ولكن سرعان ما نبغ الاندلسيون بعد ذلك فى علم الطب ، واشتهر عدد من الاطباء فى هذا العصر منهم ، الحرانى الذى قدم من المشرق فى ايام الامير محمد ، وهو الذى بنى المسجد المنسوب اليه ، وهو مسجد الحرانى ، وادخل الى الاندلس معجونا ، كان يبيع السقية منه بخمسين دينارا فكسب به مالا[(٣)].

ومن الاطباء الذين ذاع صيتهم فى آخر ايام الامير عبد الله ، واول دولة الامير عبد الرحمن الناصر ، الطبيب ابن ملوكة النصرانى ، وكان يصنع بيده ، ويفصد العروق ، وكان

---

(١) الضبي ، بغية الملتمس ، رقم (٣٠٤) .
(٢) ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٩٢ .
(٣) ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٩٤ .

على باب داره ثلاثون كرسيا لقعود الناس .(١)

ومن الاطباء فى عصر الامير عبد الله اسحاق الطبيب ، وكان صانعا بيده مجربا ، تحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحنك فاق به جميع اهل دهره ، فلما تولى الناصر لدين الله وتتابعت الخيرات فى ايامه ، ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، تقدم الطب تقدما كبيرا ، وظهر مشاهير الاطباء فى عصره .(٢)

وخدم ابو بكر سليمان بن باج ، الناصر لدين الله بالطب ، وكان طبيبا نبيلا . وعالج الناصر لدين الله من رمد عرض له من يومه بشيافة (مرهم) ، وعالج ضيفا صاحب البرد من ضيق النفس ، بلعوق من يومه ، بعد أن اعيى علاجه ، وكان يعالج وجع الخاصرة بحب من حينه ، وكان ضنينا بتركيب الادوية .(٣)

ومن اطباء الناصر لدين الله ، ابو حفص عمر بن بريق ، وكان طبيبا نبيلا ، قارئا للقرآن ، حسن الصوت ، رحل الى القيروان ، ولزم الطبيب ابى جعفر بن الجزار لمدة ستة أشهر وادخل معه الى الاندلس كتاب "زاد المسافر ، وهو كتاب فى الطب .(٤)

وفى أواخر عصر الخليفة الناصر ، ظهر الطبيب أبو الوليد محمد بن حسين المعروف بالكتانى ، وادرك صدرا من دولة المستنصر ، وكان رجلا بهيا سريا ، حلو اللسان محبوبا من العامة والخاصة ، لسخائه بعلمه ومواساته بنفسه ، ولم يكن رجلا يرغب فى المال ولافى جمعه ، وكان لطيفا فى علاج

---

(١) ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٩٧ .
(٢) ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٩٧-٩٨ .
(٣) ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ١٠٢ .
(٤) ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص ١٠٧ .

المرضى ، حسن الولوج ، عالما نحريرا[1] .

وقد انشا الخليفة الحكم المستنصر خزانة للطب بقصر الزهراء لم يكن قط مثلها ، وتولى انشاءها له طبيبه أحمد ابن يونس الحراني ، ورتب لها اثني عشر صبيا من الصقالبة لطباخة الاشربة ، وصناعة المعجون ، واستاذن الحراني الخليفة الحكم أن يعطى منها من احتاج من المساكين والمرضى فاباح له ذلك[2] .

الرياضيات والفلك والهندسة :

يعتبر مسلمة بن احمد المجريطي ، الذي عاش في عصر الخليفة الحكم ، امام الرياضيين بالاندلس في وقته ، كما كان عالما بعلم الافلاك ، وحركات النجوم ، وكانت له عناية بارصاد الكواكب ، وشغف بحفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي . وله كتاب حسن في تمام علم العدد ، وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني ، وعني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي ، وصرف تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي كانت وفاته سنة ٣٩٨هـ[3] .

ومن العلماء الاندلسيين ، الذين نبغوا في الطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والفلك ، خلال هذه الفترة ، ابو القاسم أصبغ بن محمد بن سمح المهندس الغرناطي ، وكان في عصر الحكم . قال القاضي صاعد الطليطلي : "ان ابن السمح

---

(١) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص ١٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢-١١٣ .
(٣) ابن ابي اصيبعة : موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم السعدي (ت ٦٦٨هـ) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥م ، ص ٤٨٢-٤٨٣ .

كان محققا لعلم العدد والهندسة متقدما فى علم الهيئة والأفلاك وحركات النجوم . وكانت له مع ذلك عناية بالطب ، وله تأليف حسان منها : كتاب المدخل الى الهندسة فى تفسير كتاب اقليدس . ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات . ومنها كتاب طبيعة العدد . ومنها كتابه الكبير فى الهندسة يقضى فيه اجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحنى ، ومنها كتابان فى الآلة المسماة بالاسطرلاب" (١) .

ومن هؤلاء العلماء ، أبو القاسم أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار ، وكان متحققا بعلم العدد والهندسة والنجوم . وله زيج مختصر على مذهب السند هند ، وكتاب فى العمل بالاسطرلاب (٢) . وكان من جملة تلامذة مسلمة المجريطى .

أماكن التعليم فى الاندلس :

لم تعرف بلاد الاندلس نظام المدارس خلال هذه الفترة ، بل كان المسجد هو المدرسة الاولى التى يتلقى فيها الاندلسيون تعليمهم ، كما كان الحال فى بلاد المشرق قبل نشأة المدارس . يقول المقرى : "ليس لاهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميع العلوم فى المساجد بأجرة" (٣) .

ولذلك فان معظم مساجد الاندلس ، لاسيما فى المدن الاندلسية الكبرى ، كانت زاخرة وعامرة بحلقات العلم والدروس التى يدرس فيها اولئك العلماء الذين رحلوا الى المشرق ، وتعلموا هناك ، ثم رجعوا الى بلادهم ، أو الذين تخرجوا فى هذه المساجد ، على أيدى هؤلاء العلماء . وتمدنا كتب التراجم الاندلسية بمعلومات وافية عن سيرة هؤلاء العلماء .

---

(١) ابن ابى أصيبعة ، عيون الانباء ، ص ٤٨٣ .
(٢) ابن ابى أصيبعة ، عيون الانباء ، ص ٤٨٤ .
(٣) نفح الطيب ، ٢٢٠/١ .

"ولما كانت قرطبة تمثل قطب الرحى فى النشاط العلمى باعتبارها حاضرة الخلافة ودار الملك فقد حظي جامعها الشهير بمكانة علمية لاتدانى . فكان دوره عظيما فى نشاط الحركة العلمية فى عصر الخلافة وماتلاه من عصور حيث ضم بين أروقته حلقات العلم والدرس" (١) .

وكان مسجد مدينة الزهراء ، التى انتقلت اليها مؤسسات الدولة فى عصر الخلافة ، من المساجد التى شهدت حركة علمية نشطة . "فقد كان الاديب اللغوى أبو على القالى يعقد مجالسه العلمية فى جامع الزهراء فتتقاطر عليه أفواج الطلبة للاخذ عنه ، وذلك فى كل يوم خميس . وكان يكتب عنه اكثر من اربعمائة طالب فى وقت املائه الامالى" (٢) .

ومن امكنة التعليم الاخرى التى عرفتها بلاد الاندلس فى هذه الفترة "المكاتب" . "والمكتب عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الاطفال ، وقد يكون غرفة فى منزل ، أو حانوتا يكترى ، او فناء ، ولم يكن له مكان معين يقام فيه" (٣) . وقد سبق ان اشرنا الى هذه المكاتب فى مقدمة حديثنا عن رعاية الحكام الامويين فى الاندلس للعلم والعلماء .

وكانت قرطبة تكتظ بكتاتيب اخرى قبل الكتاتيب التى انشاها الحكم ، وكان معلم الكتاتيب يسمى مؤدبا ، وكان يأخذ اجرا على تعليمه الناشئة (٤) .

---

(١) د. سعد عبد الله البشرى ، الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الاندلس ، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة أم القرى ١٤٠١-١٤٠٢هـ ، ص ١٤٣ .

(٢) د. سعد البشرى ، الحياة العلمية فى عصر الخلافة ، ص ١٤٥ .

(٣) د. محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم فى الاندلس الناشر : دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٤) د. شوقى ضيف ، تاريخ الادب العربى – عصر الدول والامارات – الاندلس ، ص ٦١ .

اما عن المنهج التعليمي في هذه الكتاتيب ، فقد اشتمل على تحفيظ القرآن الكريم ، وبعض نصوص الحديث النبوي ، وتعليم النحو والكتابة والخط مع تحفيظ بعض النصوص من الاشعار والرسائل البارعة .(١)

وقد نالت المراة الاندلسية نصيبها من التعليم ايضا ، اذ يروى انه كان بالربض الشرقي من قرطبة ، مائة وسبعون امراة ، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها .(٢)

اما بالنسبة لمستوى التعليم والمناهج بصورة عامة فقد كان متقدما جدا .

فقد اشتمل المنهج على تدريس اللغة العربية بفروعها المختلفة ، والعلوم الدينية والتاريخ ، اضافة الى القضاء وشيء من العلوم الطبية بصورة عملية والرياضيات والفلك . وقد أسس الحكم الثاني أول جامعة او أكاديمية في قرطبة ، وصارت قرطبة ومن بعدها طليطلة من احب المناطق العلمية للاوربيين الغربيين .(٣)

هذه جوانب من نشاط الاندلسيين العلمي خلال فترة البحث وقد راينا تضافر جهود الحكام والرعية في دفع المسيرة العلمية وتقدمها . ولم يتوان الحكام في تقديم أي عون مادي أو معنوي للعلم والعلماء حتى أصبحت بلاد الاندلس تنافس المشرق في كثير من المجالات العلمية .

---

(١) د. شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي ، ص ٦١-٦٢ .
(٢) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ٤٥٦-٤٥٧ .
(٣) T.B.Irving, Falcon of Spain, p.p. 158-160 .

وظيفة القومس :

عاش أهل الذمة في الاندلس في ظل المجتمع الاسلامي ، مستفيدين من سياسة التسامح الذي وجدوها من المسلمين ، يتمتعون بكافة حقوقهم الدينية ، ويمارسون شعائرهم التعبدية دون أن يتعرض لهم أحد بأذى . وقد تقلد بعض منهم وظائف في الدولة ، مثل قومس بن انتينان الذي سبق ان قلنا انه تقلد الكتابة للامير محمد بن عبد الرحمن ، وحسداي بن شيروط الاسرائيلي الذي كان سفيرا للناصر (١) .

ومن الوظائف التي اوجدها المسلمون بالاندلس لرعاية أهل الذمة وظيفة القومس . فقد جعل المسلمون على اهل الذمة والنصارى رئيسا منهم ، ولقبوه بقومس الاندلس او زعيم نصارى الذمة ، وجعلوه مسئولا امامهم عن كل مايتصل برعاياهم من النصارى ، واحاطوه بما يليق به من الاحترام (٢) .

والقومس هو الرسم العربي لكلمة (Comes) اللاتينية وهو الزعيم او الرئيس (٣) .

وهذه الوظيفة وظيفة قديمة ولكن الجديد فيها هو اللقب (٤)

يقول ابن الخطيب : "اشار على ابى الخطار أرطباس قومس الاندلس وزعيم عجم الذمة ، ومستخرج خراجهم لامراء المسلمين - وكان هذا القومس شهير العلم والدهاء - لاول مرة بتفريق القبائل الشاميين العلميين عن البلد ، وعن دار الامارة بقرطبة اذ كانت لاتحملهم وانزالهم بالكور ، على شبه منازلهم التي كانت في كور شامهم" (٥) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٤٥٤ .
(٢) د. حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٤٥٩ ، وانظر ابن الخطيب ، الاحاطة ، ١٠٦/١ هامش (٢) .
(٣) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ١٠٣/١ ، هامش (٣) .
(٤) د. حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٤٦٠ .
(٥) ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ١٠٣/١ .

ومعنى ذلك ان هذه الوظيفة كانت معروفة منذ عصر الولاة في الاندلس ، وكانت وظيفة القومس ، كما يظهر من النص هي متابعة اهل الذمة في ادائهم للخراج للدولة بصفة اساسية اضافة الى بعض المهام الاخرى التي تكلفه الدولة بها تجاه اهل الذمة .

ويذكر ابن القوطية أن عبد الرحمن بن معاوية امر بمصادرة ضياع أرطباش عندما راى كثرتها في احدى غزواته ، فساءت حاله ، فقصد قرطبة ، واستاذن في مقابلة الامير عبد الرحمن بن معاوية فاذن له ، وقابله ، ودار حوار بينه وبين الامير عبد الرحمن ، فسر الامير من حديثه ، وامر له بعشرين ضيعة من ضياعه صرفت اليه ، وولاه القمامسة فكان أول قومس بالاندلس (١) .

وفي عصر الامير الحكم بن هشام ، نجد ان القومس هو "ربيع" الذي كان يتولى شئون المعاهدين من النصارى ، وكانت له منزلة عند الامير الحكم . ويرى ابن الخطيب ان الحكم اطلق يده وسوغه افتراض المغارم على المسلمين ، مما ادى الى قيام ثورة الربض (٢) .

ولما قامت فتنة النصارى المتعصبين ضد الاسلام بقرطبة - اذ ظهرت منهم فئة تطعن في الاسلام جهارا - في عصر الامير عبد الرحمن الاوسط ، وجه الامير عبد الرحمن جومس بن انطونيان بن خوليان عامل أهل الذمة للاجتماع مع الاساقفة في قرطبة ، وبين لهم خطورة مايمكن ان يترتب على اعمال هؤلاء المتطرفين وسبهم للنبي - عليه افضل الصلاة والسلام - من العواقب الخطيرة بالنسبة للنصارى ، فاصدر الاساقفة قرارا

---

(١) تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٥٧-٥٨ .
(٢) أعمال الاعلام ، ص ١٥ .

باستهجان مسلك أولئك المتطرفين ، وتحذير النصارى الاخرين من حذو مسلكهم (١) .

ويبدو ان سلطان القماسة كان لايقتصر فقط على المدن التي ينتخبون فيها ، بل كان يتعدى الى غيرها من النواحي التي تتبع هذه المدن اداريا . وينقل الدكتور حسين مؤنس عن سيمونيت (Simonet) صاحب كتاب تاريخ المستعربين قوله : "ولاشك انه كان يعاون القماسة موظفون آخرون أصغر منهم ، كانوا يعملون تحت ادارتهم خاضعين لسلطانهم في المدن، وينوبون عنهم في القرى الداخلة في زمام ناحيتهم ، وكانوا يتولون الاعمال المختلفة من ادارية ومالية وقضائية (٢) " .

وفي الواقع ، ان المصادر الاسلامية التي بين أيدينا لم تفصل كثيرا في امر هذه الوظيفة ، ولانجد الا بعض الاشارات المقتضبة عنها ، ولكنها على كل حال كانت ضمن الوظائف الهامة التي ادخلها المسلمون الى نظامهم الاداري في الاندلس وتدل هذه الوظيفة دلالة واضحة على مدى التسامح الذي اتصف به المسلمون في الاندلس مع اهل الذمة .

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ٢٧١/١-٢٧٢ .
(٢) فجر الاندلس ، ص ٤٦١ .

المبحث الثالث

الادارة الاقليمية في الاندلس ١٣٨ – ٣٦٦ هـ

إدارة الأقاليم فى الاندلس ١٣٨ – ٣٦٦ هـ

يجدر بنا قبل ان نتحدث عن الادارة الاقليمية فى الاندلس ،أن نعرف ببعض المصطلحات ،مثل الاقليم ،والكورة ،والرستاق ،وماذا نعنى بالادارة الاقليمية فى الاندلس ،لان للاقاليم فى الاندلس معنى غير المعنى المعروف بها فى المشرق .

معنى الاقليم :

أورد ياقوت الحموى عدة اصطلاحات لمعنى الاقليم ،وذكر أن الاصطلاح الاول للعامة وجمهور الامة ،وهو جار على ألسنة الناس دائما ،وهو ان يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى اقليما مثل خراسان ،والشام ومصر والعراق . واما الاقليم عند أهل الاندلس فانهم يسمون كل قرية جامعة كبيرة اقليما ،فاذا قال الاندلسى انا من اقليم كذا ،فانما يعنى بلدة أو رستاقا بعينه (١) .

والرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ،ولايقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد ،وأما المصر فيجىء فى قولهم مصرت مدينة كذا فى زمن كذا ،وفى قولهم مدينة كذا مصر من الامصار (٢) .

واما الكورة فكل صقع يشتمل على عدة قرى ،ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها (٣) .

والذى نعنيه فى هذا المبحث بالادارة الاقليمية ،هى ولاية البلدان فى الاندلس ،سواء كانت هذه البلدان كورا أو مدنا أو اقاليما .

---

(١) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٣٦ – ٣٧ .

التقسيم الإداري للأندلس بعد الفتح الاسلامي :

لم تقدم لنا المصادر الأندلسية المعاصرة لفترة البحث معلومات وافية عن التقسيم الاداري للاندلس ،فمعلوماتنا في هذا الشأن قليلة جدا. وقد تتبعت المصادر المتوفرة لدى ،الا أنني لم أجد فيها مايعطي الجانب الاداري قدرا كبيرا من الاهتمام . وقد أسهبت المصادر الأندلسية كثيرا في ذكر الأحداث السياسية والعسكرية ،وأولت ذلك جانبا كبيرا من الأهمية ولكنها لم تتحدث بنفس القدر عن الناحية الادارية .(*)

وبالرغم من ذلك نستطيع من خلال المعلومات المتوفرة لدينا الربط فيما بينها لمعرفة النظام الاداري الاقليمي في الاندلس ،وتقسيماته وكيفية ادارته .

لقد استقر المسلمون في الاندلس بعد فتحهم لها في سنة ٩٢هـ / ٧١١م، وقد عرف هذا العصر بعصر الولاه ،وكانت الاندلس في هذا العصر تتبع اداريا صاحب القيروان الذي يولي عليها الولاة من قبله أو من قبل والي مصر .(١)

وقد ظل الصراع في هذا العصر محتدما بين العرب البلديين(**) والبربر الذين استقروا في الاندلس منذ الفتح الاسلامي ،وبين العرب الشاميين

(*) أشار بعض الباحثين كذلك الى قلة المعلومات في الجانب الاداري في الاندلس مثل د. حسين مؤنس ،فجر الأندلس،ص ٥٣٠ ومابعدها ،هشام طيم أبورميلة ،نظم الحكم في الأندلس ،ص ١٦٩ ومابعدها وكرر ما ذهب إليه د. حسين مؤنس .

(١) الضبي ،بغية الملتمس ،ص ١١ .

(**) العرب الذين دخلوا مع طارق وموسى بن نصير،يسمون بالعرب البلديين، والذين دخلوا مع بلج بن بشر،يسمون بالعرب الشاميين . ابن الخطيب اللمحة البدرية ،ص ٢٦ .

الذين دخلوا بعد ذلك مع بلج بن بشر (١) . وكان عرب الاندلس وبربرها يحاربون الشاميين ويقولون لهم بلدنا يضيق بنا فاخرجوا عنا (٢) .

فلما ولى امارة الاندلس الحسام بن ضرار الكلبي (٣) ، (ابو الخطار) فى سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م ، رأى تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الامارة بقرطبة ، فأنزل فى كورتي أكشونبة وباجه ، جند مصر مع البلديين الاول ، وأنزل باقيهم فى كورة تدمير وأنزل فى كورتي لبلة واشبيلية جند حمص مع البلديين الاول ايضا ، وأنزل فى كورة شذونة والجزيرة جند فلسطين ، وانزل فى كورة رية جند الاردن ، وأنزل فى كورة البيرة جند دمشق ، وأنزل فى كورة جيان جند قنسرين . وكان انزالهم على اموال اهل الذمه (٤) .

---

(١) هو بلج بن بشر القيسى ، شجاع فارس . كان واليا على طنجه وماوالاها فتكاثرت عليه عساكر خوارج البربر هناك ، فولى منهزما الى الاندلس فى جماعة من أصحابه ، فلما وصل اليها ادعى ولايتها ، وكان واليها عبد الملك بن قطن فوقع فى ذلك اختلاف وفتنه الى أن ظفر بلج بعبد الملك فقتله . وكان دخول بلج الاندلس سنة ١٢٣هـ ، وتوفى سنة ١٢٤هـ . الضبى ، بغية الملتمس ، ترجمه ٥٩٢ ، ص ٢٩٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣٢/٢ .

(٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٤٢ .

(٣) هو ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ، قدم واليا على الاندلس من قبل حنظله بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان وذلك فى رجب ١٢٥هـ . وكان اعرابيا عصبيا أفرط فى التعصب لليمانيين . وخلع بعد أربع سنين وتسعة أشهر من ولايته وذلك فى سنة ١٢٨هـ . وآل امره الى أن قتله الصميل بن حاتم المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، ٢٤ .

(٤) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٣ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ٣٣ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٤٤ ، ابن الخطيب ، اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، ص ٢٦ . وقد سبقت الترجمة لهذه الكور . ويرى بعض المؤرخين أن انزال الشاميين فى هذه الكور يدل على أن الاندلس كان فى ذلك الوقت المبكر مقسما الى كور محددة وواضحة ، وقد ثبت هذا التقسيم كما هو الى آخر ايام الخلافة الاموية ، ممايدل على أنه كان تقسيما سليما قائما على اسس سليمة فلم يحتج بعد الى تعديل وقد وجده العرب قائما فأدخلوا عليه تعديلات طفيفه . وهذه الكور التسع هى التى عرفت بالكور المجندة . ابن الابار ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٣ ، هامش رقم (١) .

وذكر ابن حزم أن أحمد بن محمد الرازى التاريخى ألفا كتابا ضخما ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأجنادها الستة (1) .

وعليه فيمكن القول بأن نظام الاجناد هو التقسيم الادارى الرئيسى الذى اعتمدته الدولة الاسلامية فى الاندلس فى بادئ الامر .

وهناك من يرى ان الاندلس تشتمل على موسطة * وشرق وغرب (2) . فالموسطة فيها من القواعد الممصرة التى كل مدينة منها مملكة مستقلة لها اعمال ضخام ،وأقطار متسعه : قرطبة ،وطليطلة ،وجيان ،وغرناطة (3) . والمرية (4) ، ومالقة . فمن اعمال قرطبة : أستجه وبلكونه (5) وقبره (6) ورندة وغافق (7) ،والمدور (8)

---

(1) المقرى ،نفح الطيب ، ٣ / ١٦٠ - ١٦١ .

(*) الموسطة يقصد بها المنطقة التى تقع لافى وسط شبه الجزيرة بالضبط ولكن المنطقة التى تتوسط ماكان للمسلمين من هذه البلاد ،وتقع مركزها العاصمة قرطبة . ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. محمود على مكى ،ص ٢٨٩ .

(2) المقرى ،نفح الطيب ،١٦٥/١ - ١٦٧ ، ابن سعيد ،المغرب ،ج ١ ،ص ٣٢،٣٤ .

(3) غرناطة من اقدم مدن كورة البيره وأعظمها وأحسنها . بينها وبين البيره أربعة فراسخ ،وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا ،ياقوت معجم البلدان ،٤ / ١٩٥ .

(4) المرية مدينة كبيرة من كور البيره . وكانت هى وبجانة بابى الشرق منها يركب التجار ،وفيها تحمل مراكبهم ،وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب . ياقوت ،المصدر السابق ،٥ / ١١٩ .

(5) بلكونه هى عاصمة لكورة بلكونه . كانت اهله بالسكان معروفه بالفرسان ابن سعيد ،المغرب ،١ / ٢٢٢ .

(6) قبرة : بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا . وهى مدينة سامحه ذات عيون شتى منها العين التى عليها . اختصت بكثرة الزيتون ،الحميرى ،الروض المعطار ،ص ٤٥٣ . * الكور التى لم أعرف بها قد سبق تعريفها من قبل.

(7) غافق : حصن بالاندلس من اعمال فحص البلوط . وهو حصن حصين ،ومعقل جليل فى أهله نجده وحزم ،وجلادة وعزم . ياقوت ،معجم البلدان ،١٨٣/٤ الحميرى ،صفة جزيرة الاندلس ،ص ١٣٨ ، الادريسى ،صفة المغرب ،ص ٢١٣ .

(8) المدور : حصن من حصون الاندلس المنيعه بالقرب من قرطبة ،كان الروم يعتنون به فى القديم ويعتمدون عليه . ياقوت ،معجم البلدان ،١٢٧/٥ ابن سعيد ،المغرب ،١ / ٢٢٧ .

وأسطبة (١) ، وبيانة (٢) ، واليسانه (٣) ، والقصير (٤) ، وغيرها . ومن اعمال طليطلة وادى الحجارة (٥) وقلعة رباح (٦) ، وطلمنكة (٧) وغيرها .

---

(١) أسطبة : تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من للشانة . وللشانه هى قاعدة شذونة وتبعد شذونه عن قرطبة مائة وعشرة أميال . الحميرى صفة جزيرة الاندلس، ص ٢٣ .

(٢) بيانة : من اعمال قرطبة ،وهى من مدن قبرة ،وعلى يمين الطريق الذاهب الى قرطبة وشرقى قبرة ،بينهما عشرة اميال ،وهى على ربوة من الارض ،طيبة التربة كثيرة المياه السائحة ،ولها حصن منيع ،بها أسواق عامرة كثيرة البساتين والكروم والزيتون . الحميرى ،صفة جزيرة الاندلس ،ص ٥٩ .

(٣) اليسانه : وهى مدينة اليهود ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود وبه المسجد الجامع وليس على الربض سور ،والمدينة متحصنه بسور حصين . تبعد من قرطبة أربعين ميلا . الادريسى ،صفة المغرب ،ص ٢٠٥ .

(٤) القصير : عبارة من حصن يقع فى شرقى قرطبة على النهر . ابن سعيد المغرب ،١ / ٢٢٥ .

(٥) وادى الحجارة : وهى مدينة تعرف بمدينة الفرج بالاندلس ،وهى بين الجوف والشرق من قرطبة ،وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا ،وهى مدينة حسنة كثيرة الارزاق ،جامعة لاشتات المنافع والغلات ولها اسوار حصينه . بينها وبين مدينة سالم خمسون ميلا . الحميرى ،الروض المعطار ،ص ٦٠٦ ، صفة جزيرة الاندلس ،ص ١٩٣ ، الادريسى ،صفة المغرب ص ١٨٩ . وتنسب مدينة وادى الحجارة الى الفرج بن سالم المصمودى وتبعد مسافة نحو ستين كيلو مترا الى الشمال الشرقى من مدريد فى الطريق الخارج من هذه العاصمة الى سرقسطة ،ابن حيان ،المقتبس طبعة بيروت ،تحقيق د. محمود على مكى حاشية رقم (٢٠٧) .

(٦) قلعة رباح : مدينة بالاندلس من اعمال طليطلة وهى غربى طليطلة وبين المشرق والجوف من قرطبة . ولها عدة قرى ونواح ويسمونها الاجزاء يقوم مقام الاقليم . ياقوت ،معجم البلدان ،٣٠ / ٢٣ .

وذكر الحميرى أنها من عمل جيان . وهى مدينة محدثه فى ايام بنى امية وقد امر الامير محمد بن عبد الرحمن فى سنة ٢٤١هـ بتحصينها والزيادة فى مبانيها . الروض المعطار ،ص ٤٦٩ .

(٧) طلمنكه : مدينة بثغر الاندلس ،بناها الامير محمد بن عبد الرحمن ، بينها وبين وادى الحجارة عشرون ميلا . الحميرى ،الروض المعطار ص ٣٩٢ .

ومن اعمال جيان : أبذة وبياسه (١) وقسطلة (٢) وغيرها . ومن اعمال غرناطة : وادى أش (٣)، والمنكب (٤) ولوشة (٤) وغيرها ، ومن اعمال المرية : اندرش (٥) وغيرها ، ومن اعمال مالقة : بلش (٦) والحامة (٧) وغيرهما (٨) " .

وبناء على هذا التقسيم فان الموسطة تحتوى على ستة قواعد كبيرة عبارة من مدن تتبعها اعمال صغيرة .

ويلاحظ ان بعض هذه القواعد أو المدن استحدثت فى عصر بنى امية : كالمرية " ٤

---

(١) بياسه : بينها وبين جيان عشرون ميلا ، وكل واحدة منهما تظهر من الاخرى ، تطل على النهر الكبير المنحدر الى قرطبة ، وهى مدينة ذات أسوار واسواق ومتاجر وحولها زراعات . الحميرى ، الروض المعطار ص ١٢١ .

(٢) قسطلة : قرية فى غرب الاندلس تعرف بقسطلة الغرب . ابن سعيد ، المغرب ١ / ٤٠٠ .

(٣) وادى أش : مدينة بالاندلس قريبة من غرناطة ، كبيرة تطرد حولها المياه والانهار ينحط نهرها من جبل شلير وهو فى شرقيها وهى على ضفته ، كثيرة التوت والاعناب وأصناف الثمار والزيتون . الحميرى صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٢ .

(٤) لوشة بالفتح ثم السكون . مدينة بالاندلس غرب البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيرا بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا وبين غرناطة عشرة فراسخ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

(٥) أندرش : مدينة من أعمال المرية ، وهى من انزه البلدان ، الحميرى الروض المعطار ، ص ٤٢ ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣١ .

(٦) وردت باسم بليش لدى ابن سعيد وهى مدينة فى شرقى مالقة ، عامرة اهلة ، ضخمة الاسواق ، الحضارة اغلب عليها من البادية ، وليس فى قواعد اعمال مالقة مثلها فى الحضارة ، وحولها ضياع كثيره . ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ١ / ٤٤٢ .

(٧) لم اجد لها تعريفا .

(٨) المقرى ، نفح الطيب ١ / ١٦٥ – ١٦٦ .

التي بناها عبد الرحمن الناصر (١) • كما أن هناك بعض الاعمال الصغيرة مثل قلعة رباح وطلمنكه وأبذة كلها من مستحدثات الامويين •

وأما شرق الاندلس ففيه من القواعد : مرسية ،وبلنسية ،ودانية (٢) ، والسهلة (٣) ، والثغر الاعلى (٤) ، فمن اعمال مرسيه : أوريوله (٥) ولقنت (٦) ولورقة وغير ذلك • ومن اعمال بلنسية : شاطبة وجزيرة شقر (٧) وغير ذلك ،واما دانية فهي شهيرة ولها اعمال ،وأما السهلة فانها متوسطة بين بلنسيه وسرقسطة ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الاعلى ولها مدن وحصون ،ومن اعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهي ام ذلك الثغر ،وكورة لاردة (٨) ،وقلعة رباح (٩)

---

(١) الحميري ، الروض المعطار ،ص ٥٣٧ •

(٢) دانية : مدينة بشرق الاندلس على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر ، وعليها سور حصين ،وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة ،ولها قصبة منيعة جدا ،والسفن واردة عليها وصادرة منها ومنها كان يخرج الاسطول الى الغزو • الحميري ،الروض المعطار ،ص ٢٣٢ •

(٣) السهلة : تسمى شنتمرية الشرق (شنت مرية ابن رزين) وهي غير شنتمرية التي من غرب الاندلس ،وهي مدينة جليلة عامرة بها اسواق قائمة ،وعمارات متصلة دائمة • الادريسي ،صفة المغرب ،ص ١٨٩، ابو الفداء تقويم البلدان ،ص ١٦٨ •

(٤) الثغر الاعلى في الاندلس قاعدته سرقسطة ،وتقع في شرق الاندلس وهي المدينة البيضاء ،وهي قاعدة من قواعد الاندلس الكبيرة آهلة بالسكان حسنة الديار والمساكن ولها سور حجارة حصين وهي على ضفة النهر الكبير المسمى أبره ،الادريسي ،صفة المغرب ،ص ١٩٠ •

(٥) أوريوله : مدينة قديمة كانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم • تقع على ضفة النهر الابيض وهو نهرها ونهر مرسيه • بينها وبين البحر عشرون ميلا وتبعد اثنا عشر ميلا عن مرسية • العذري ،ترصيع الاخبار ،ص ١٠ ، الادريسي ،صفة المغرب ،ص ١٩٣ •

(٦) لقنت : مدينة صغيرة عامرة ويتجهز منها بالحلفاء الى جميع البلاد • ومع صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق • الادريسي ،صفة المغرب ،ص ١٩٣

(٧) جزيرة شقر: جزيرة قريبة من شاطبة ،بينها وبين بلنسيه ثمانية عشر ميلا • الحميري ،الروض المعطار ،ص ٣٤٩ ،صفة جزيرة الاندلس ،ص ١٠٢ – ١٠٣ •

(٨) لاردة : تقع في شرقي قرطبة تتصل اعمالها بأعمال طركونه منحرفه عن قرطبة الى ناحية الجوف ،ينسب الى كورتها عدة مدن وحصون ،ياقوت ،معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ١٧ •

(٩) ورد ذكر قلعة رباح على انها من عمل طليطلة وقد ترجمت لها في موضعها •

وكورة تطيلة وكورة وشقة (١) وكورة مدينة سالم (٢) ،وكورة قلعة أيوب (٣) ،وكورة بريطانية (٤) ،وكورة باروشة (٥) " (٦) .

ونلاحظ فى تقسيم شرق الاندلس أن " مرسيه " من القواعد التي بنيت فى عصر الامير عبد الرحمن الاوسط ،واتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد (٧) ومدينة تطيلة محدثة بنيت فى أيام بنى مروان اختطت فى عصر الامير الحكم ابن هشام . ومدينة سالم وقلعة أيوب من مستحدثات الفتح الاسلامى للاندلس (٨) .

---

(١) كورة وشقة وتكتب بالالف احيانا " أشقة " تقع شرق سرقسطة وهى مدينة قديمة متقنة العمارة . ياقوت ،معجم البلدان ،١ / ١٩٩ ،ابن غالب فرحة الانفس ،ص ٢٨٧ .

(٢) مدينة سالم مدينة جليله فى وطاء من الارض كبيرة القطر كثيرة العمارات . الادريسى ،صفة المغرب ،ص ١٨٩ . ومدينة سالم لاتزال تحتفظ باسمها العربى فى الطريق بين مدريد وسرقسطة ،وتبعد عن مدريد ١٣٥ كيلو مترا . وتدين مدينة سالم بفضل انشائها الى سالم ابن ورعمال المصمودى من كبار قادة البربر الذين دخلوا الاندلس فى فترة مبكرة . ابن حيان المقتبس ،طبعة بيروت ،تحقيق د. مكى حاشية رقم ٢٠٨ .

(٣) تبعد قلعة أيوب عن مدينة سالم خمسين ميلا شرقا ،وهى مدينة رائقة البقعة ،حصينة شديدة المنعه بهية الاقطار كثيرة الاشجار كثيرة الخصب الادريسى ، صفة المغرب ،ص ١٨٩ ،الحميرى ،صفة جزيرة الاندلس ،ص ١٦٣ .

(٤) بريطانية : مدينة كبيرة فى شرق الاندلس يتصل عملها بعمل لاردة ، وكانت حدا بين المسلمين والروم ولها مدن وحصون ،وفى اهلها جلادة وممانعه للعدو . ياقوت ،معجم البلدان ،١ / ٣٧١ .

(٥) باروشة تقع فى غربى سرقسطة وشرقى قرطبة بقرب أرض الفرنج ولها بسيط وحصون . ياقوت ،معجم البلدان ،١ / ٣٢٠ .

(٦) المقرى ،نفح الطيب ،١ / ٣٢٠ .

(٧) العذرى ،ترصيع الاخبار ،ص ٦ .

(٨) ابو الفداء ،تقويم البلدان ،ص ١٨١ ،احمد بن محمد الرازى ،وصف الاندلس ،نقلا عن د. حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ،ص ٦٩ — ٧٠ .

وأما غرب الاندلس ففيه اشبيلية ، وماردة ، وأشبونه(١) ، وشلب(٢) ، فمن اعمال اشبيلية : شريش(٣) والخضراء وغيرها . ومن اعمال ماردة بطليوس ويابرة(٤) وغيرهما ، ومن اعمال أشبونه : شنترين(٥) وغيرها ، ومن اعمال شلب شنتمرية(٦) وغيرها(٧) .

ويلاحظ على تقسيمات غرب الاندلس أن بطليوس التى من اعمال ماردة استحدثت فى العصر الاموى فى عصر الامير عبد الله ، والذى اسسها هو عبد الرحمن بن مروان المعروف بابن الجليقى أول المخالفين على الامير عبد الله(٨) .

ويضاف الى هذا التقسيم الجزر البحرية مثل : جزيرة قادس(٩) ، وهى من اعمال اشبيلية ، وقال ابن سعيد : انها من كورة شريش ، وشريش أيضا من

---

(١) أشبونه : بغربى باجه وهى مدينة قديمة على البحر تنكسر امواجه فى سورها ، واسمها لورية وسورها رائق البنيان بديع الشأن . والمدينة فى ذاتها حسنة ممتدة مع البحر . الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ .

(٢) شلب : مدينة بالاندلس بقرب باجة ، ولها بسيط متسع وبطائح منفسحة وبها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه ، القزوينى ، اثار البلاد ، ص ٥٤١ وهى قاعدة كورة أكشونبة يبعد البحر منها ثلاثة أميال الى الغرب الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٠٦ .

(٣) شريش : مدينة كبيرة من كورة شذونه وهى قاعدة هذه الكورة . ياقوت معجم البلدان ، ٣ / ٣٤٠ .

(٤) يابرة : مدينة من كور باجة الاندلس وهى قديمة ، وتنتهى احواز باجة فيما حواليها مائة ميل . الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٦١٥ .

(٥) شنترين : مدينة معدودة فى كور باجة ، وهى مدينة على جبل عال كثير العلو جدا ، الحميرى ، الروض ، ص ٣٤٦ ، الادريسى ، صفة المغرب ، ص ١٨٦ . وكانت الولاة تتردد عليها من اشبونه وهى من عمل أشبونه . ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ١٧٣ .

(٦) مدينة من مدن اكشونبة ، وهى مدينة حسنة التربة متوسطة القدر بها مسجد جامع ، وبها المراكب صادرة وواردة ، وهى كثيرة الاعناب والتين ، وبينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلا . الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٧) المقرى ، نفح الطيب ، ص ١١٤ — ١١٥ .

(٨) ابن سعيد ، المغرب ١ / ٣٦٣ — ٣٦٤ .

(٩) جزيرة قادس : جزيرة فى غربى الاندلس تقارب اعمال شذونه ، طولها اثنا عشر ميلا . ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ٢٩٠ .

أعمال اشبيلية . وكذلك جزيرة شلطيش وهى اهلة (١) (٢) (٣) .

لقد أحدث المسلمون تغييرا جذريا فى البنية الاندلسية كلها ،وقد مس هذا التغيير الجانب الادارى الى حد كبير .

صحيح أن العرب وجدوا تقسيمات إدارية محددة ،فساروا عليها،ولكن اقتضى الحال ،أن يدخل المسلمون على هذا النظام كثيرا من التغييرات والتعديلات ،ابان حكمهم للاندلس ،وعلى وجه الخصوص فى ظل الدولة الاموية حيث نشأت مدن جديدة ،مثل مرسيه ،المرية تطيلة ،بطليوس .

وهذا التقسيم إلى موسطة وشرق وغرب ،هو التقسيم الادارى الذى استقرت عليه الاوضاع فى ظل الدولة الاموية فى الأندلس على مايبدو ،فقد ذكر ابن حيان : أن الامير عبد الرحمن بن الحكم "الاوسط" خرج غازيا الى بعض اهل الخلاف بالغرب الاقصى ،ورأى أن لايدخل دار الحرب فى تلك السنة ،فلم يستنفر أهل " الموسطة " واقتصر على مدونته (٤) .

وهذه الكور المجندة التى نزلت فيها أجناد العرب تدخل ضمن اطار هذا التقسيم ،ونلاحظ ان معظم هذه الكور المجندة تقع فى دائرة الموسطة والغرب فى هذا التقسيم ،اما شرق الاندلس فلم يدخل فى اطاره اى من الكور المجندة .

وعلى ذلك يمكننا القول أن تغييرا كبيرا طرأ على التقسيم الادارى الاول الذى وجده العرب قائما ،اذ لم يقتصر الامويون على هذا التقسيم فقط ،وانما أضافوا أقساما إدارية جديدة .

(١) المقرى ،نفح الطيب ،١ / ١٦٧ .
(٢) شلطيش : جزيرة يحيط بها الماء من كل ناحية وتقع بقرب مدينة لبلة وهى جزيرة لاسور لها ولا حظيره انما هى بنيان متصل بعضه ببعض وهى مرفأ للسفن وركاب البحر. الحميرى ،صفة جزيرة الأندلس ،ص ١١٠- ١١١.
(٣) المقرى ،نفح الطيب ،١/١٦٧ - ١٦٨ . يرى د. حسين مؤنس أن تقسيم الاندلس الى موسطة وشرق وغرب تقسيم نظرى لمجرد التقريب ،أنظر تاريخ الجغرافية والجغرافيين ،ص ٤٩٣ - ٤٩٤ . ولكن الذى أراه ان هذا التقسيم معقول الى حد كبير اذ حدد لنا اعمال كل كورة من الكور تحديدا واضحا .
(٤) ابن حيان ،المقتبس ،ط القاهرة ،ص ١٨٠ .

الإدارة الأموية للأقاليم فى الأندلس :

كان الاتجاه الادارى فى الأندلس الإسلامية يميل نحو الاقسام الادارية الصغيرة لضبط الامن وربط المال . ولذلك ،اكتفى المسلمون بنظام الكور كل كورة تتبعها مدن ،وكل مدينة تتبعها أقاليمها أو زماماتها ،وقد أدى ذلك الى تبسيط السلم الادارى ،فالادارة المركزية يتبعها عمال الكور، وعمال الكور يتبعهم عمال المدن وهم المسئولون عن زمامات المدن او أقاليمها (١) . وهذا مانلاحظه فى التقسيم السابق .

وكان لكل كورة من الكور أمين مسئول عن الناحية المالية للكورة (٢) كما كان للكور المجندة واليا يشرف على شئونها من قبل الامارة (٣) . وهو غير العامل أو الوالى على الكورة وذلك لاهمية هذه الكور المجندة بالنسبة للدولة .

وكذلك فقد كان لكل كورة من الكور قاضى يعين من قبل الامير او الخليفة ،وقد وردت الينا اسماء عدد كبير من القضاة ، الذين ولوا قضاء الكور ،فى عصرى الإمارة والخلافة (٤) . وكذلك كان لها وال للصلاة (٥) .

وتطورت الإدارة الإقليمية تطورا كبيرا فى العصر الأموى ،وسادت،وأحدث فيها الجديد ،فقد أحدث فى الثغور إمارة مستقلة عرفت بإمارة الثغور ومقرها سرقسطة ،وأحدثت إمارة البحر ومقرها فى المرية (٦) .

(١) د. حسين مؤنس ،فجر الاندلس ،ص٥٥٤ < ٥٥٥ .

(٢) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،رقم ٤٥٥/١،٨٠٨ ، ابن الابار ،الحلة السيراء ،جـ ١ ،ص٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه ،ص٢٤١ .

(٤) انظر الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص٦٣ ،النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص٥٦، ٥٧ ، ٦٠ ، ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،رقم ٥٩ ، ٣٥٥، ٤٩٨،٣٥٦ على سبيل المثال ١٣٨٨.

(٥) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،٢ / ٧٨٤ ، ٧٨٧، ٧٩٦ .

(٦) د. عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى من الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة ،ص٣١٥ — ٣١٦ .

وكانت هذه الكور والاقاليم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعاصمة قرطبة ،وكان كل مايحدث فيها يصل الى العاصمة فى اسرع وقت ممكن ،وذلك من طريق المخلفين على رفع الاخبار الذين كانوا يتواجدون فى كل مدينة من مدن الاندلس (١) • وكذلك من طريق المقلسين (*) الذين يقيمون بالقرى خارج العاصمة قرطبة ،حيث كانوا يطلون فى كل يوم جمعة مع الامراء بقرطبة ويطلعون عليهم ويطلعونهم على احوال بلادهم (٢) •

وكان يتبع العاصمة قرطبة وحدها خمسة عشرة اقليما ،كل اقليم منها يحتوى على حصون وقرى وبروج كثيرة (٣) •

---

(١) ابن حوقل ،صورة الارض ،ص ١١١ •

(*) المقلس هو الفقيه المشاور الذى تكون له الفتيا فى الاحكام والشرائع مجهول وصف جديد لقرطبة • ص ١٧٠ •

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٧٠ – ١٧١ •

(٣) مجهول ، وصف جديد لقرطبة ،ص ١٧٠ – ١٧١ • وهذى الاقاليم هى :- اقليم المدور ،وعدد قراه تسعون قريه • اقليم القصب وفيه سبع وثمانون قرية وثلاثون برجا وسبعة حصون • اقليم لورمر ،فية ثلاثة حصون وأربعة وستون قرية وستة عشر برجا • اقليم الصدف ،وفيه ثمانية حصون وعشرون برجا وثمانية وعشرون قرية • اقليم بنى مصرة ،وفيه ثلاثة عشر حصنا وسبع عشرة قرية وستة بروج • اقليم منيانه وفيه ثلاثة حصون وسبعة ابراج وثمان وأربعون قرية • اقليم الهرهار ،وفيه ثلاثة عشر حصنا وستة عشر برجا وثلاثة وسبعون قرية • اقليم الملاحة ، وفيه ستة حصون وسبعة عشر برجا وأربع وثمانون قرية • اقليم الشعر ، وفيه عشرون حصنا ،وأربعون برجا وتسعون قرية • اقليم السهلة ،وفيه ستة وعشرون حصنا وخمسة وثلاثون برجا ومائة واثنان قرية • اقليم أولية وفيه ستة حصون وعشرون برجا وستة وثمانون قرية • اقليم الوادي ،وفيه سبعة عشرة حصنا واثنان وثلاثون برجا ومائة واحدى عشر قرية • اقليم اى مريم ،وفيه اثنا عشر حصنا واثنان وثلاثون برجا ومائة وثلاثة عشر قرية •

وذكر المقدسى أن الاقاليم المحيطة بقرطبة هى ثلاثة عشر اقليما مع مدنها وأنه سأل احد العقلاء من الاندلسيين فقال له انهم يسمون الرستاق اقليما وذكر هذه الاقاليم الثلاثة عشر وخالف التقسيم الانف الذكر وذكر جيان ضمن هذه الاقاليم (وجيان من الكور المجندة) انظر المقدسى المعروف بالبشاوري ،أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ • وذكر العذري ان الاقاليم المحيطة بقرطبة هى خمسة عشر اقليما أورد منها اثنا عشر اقليما • انظر ترصيع الاخبار ،ص ١٢٤ ومابعدها •

تولية الولاة وعزلهم :-

لم تستقر الأوضاع في مدن وكور وأقاليم الأندلس المختلفة للأمير عبد الرحمن الداخل بصورة نهائية،إلا بعد أن بذل الكثير من أجل ذلك. وكان الكثير من هذه الكور والمدن،خارجا على سلطان العاصمة قرطبة ، وكانت مصدر قلق وازعاج للأمارة الأموية الوليدة ،ولذلك لم يتوان الداخل وخلفاؤه في إرسال الحملات ،والجيوش المتتالية ،وقيادتها بأنفسهم أحيانا لاخضاع هذه الكور أو المدن (١).

ولذلك فان ملامح الإدارة الإقليمية في عصر الأمارة ليست واضحة كل الوضوح،نتيجة لعدم الاستقرار،الذى ظل سمة بارزة من سمات الأندلس ابان عصر الأمارة .

وعلى الرغم من عدم الاستقرار في كثير من أنحاء الدولة ،فان سلطة تولية الولاة وعزلهم كانت بيد الأمير . فالأمير عبد الرحمن بن معاوية كان يولى الولاة من قبله .

فلقد كان أبو الصباح بن يحى اليحصبي (٢) واليا على إشبيلية من قبل الأمير عبد الرحمن بن معاوية ،وعزله من ولايتها في سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦ م (٣).

وولي اشبيلية للداخل أيضا حسان بن مالك أبو عبده ،الذى استطاع أن يضبط باجة ،ومدن الغرب لمدة خمسة اعوام الى أن توفى باشبيلية (٤).

(١) انظر المبحث الاول الخاص بعصر الامارة .
(٢) هو ابو الصباح بن يحى اليحصبي . كان الداخل قد ولاه اشبيليه ثم عزله عنها فجمع اليه اهل الخلاف وثار عليه ،فوجه اليه الامير مولاه تماما فلاطفه حتى أقنعه بالاستلام ثم قدم به قرطبة في أربعمائة رجل من اصحابه على غير عهد . فعاتبه الامير عبد الرحمن فأغلظ أبو الصباح في الجواب فأمر الداخل بقتله وكان ذلك في سنة ١٤٩هـ . ابن عذارى البيان المغرب ،٢ / ٥٣ – ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ،٢ / ٥٣ .
(٤) ابن الابار ،الحلة السيراء ،جـ ١ ،ص ٢٤٦ .

وولى الداخل رزق بن النعمان الغساني على كورة الجزيرة وعزله عنها في سنة ١٤٣هـ / ٧٦٠م (١) .

ومن ولاة الامير عبد الرحمن بن معاوية ، الرماحس بن عبد العزيز (٢) الذى كان واليا على الجزيرة حتى سنة ١٥٥هـ / ٧٧١م (٣) .

وولى الداخل " هلال " البربرى ، عمالة شنت برية ، وكتب له عهدا على قومه بذلك ، وكان يرمي من وراء تولية هلال البربرى ، القضاء على احدى الثورات التى قادها احد البربر بشنت برية (٤) .

وكان يعهد بولاية بعض الكور الهامة الى بعض امراء البيت الاموى مثل ماردة (٥) ، فقد كان هشام بن عبد الرحمن ولى العهد واليا عليها حتى وفاة والده (٦) . اما سليمان بن عبد الرحمن الداخل فقد كان واليا على طليطلة (٧) .

وطليطلة من المناطق التى استعصت ادارتها على الامويين كثيرا ، فقد أتعبت عبد الرحمن الداخل سبع سنين ، وانتقضت على هشام والحكم وعلى عبد الرحمن الاوسط الى أن جاء الناصر فأدخلهم فى الطاعة كرها (٨) .

---

(١) العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ١٢٠ .

(٢) الرماحس بن عبد العزيز كان على شرط مروان بن محمد فلحق بالاندلس فولاه الامير عبد الرحمن الجزيرة فخلع طاعته فغزاه الامير عبد الرحمن الداخل الا أن الرماحس تمكن من النجاة الى العدوة . ابن عذارى البيان المغرب ، ٢ / ٥٦ .

(٣) العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ١١٨ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ٥٤ — ٥٥ .

(٥) ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ٦١ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ٥ / ٨٤ ، النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٢ — ٣٥٣ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٥ / ٨٤ .

(٨) ابن خلدون ، العبر ، ٤ / ٣٠٥ .

يتضح لنا مما سبق أن سلطة تولية الولاة وعزلهم كانت بيد الامير عبد الرحمن الداخل .

ويبدو أن الاوضاع الادارية الاقليمية استمرت كما هي عليه ،في عصر الامير هشام بن عبد الرحمن ،الذى كان دائم المراقبة لعماله . فقد كان هشام يبعث الى الكور قوما عدولا يسألون الناس عن سير العمال ثم ينصرفون اليه بما عندهم فاذا بلغه ظلم احدهم ،أوقع به العقوبة وأسقطه ولم يستعمله .(١)

وقد ساد عصر الامير هشام شيئا من الصراع بين أخويه سليمان وعبد الله . وقد عرضت لهذا الصراع فى مبحث الامارة .

واستمرت سلطة تولية الولاة وعزلهم فى عصر الامارة بيد الامير ،فقد كان الامير عبد الرحمن الاوسط ،يولى الولاة من قبله ويصدر أوامره بعزلهم، فقد بلغ رزق عامله على الثغر الاعلى مائتى دينار فى الشهر ،اضافة الى الف دينار فى السنة من مال الجباية .(٢) وذلك لاهمية الثغر الاعلى وقربه من العدو .

ولكن سلطة تولية الولاة وعزلهم ،تذبذبت كثيرا فى عصر الامير عبد الله بن محمد لكثرة الخارجين على الامارة ،فلم تعد للامارة فى تلك الفترة المقدرة على السيطرة على هؤلاء الثوار الذين استقل كل منهم بكورة أو مدينة من المدن . وقد تحدثنا من هؤلاء الثوار بشىء من التفصيل فى مبحث الامارة .

---

(١) ابن عذارى ،البيان المغرب ،٢ / ٦٦ ، المقرى ، نفح ، ١ / ٢٣٧ .

(٢) ابن حيان ،المقتبس ، طبعة بيروت ،ص٦ ، ٢ . وانظر العذرى ،ترصيع الاخبار ،ص ٢٩ .

نشأة خطة القطع فى عصر الأمير عبد الله :

كثر الخارجون على الامارة فى عصر الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠هـ) ، واستقل كل من هؤلاء الثوار بناحية من نواحى الاندلس . فعلى سبيل المثال غلب ديسم بن اسحاق على مدينتي لورقة ومرسية (١) ، "وكان عظيم الذكر بعيد الصيت كثير الاتباع مظاهرا لاهل الخلاف ، ممدا لهم فى حروبهم ، وكانت له غزوات الى من يخالفه ، وقواد مشهورون يخرجهم بخيله اذا لم يغزو" (٢) .

وملك عبيد الله بن امية جبل شمنتان وماليها من كور جيان ، واستولى على الحصن المعروف بحصن ابن عمر فجاهر بالخلعان ، واستوسع فيما يجاوره واستفحل شره ، وانطلقت يده ، وبنى المبانى الفخمة ، وكان له رجال شجعان ، وقواد معروفون يخرجهم بجيشه لمغاورة من يحاده اذا لم يخرج بنفسه (٣) .

ومن الخارجين على الامير عبد الله بن محمد ، عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقى ، وهو امام المردة كما يسميه ابن حيان واول من خرج على الامير محمد كما ذكرنا – وهو الذى فارق جماعة المسلمين وحاربهم ، وجاور اهل الشرك ووالاهم على المسلمين ، الا انه رجع الى الطاعة مرة اخرى ، وجعل مدينة بطليوس دار مملكته ، وكانت

---

(١) لورقة : احدى المعاقل السبعة التى عاهد عليها تدمير وهى على ظهر جبل ، بينها وبين مرسية اربعون ميلا . الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥١٢ .
ومرسية هى قاعدة تدمير بناها الامير عبد الرحمن بن الحكم وهى فى مستو من الارض . العذرى ، ترصيع الاخبار ص ٦ .

(٢) العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/١٣٥ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٩-١٠ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/١٣٥ .

نشأة خطة القطع في عصر الامير عبد الله :

كثر الخارجون على الامارة في عصر الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠هـ) ، واستقل كل من هؤلاء الثوار بناحية من نواحي الاندلس . فعلى سبيل المثال غلب ديسم بن اسحاق على مدينتي لورقة ومرسية (١) ، "وكان عظيم الذكر بعيد الصيت كثير الاتباع مظاهرا لأهل الخلاف ، ممدا لهم في حروبهم ، وكانت له غزوات الى من يخالفه ، وقواد مشهورون يخرجهم بخيله اذا لم يغزو" (٢) .

وملك عبيد الله بن أمية جبل شمنتان وما يليها من كور جيان ، واستولى على الحصن المعروف بحصن ابن عمر فجاهر بالخلعان ، واستوسع فيما يجاوره واستفحل شره ، وانطلقت يده ، وبنى المباني الفخمة ، وكان له رجال شجعان ، وقواد معروفون يخرجهم بجيشه لمغاورة من يحاده اذا لم يخرج بنفسه (٣) .

ومن الخارجين على الأمير عبد الله بن محمد ، عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقي . وهو امام المردة كما يسميه ابن حيان واول من خرج على الأمير محمد كما ذكرنا – وهو الذي فارق جماعة المسلمين وحاربهم ، وجاور اهل الشرك ووالاهم على المسلمين ، الا انه رجع الى الطاعة مرة اخرى ، وجعل مدينة بطليوس دار مملكته ، وكانت

---

(١) لورقة : احدى المعاقل السبعة التي عاهد عليها تدمير وهي على ظهر جبل ، بينها وبين مرسية اربعون ميلا . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١٢ .
ومرسية هي قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهي في مستو من الأرض . العذري ، ترصيع الأخبار ص ٦ .

(٢) العذري ، ترصيع الأخبار ، ص ٩ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٣٥/٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٩–١٠ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٣٥/٢ .

وهدا من ثورته ، فرجع الى الطاعة الا انه سرعان ماثار مرة اخرى ، واندلعت الفتنة بثورته بين المولدين والعرب وعمت قرى اشبيلية شرقا وغربا (١) .

هذه أمثلة لبعض الثورات التى عمت الاندلس خلال هذه الفترة .

وازاء هذه الموجة العارمة من الحركات الاستقلالية والتى شبهناها فيما سبق بعصر دويلات الطوائف الاولى ، لم تجد الامارة الاندلسية بدا من الاعتراف بسلطات هؤلاء الامراء المستبدين بالنواحي ، ومن ثم انشات خطة خاصة عرفت "بخطة القطع" (٢) .

والقطع جمع قطيعة وهى تعنى مبلغ من مال الجباية يتعهد باداته سادة النواحي الذين تعجز الدولة عن السيطرة عليهم ، فتتركهم على مناطقهم فى مقابل اداتهم لهذا المبلغ وقد يتعهد المستبد باداء القطيعة دون ثورة او قطع للطاعة (٣). وكانت الدولة الاموية تعترف بالامر الواقع ، وتكتب لبعض الاشخاص المتغلبين سجلا رسميا على مناطقهم على أن يعترفوا بسلطة الامارة (٤) . وهذا الاعتراف يتجلى فى اداء هؤلاء المتغلبين مبلغا من الجباية للامارة .

ومن هؤلاء الامراء المتغلبين الذين كانوا يلتزمون باداء هذه الضريبة للامارة ، ابراهيم بن حجاج بن عمير اللخمى ، الذي ملك اشبيلية وقرمونة ، وقد اتخذ لنفسه جندا جعل ارزاقهم طبقات كفعل السلطان ، وبلغ عددهم خمسمائة فارس ، ولم يجاهر بالمعصية فى اكثر اوقاته ، ولاخلع فى

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٦٦-٦٧ .
(٢) انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٢٣٣/١ .
(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٢٣٣/١ ، هامش (١) .
(٤) انظر العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ١٢،١٣،١٤-١٥،٣٠ .

جميع مدته ، وكان مال مفارقته يرد على الامير عبد الله في كل سنة ، ومدده يتوافى اليه في كل صائفة (١) .

ونلاحظ ان ابن حجاج لم يكتف بدفع "مال مفارقته" فقط بل كان يرسل الى الامارة عددا من الجنود ليشاركوا في الغزو مع جيش الامارة في كل صائفة . وقد بلغ مقدار المبلغ الذى كان يؤديه الى الامارة سبعة آلاف دينار في بعض الاحيان (٢) .

ومن هؤلاء المتغلبين الذين اذعنوا للامارة وادوا لها قطيعا من الجباية ، ديسم بن اسحاق ، وذلك بعد ان غزاه قائد الامير عبد الله ، احمد بن محمد بن ابى عبده ، وحاربه وضايقه ، وضرب ديسم الدراهم على اسم الامير عبد الله . وكان يوجه بالاموال الى حصون الثغر لتشييدها ويحبس الخيل والسلاح على اهلها (٣) .

وكان اول من تصرف للامير عبد الله في خطة القطع هو موسى بن محمد بن سعيد بن موسى (٤) . وكانت مهمته في متابعة هؤلاء المستبدين بالنواحي في ادائهم للاموال التى التزموا بها للامارة .

وفي بداية عصر الخلافة ايضا نجد ان الناصر كان يقر بعض هؤلاء الخارجين نظير مبلغ من المال ، والتزام بالطاعة ومن هؤلاء : خلف بن بكر ، الذى كان متغلبا على مدينة اكشونبة (٥) ، وكان خلف من مجرمى اهل الخلاف المستبصرين في الغواية ، وقد غزاه الناصر بنفسه فبادر الى الطاعة ، والتزم ادرار الجباية الوافرة ، وحسن السيرة في الرعية ، فاقره الناصر على ولاية بلده ، وفارقه على عدد مقرر من جباية بلده يحمله لميقاته في كل عام الى حضرته (٦) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ٣/١١-١٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشره ملشور انطونية ، ص ٨٣ .
(٣) العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ١١-١٢ .
(٤) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ١/٢٣٢-٢٣٣ .
(٥) مدينة اكشونبة تتصل باحواز الاشبونة ولها سهل منبسط ، كثيرة المرافق وضروب الثمار . لها عدة اقاليم وحصون
ابن غالب الاندلسى ، فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .
(٦) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٢٤٨-٢٤٩ .

الادارة الاقليمية فى عصر الخلافة :

لقد كانت ادارة الاقاليم طيلة فترة الامارة رهينة بقوة وضعف سلطان الامارة ، فعندما تكون الامارة قوية تستطيع أن تبسط هيبتها ، وتسيطر على الأوضاع فى اقاليم الدولة المختلفة ، ولذلك فان الادارة الاقليمية فى عصر الامارة كانت متارجحة الى حد كبير ، ولم تستقر تماما الا فى عصر الخلافة ، عندما أعاد الناصر للدولة هيبتها ووحدتها وتماسكها .

وكانت تولية الولاة وعزلهم فى عصر الخلافة بيد الخليفة كما هو الحال فى عصر الامارة ، حيث كانت تولية الولاة وعزلهم بيد الامير ، وقد اورد العذرى اسماء عدد من الولاة الذين ولاهم الناصر على بعض كور الاندلس مثل سرقسطة ، وتطيلة ، وقلعة أيوب ، وبربشتر ، ووشقة ، وكان يكتب سجلا للشخص الذى يوليه منطقة من المناطق .(١)

كما أمدنا ابن حيان فى الجزء الخامس من المقتبس ، والخاص بعصر الناصر بقوائم تفصيلية لولاة الناصر على كور ومدن الاندلس المختلفة ، مما يدل على ان زمام الأمور كلها كانت بيد الناصر ، ولأول مرة نرى مثل هذه القوائم التفصيلية لولاة الامويين على كور البلاد المختلفة منذ تاسيس

(١) انظر العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ٤٣،٤٤،٤٧،٥٠،٦٩،٧١،٧٣

دولتهم في الاندلس .(١)

(١) ففي سنة ٣١٧هـ كان ولاة الناصر على المناطق المختلفة كالتالي : طرطوشة القاصية وثغرها ، عثمان بن عبيد الله ، كورة البيرة : موسى بن سعيد بن حدير ، كورة شذونة : عبيد الله بن فهر ، كورة استجة : امية بن محمد بن شهيد ، كورة تاكرنا : عبد الله بن محمد بن بخت ، حصن بلاى واحوازه : لسعيد بن أبي القاسم الخال وحاضرة بيانة وما يليها لاحمد بن شراحيل ، كورة الجزيرة الخضراء : عبد الله بن اسحاق ، كورة لبلة : شهيد بن مفضل ، كورة اشونا : دلهاث بن محمد ، كورة مورور : عبد الوهاب بن محمد ومحمد بن بدر جميعا ، كورة ريه : عبد الله بن محمد بن اميه بعد ما فرق اعمالها على عدة من العمال ، كورة جيان : محمد بن احمد بن أبي عثمان ، كورة بسطة : عبد الله بن احمد بن ابي عبده ، كورة تدمير : أحمد بن محمد بن الياس ، كورة بلنسيه وشاطبة معا : عبد الله بن محمد بن عقيل كورة شنت برية : يحيى بن ابي الفتح بن ذي النون ، طلمنكة : غرسية بن أحمد ، كورة قلعة رباح : شبيب بن أحمد ، طلبيرة : عبد الملك بن مروان بن الشماس القرشي ، مجريط عبد الله بن محمد بن عبد الله ، انحيشه : اسماعيل بن لب ، مدينة الفرج : ارزاق بن ميسرة ، مدينة بربشتر وبربطانية والقمر واحوازها من الثغر : عمروس بن محمد ، قصر أبن ادالس بالساحل الغربي وما يليه من الجبل : يحيى بن ادانس وعبيد الله ابن عمر بن ادانس ابن اخيه معا ببلدهما المنسوب اليهم مدينة ماردة : محمد بن اسحاق ، مدينة ترجيلة احمد بن سكن ، كورة اكشنوبة : خلف بن بكر ، مدينة يابرة : عبد الملك بن بشر ، كورة باجة : عبد الرحمن ابن سعيد بن مالك ، مدينة شنترين : خطيب بن أيوب . ابن حيان ، ج٥ ، ص ٢٥٣-٢٥٥ .

ويلاحظ على هذا البيان ،أنه بعد سنة واحدة فقط من اعلان الخلافة نرى هذا العدد الكبير من الكور والمدن تخضع لسلطة العاصمة قرطبة ، ويولى عليها الخليفة عمالا من قبله ،ولم يحدث طيلة عصر الدولة الاموية منذ تأسيسها بالاندلس أن رأينا هذا الكم الهائل من الولاة الذين يتبعون للسلطة المركزية . وقد دخلت معظم الكور المجندة فى طاعة الخلافة ، وكانت من قبل من مراكز الثورة عليها ، ودخلت الكثير من الكور فى شرق وغرب ووسط الاندلس فى الطاعة ولم يبق الا القليل منها .

وفى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م استبدل الناصر عمال البلاد بآخرين ،ودخلت الجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسه ضمن المناطق الخاضعة للخلافة ، وولى عليها الناصر واليا من قبله .(١)

وأمدنا ابن حيان بتفصيلات أخرى عن عزل الناصر لعدد كبير من الولاة وتولية آخرين مكانهم فى سنتى ٣٢٩هـ / ٩٤٠م – ٣٣٠هـ / ٩٤١م مما يدل على أن زمام الامور صارت بيده ،وأن الادارة الاقليمية قد ترسخت فى عهده ، فأصبح يجرى تغيرات مستمرة على الولاة ،وذلك حتى لايستبدوا بالنواحى .(٢)

ففى سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م :

صرف الناصر كورتى البيرة وبجانة وذواتهما الى نظر ولى عهده الحكم ابنه وصار العمال فيهما من قبله فاستبدل عمال البيرة ورية وبرجة ودلاية وبعض الحصون والاجزاء بعمال آخرين ،واستبدل الناصر ايضا فى هذه السنة كثيرا من ولاته على معظم كور الاندلس ،وأضاف بعض الاعمال الى بعضها .(٣) كما عقد سجلا ليحى بن محمد بن هاشم التجيبى على مدينة سرقسطة واعمالها وقد كانت سرقسطة قاعدة الثغر الاعلى من اخر المناطق التى دخلت فى طاعة الخلافة وقد وفد صاحبها محمد بن هاشم التجيبى المستنزل منها الى باب سدة الخليفة الناصر فى سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧م فأكرم وفادته وولاه على وطنه سرقسطة وعلى الجهات التى تليها .(٤)

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،ج ٥ ، ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٤٧١ – ٤٧٢ ، ٤٨٨ – ٤٩١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨٨ ومابعدها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢٣ – ٤٢٤ .

وبدخول سرقسطة فى طاعة الخلافة تكون الاندلس كلها قد دانت بولائها التام للخلافة فى قرطبة نتيجة للسياسة الحكيمة والحازمة التى سلكها الناصر فى اعادة المخالفين الى سلطان الدولة .

ولما جاء الخليفة الحكم المستنصر الى الحكم ،سارت الامور على النحو الذى رتبه والده ،وكان يعهد الى الولاة على الكور بكتب يبين لهم المنهج الذى ينبغى أن يسيروا عليه فى ادارتهم لمناطقهم ،فعندما ولى أصبغ بن محمد بن فطيس (١) نصف كورة رية ،خاطبة بكتاب نسخته : " بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد : فانما تستدام النعمة بشكرها ، وتعرف النصيحة باستعمالها ،وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها ،وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأيا عظمت به عليك النعمة ،فاسع للمحافظة عليها بمقدار عقلك وكفايتك ،أو بحسب نقصك وتقصيرك ،فاستعن بالله وخذ بالرفق فى امرك ،وقلة الرغبة فى شأنك ،واجتنب التحامل على رعيتك ،فانها من حض عناية أمير المؤمنين بموضع لايترك معه البحث عن احوالها والكشف عن سيرتك فيها ان شاء الله ، ورأى تقليدك شطر كورة رية ،وهى من اهم كور الاندلس عليه ، برا وبحرا ، وجباياتها وضياعها ،فانظر أى خادم تكون، وشاكرا للنعمة تظهر ،ان شاء الله " (٢) .

ان كورة رية من كور قبلى قرطبة ذات الخيرات الكثيرة ، والمدن الكثيرة (٣) ،وقد ولى الخليفة الحكم المستنصر شطرها الى أصبغ بن محمد ابن فطيس وعهد اليه بهذا الكتاب وأوصاه بالرعية خيرا وبالرفق فى معاملتهم ،وهو مع ذلك لايترك البحث عن أحوال الكورة والكشف عن سيرته فيها ،وهى من أهم كور الاندلس عليه من ناحية البر والبحر ،وقلده ايضا جبايتها وضياعها ،وطالما أنها من اهم الكور الاندلسية على الخليفة من الناحية الاقتصادية ،فعلية أن يبذل أقصى جهد ممكن فى ادارتها بصورة عادلة ،وأن يبرز فيها كفاءته ومقدرته على النحو الذى اختطه له الخليفة فى كتابه .

---

(١) لم اعثر له على ترجمة .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. الحجى ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٣) الحميرى ، الروض ،ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ، ابن غالب ،فرحة الانفس ،ص ٢٩٤ .

وهذا الكتاب من الكتب النادرة التى وصلتنا بشأن الادارة الاقليمية في هذا العهد ،وكيف كان الخليفة يوصي عماله ويعهد اليهم عندما يوليهم اي عمالة من العمالات ٠

وكان الخليفة الحكم كثيرا مايخرج بعض اهل خدمته الذين ينتدبهم لمطالعة احوال الكور والكشف من سير العمال فيها فقد بعث بعبد الملك بن منذر بن سعيد (١) الى الكور الغربية وهي شريش ولقنت واشبيلية ولبلة وقرمونه ومورور وأستجه وشذونة لمطالعة رعاياها ،وتعرف احوالهم والكشف عن سير اعمالهم فيه (٢) ٠ كما كان يبعث أحيانا ببعض القضاة ،للنظر في الشكاوى المرفوعة ضد بعض الولاة كما فعل مع اهل جيان (٣) ٠

وأرسل الوزير صاحب المظالم عبد الرحمن بن موسى بن حدير (٤) الى اشبيلية ليقف على حقيقة شكواهم ضد واليهم المعزول ليلقه مع المتظلمين منهم ،ويمتحن عليه مانسبوه من مظالمهم ،فينتصف منهم ،وممن استعدوا عليه من حاشيته وخدمة (٥) ٠

وكان أهل الكور والثغور يأتون بأنفسهم أحيانا الى العاصمة قرطبة لتقديم تقرير عن سيرة عمالهم ليهم ففى رجب من سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م ،عرض للخليفة الحكم المستنصر فى طريقه بالمصارة أسفل قرطبة وفد ركب يريد الزهراء جمع كثير من اهل ثغر لاردة ،قاصية الثغر الاعلى وذواتها ،نحو من ثلاثمائة راكب ،مبتهلين بالدعاء له ،واصلين ذلك بشكر واليهم ،والثناء عليه ،فتوقف عليهم ،وأمر بادنائهم اليه ،فترجل وجوههم وقدمهم الحجاب اليه ،وأمر باستنطاقهم رجلا رجلا على رسل من استيفاء اجوبتهم ،فلم يختلفوا

---

(١) هو عبد الملك بن منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن ٠ يكنى : ابا مروان ٠ كان مولده سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ،ووفاته سنة ثمان وستين وثلاثمائة ٠ ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم (٨٢١) ، ج ١، ص ٤٦٦ ٠

(٢) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د٠ الحجى ، ص ١٠٠ ٠

(٣) المصدر نفسه ،ص ١٠٠ ٠

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن موسى بن حدير ٠ يكنى : ابا المطرف ،كان دينا خيرا – توفى سنة تسع وستين وثلاثمائة ٠ ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم (٧٩٨) ، ج ١ ، ص ٤٥٠ ٠

(٥) ابن حيان ،المصدر السابق ،ص ٨٦ ٠

فى ذكر حسن سيرته ،وجميل نظره ،وفاشى معدلته ،فسر بما أوردوه ،وأعلن حمد الله عليه ،وأمروا بالانصراف (١) .

ومن ذلك يتضح لنا أن الخليفة الحكم المستنصر كان حريصا كل الحرص على متابعة ولاته ،ومعرفة مايجرى فى هذه المناطق ،فكان يبعث بعماله لمراقبة ومتابعة سير هؤلاء الولاة ،والنظر فى الشكاوى المقدمة ضدهم كما كان يستقبل بنفسه وجوه اهل المدن والثغور ليسمع منهم رأيهم فى ولاتهم كما حدث مع اهل ثغر لاردة .

وكان الحكم يحرص على احضار وجوه اهل الكور المجنده لتشهد مراسم استقبال بعض الوفود الخارجية الوافدة على بلاطه . ففى سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م قدم الوزير القائد الاعلى غالب بن عبد الرحمن من العدوة ،ومعه بنو ادريس الحسنيون القرشيون ملوك الغرب ، الذى استنزلوا من معاقلهم ،وقد استقبلوا استقبالا فخما ،وحضر مراسم استقبالهم وجوه اهل الكور المجندين (٢)

ويلاحظ أن كل الكور المجنده قد شاركت فى هذا الاستقبال ،كما شاركت كور من الموسطة والمشرق والمغرب . ويبدو أن الحكم المستنصر كان يهدف من وراء اشراك وجوه أهل هذه الكور فى هذا الاستقبال الى اظهار عظمة الخلافة ، امام الوفود القادمة عليه من العدوة ،ويشعرهم أن الاندلس كلها تحت طاعته موسطة وشرقا وغربا ،بدليل أن كل منطقة قد بعثت بممثلين لها للمشاركة فى استقبالهم .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٢) وهم جند دمشق وهم أهل كورة البيرة واعمالها من غرناطة وشاط وشبلبن وبرجة ودلاية وباغة والقنداق ولوشة ويحصب ،ثم جند حمص وهم اهل كورة اشبيلية ولبلة ،ثم جند الاردن وهم أهل كورة رية وتوصل بوصولهم اهل كورة قبره وبيانه وبلاى ،ثم جند فلسطين وهم اهل كورة شذونه والجزيرة ثم جند قنسرين وهم اهل كورة جيان وأبذه وبياسه وبسطة ،ثم جند مصر وهم أهل تدمير وبلنسية وحضر معهم أهل مورور وقرمونه ،ثم توصل أهل أستجه وتاكرنا وأشونه ثم اهل باجه وأكشونبة ثم اهل بطليوس ويابره واهل مارده ومايليها ،ثم اهل طليطلة وقلعة =